65
آذار 2023
السنة الثامنة عشر - رمضان ١٤٤٤ هـ - آذار ٢٠٢٣
مجلة فصلية فكرية تصدر عن المعهد العراقي للحوار
HIWAR ALFIKR

حوار الفكر

العراق: عشرون عاماً.. ماذا بعد؟

ملف العدد:

حرب العراق بعد عشرين عاما:
نحو تأسيس هيكل إقليمي جديد

المصالحة السعودية الايرانية
العراق محور الاستقرار

EARTHLINK

الراعي الرسمي لـ

المعهد العراقي للحوار

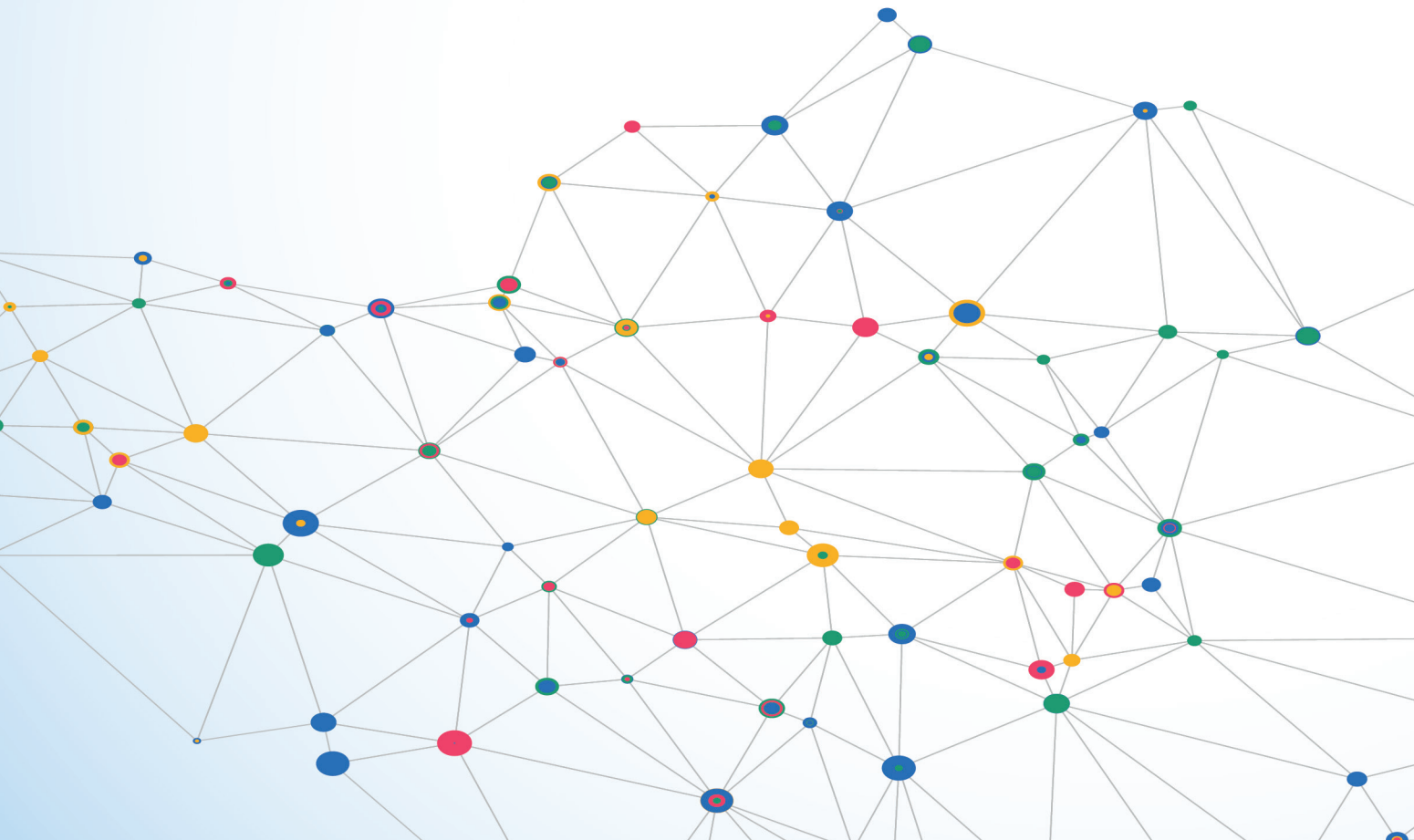

الان صار بامكانك
اقتناء كل اعداد
مجلة حوار الفكر
وجميع اصدارات
المعهد العراقي
للحوار

للمزيد من المعلومات | 964 781 116 7230

حوار الفكر

مجلة فصلية فكرية تصدر عن المعهد العراقي للحوار

العدد ٦٥- السنة الثامنة عشر - رمضان ١٤٤٤ هـ - آذار ٢٠٢٣

المشرف العام
الشيخ د٠همام باقر حمودي

رئيس التحرير
عباس راضي العامري

نائب رئيس التحرير
أ٠د٠ علي عبدالامير ساجت

مدير التحرير
فيصل عبداللطيف الياسري

الهيئة الاستشارية

معالي أ٠د٠صالح الحسناوي	أ٠د٠عامر حسن فياض
د٠مظهر محمد صالح	د٠يوسف محمد صادق
أ٠د٠صلاح الجابري	أ٠د٠عبدالجبار احمد
د٠فرح ضياء	د٠حيدر سعيد

هيئة التحرير

د٠عادل بديوي	د٠علي فارس حميد
د٠كرار انور البديري	د٠سهاد اسماعيل العزاوي
د٠خالد عبدالاله عبدالستار	د٠جمال ناصر الزيداوي

الترجمة
قسم الترجمة في المعهد العراقي للحوار

الادارة والعلاقات
سدير غازي - حسن محسن حسن
عبدالله رشيد

- رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ١٠٦١
- معتمدة في نقابة الصحفيين العراقيين تحت الرقم ٤٥٦

- جميع الحقوق محفوظة
- لايحق إعادة نشر المواد المنشورة في المجلة دون استئذان إدارتها
- لا يحق الاقتباس من المواد المنشورة في المجلة دون ذكر المصدر
- الافكار الواردة في المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي المعهد او مجلة حوار الفكر

Iraqi Institute for Dialogue
للحوار

07905400123
Head@hewariraq.com
hewarelfikr@gmail.com

96

العراق: عشرون عاماً.. ماذا بعد؟ 6

حرب العراق بعد عشرين عاما: نحو تأسيس هيكل إقليمي جديد 10

ملف العدد:

الخبراء يستجيبون: عودة العلاقات السعودية الإيرانية برعاية صينية: ما الذي تعنيه بالنسبة للشرق الأوسط وللعالم 28

هل نحن امام نظام جديد في الشرق الأوسط؟ 42

ما الذي يعنيه الاتفاق السعودي الإيراني بالنسبة لمنطقة الشرق الأوسط 48

التجسس السيبراني:مخاطر تتجسس شركات التكنولوجيا الصينية على الامن القومي 56

بعد الحرب الروسية على أوكرانيا: ما هو النظام العالمي القائم الان؟ 74

كيف تغير العالم في سنة منذ الغزو الروسي لأوكرانيا 84

هل باتت هيمنة الدولار على المحك؟ 92

التغير المناخي في العراق 96

الشرق الأوسط والتحدي المناخي: الاثار وسبل الاستجابة 109

العراق: عشرون عاماً.. ماذا بعد؟

عباس راضي العامري
رئيس التحرير

قبل عشرين عاماً من هذا التاريخ، كانت ليلة 20 اذار ويومه ثقيلين جداً على الشعب العراقي الذي كان ينتظر الخلاص من الديكتاتورية فوقع تحت وطأة الاحتلال وتدمير البنى التحتية لبلد لم تترك له الايام فرصة للنهوض، فمنذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة لم ينعم بالاستقرار، فجاءت حكومات الثلاثة اشهر والستة اشهر ثم حكومات الانقلاب الدموي التي ساد فيها القتل والسحل كسبيل للتغيير السياسي، ليدخل العراق بعدها إلى عصر الديكتاتورية وحروبها العبثية، التي اساءت الى مكانة العراق ورمزيته التأريخية والحضارية، مما دفع الى اتخاذ قرار التغيير بالاحتلال، وهي مرحلة نشأ فيها الإرهاب ، و الامراض المجتمعية الخبيثة في مقدمتها الطائفية والفساد والتطرف.

لقد امن الشعب العراقي بأن طريق الحرية هو طريق طويل وصعب، وظل يمارس عمله السياسي بكل شجاعة وصبر ووضعت نخبته السياسية امام عينها مستقبل العراق وبناءه؛ فأقرت دستوراً دائماً لاول مرة بتاريخ البلاد، وبدأت بوضع لبنات تأسيس الدولة مرة ثانية.

لكن هذه الإرادة الوطنية، اصطدمت بمجموعة ارادات متناقضة بالسبب ومتحدة بالهدف... فمنذ العام 2003، والى الان، كان ولايزال هناك خطان متصارعان، هما: خط تقويض الدولة، وخط بنائها الذي تدعمه بسالة الارادة الوطنية الشجاعة، التي أسهمت في وأد المشاريع الخبيثة وفي مقدمتها القاعدة والحرب الطائفية وكيان داعش الإرهابي.

إن هذه الإرادة الوطنية نجدها ماثلة في الملاحم الرائعة التي سطرها العراقيون على مختلف الصعد، ابتداءً من النصر على داعش الإرهابي، مرورا

بالإصرار الشعبي والنخبوي على التداول السلمي للسلطة، واجراء انتخابات حرة بشفافية عالية، والتعددية الحزبية، وتمكين المرأة، وصولا الى تركيز دعائم حرية الرأي والتعبير، واعطائها مساحة هائلة في حيز القرار العراقي، والتي تفتقد لها أكثر دول العالم. ويبقى النصر الاعظم هو النصر المجتمعي الذي هزم كل التحديات بالتكافل والتراحم والاندماج فقد شهدت ظروف جائحة كورونا وزيارة الاربعين صورة التلاحم والاندماج المجتمعي العراقي حتى توج صبرُ هذا الشعب بلوحة رائعة هي نجاح تنظيم بطولة خليجي 25 في البصرة.

انتهت العشرون عاماً.. ماذا بعد؟

ان ما مر به العراق من تحديات يمكن ان تتحول الى مخاطر إذا لم تجد لها الدولة استجابة، ومن بينها تحديات الفرز السياسي الداخلي التي تتطلب رعاية بناءة ومستمرة لحالة الاندماج السياسي وإدامة الحياة والمشاركة السياسية والتداول السلمي للسلطة والحفاظ على الحريات التي تعيش هي الاخرى حالة من التحدي. ما يحتم على النظام السياسي بسلطاته واحزابه الاتجاه نحو حركة جذب واقعية للجمهور عبر ميكانيزمات السياسة في الاقتراع والتصويت والتمثيل النيابي والتشريع، وتحقيق التنمية المستدامة والامن الشامل وتقديم الخدمات، أن تحقيق هذه المحفزات البنيوية تتطلب الانتقال من دولة التحديات الى دولة الاستجابة، فما لم تتحقق هذه المحفزات لتكون رافعة للأداء السياسي، فإن البديل المؤلم سيكون هو التمرد والعنف.

ومن البديهي: أن مشكلات العراق وتحدياته ليست داخلية فحسب، انما ذات امتدادات دولية، فلابد من تعاون دولي مستمر، عبر الحوار والتفاهم والتواصل بما يعزز فرص مواجهة تحديات التنمية والأمن الشامل المستدام، ومواجهة التصحر والتغيرات المناخية، ومعالجة شحة المياه، ومكافحة المخدرات، ومكافحة الفقر والأمية، وتعزيز اتجاهات التوازن في العلاقات الخارجية في بيئة معقدة وصولاً الى تعظيم الامن الجماعي والاعتمادية المتبادلة.

بالرغم من التجارب الصعبة والصراعات المريرة التي مر بها العراق على مدى العشرين عاما الماضية، بيد أنه صار من أكثر المناطق استقرارا، ويتطلع الى بناء منطقة آمنة وبيئة تعزز فرص التنمية والحوار، انطلاقا مما يمتلكه من مؤهلات حضارية وتأريخية، واهمية استراتيجية متزايدة، ومقومات تمكنه من ادارة حوار دولي يؤسس للاستقرار والتعايش في المنطقة، فاستقرار العراق هو مفتاح استقرار المنطقة كلها، والعكس بالعكس تماماً.

وايماناً منا بدبلوماسية مراكز التفكير، وبضرورة التأسيس لمنظومة مصالح مشتركة بين القوى الفاعلة في العالم، فإن توحيد الجهود الفكرية والسياسية والدبلوماسية نحو المزيد من التفاهمات وبناء الثقة، وتغليب لغة الحوار المباشر على الشكوك والظنون، سوف يخلق بيئة مستقرة وطبيعية تضمن الحياة الآمنة والكريمة لشعوب المنطقة.

وتأسيساً على ما تقدم عقد المعهد العراقي للحوار مؤتمر حوار بغداد الدولي الخامس، في 19-20 اذار 2023 بالتعاون مع مجموعة من مراكز التفكير الدولية، من منطلق ان العالم يجب أن يوجد بيئة من المشتركات تكّون فرصاً للحوار والتلاقي والابتعاد عن قضايا التباعد والخلاف، فالمشتركات التي تجمع الدول في مجال الأمن والطاقة والتنمية تشجع على بناء شراكات حقيقية لمواجهة ما يمر به العالم من تهديدات وتحديات ومخاطر، وهي قادرة على إيجاد هذه البيئة عن طريق التفكير الجمعي بقنوات الحوار.

9
السنة الثامنة عشر
العدد 65
رمضان 1444
آذار 2023

حرب العراق بعد عشرين عاما: نحو تأسيس هيكل إقليمي جديد

■ لويس فوسيت

مجلة العلاقات الدولية- جامعة اكسفورد/ المجلد ٩٩/ العدد الثاني/ اذار ٢٠٢٣

■ ترجمة المعهد العراقي للحوار ـ فيصل عبد اللطيف ياسين

ان الحديث عن بنية إقليمية جديدة او نظام في الشرق الأوسط بعد حرب العراق يتطلب ادلة على حدوث تحولات واسعة ـ انتقال من تحالفات قديمة الى تحالفات جديد, تحولات في علاقات وانماط سلوك. ولا يتطلب الامر ان تكون هذه البنية مستقرة او موحدة, لكنه يلمح ضمنا الى ان أي عودة الى النظام السابق, مثل ذلك النظام الذي ساد في فترة الحرب الباردة او الفترة أعقبت الحرب الباردة مباشرة هو امر مستبعد الحدوث, ان لم يكن مستحيلا. وكما تجادل هذه المقال, حتى مع استمرار المنطقة اظهار ضعفها بوجه التحديات المتعددة, جرت هناك تحولات هائلة بأثار لا يمكن عكسها, ترتبط ارتباطا مباشرا بنتائج حرب العراق. وكما ذكر ذلك التحقيق البريطاني في حرب العراق الصادر سنة ٢٠١٦: «ان اثار الغزو والصراع الداخلي الذي اعقبه لا تزال تستشعر في العراق وفي الشرق الأوسط باسره.» كما انها واضحة في التحالفات الدولية المتغيرة في منطقة تحتوي الان, وان كان بشكل غير متساوي, على ثلاث قوى رئيسية ـ الولايات المتحدة, روسيا, والصين, وفي ميزان القوة الذي تطغى عليه المنافسة السعودية الإيرانية, والذي يفرض على الفواعل الأخرى تكييف نفسها معه, وفي المنظمات الإقليمية, والتي اظهر جميعها تحولات واضحة وتوجهات جديدة.

على مستوى التحالفات الدولية, هذا الامر ابرزته مؤخرا الحرب في أوكرانيا, حيث امتنعت حتى أكثر الدول العربية الموالية للغرب في المنطقة عن انتقاد الغزو الروسي او الاستجابة لمطالب رفع الصادرات النفطية لتلبية النقص الذي تولد عن العقوبات المفروضة على روسيا. غيرها من الدول, مثل إيران, ازدادت قربا من روسيا. بشكل مماثل, خلال فترة تفشي وباء كورونا, اتضح بشكل جلي النمو السريع في الارتباطات الدولية لدول المنطقة من خلال الاعتماد المتزايد على كل من الصين وروسيا للحصول على الدعم الحيوي والمؤن في ظل ما عرف بدبلوماسية اللقاح, وهو ما دل على كيفية تحول المنطقة من الاعتماد السابق على الغرب. لكن هذه الاحداث الأخيرة, تستند على مواقف جديدة, فهي سياسات واصطفافات تم تبنيها خلال وبعد تجربة حرب العراق, التي دفعت اثارها المسببة للاستقرار باتجاه تحولات سريعة في توازن القوى الإقليمي وفرضت الحاجة لتنويع شبكات الحلفاء والاطر المؤسساتية. بعيدا عن التنافس الإيراني السعودي, ظهر تطور اخر لاحق تمثل بالتنسيق العربي الإسرائيلي والذي تجسد في اتفاقيات السلام الابراهيمية عام ٢٠٢٠. وغير ذلك الشبكة المتشعبة والروابط التي تقوم دول الشرق الأوسط ببنائها مع دول الطوق الجغرافي في وسط اسيا واوراسيا ومنطقة المحيط الهندي وجنوب الصحراء الافريقية. في الواقع, ان الفكرة القائلة بان الشرق الأوسط منطقة معزولة جغرافياً كما تخيلها صناع القرار المستعمرين وما بعدهم لا تعني الكثير في يومنا هذا.

تقدم هذه المقالة تصورا جديدا عن اثار حرب العراق بعد عقدين من الزمن, مجادلة بان هذه الحرب ساهمت بشكل حاسم في تشكيل نظام إقليم جديد. هذه الفرضية ليست جديدة تماما, فمنذ بداية الحرب ومع تداعي الاحداث التي اعقبتها, حدد الدارسون اثارها العميقة على جيوسياسية المنطقة والعالم باسره. لكن, هذه الجهود الساعية لتحليل هذه الاثار غطت عليها سرعة تعاقب الاحداث والتطورات اللاحقة, مثل الربيع العربي, انتشار العنف الطائفي (بما في ذلك صعود وسقوط الدول الإسلامية في العراق وسوريا(داعش)) , والأزمات الإنسانية وأزمة اللاجئين. ان التأكيد على تبعات حرب العراق لا يعني التقليل من أهمية الاحداث أعلاه, لكنها تبرز كيفية ارتباطها بالحرب التي ساهمت بإشعال سلسلة من عمليات التغيير بطرق لم يتم دراستها بشكل كافي. بالاستفادة من مرور عشرين عام كانت كافية للتأمل, أصبح الوقت مناسباً لإعادة تقييم أهمية هذا الصراع بالنسبة للمنطقة على المدى الطويل.

هذه النظرة بعيدة المدى مهمة, والسبب الأول وراء ذلك يعود الى كون الاصداء السياسية للحرب لا تزال حاضرة, من ناحية التبرير والطريقة التي شنت بها الحرب ومن ناحية عملية صناعة القرار ـ ولم تغب دروسها والعبر المستخلصة منها عن القادة المتعاقبين. وكما يشير تقرير التحقيق في الحرب على العراق بوضوح الى انه عند بدء الغزو, لم تكن الحكومة البريطانية في موضع يسمح لها بالاستنتاج بان هناك خطط كافية تم رسمها واستعدادات تم تهيئتها لمواجهة تحديات ومخاطر ما بعد الغزو في العراق ولتفادي خطر الفشل الاستراتيجي. التقرير الأمريكي الذي استعاد سلسلة الاحداث صدر في وقت لاحق, في تقرير من جزئين أصدره الجيش الأمريكي, لكن وبالرغم من كون هذا التقرير اقل حدة من التقرير البريطاني, الا انه اثار نفس النقاط التي اثارها هذا التقرير. ثانيا, من وجهة نظر اكاديمية, تسلط الضوء على بعض سمات العلاقات الدولية في الشرق الأوسط والتي لا تزال غير مدروسة عن طريق التأمل بالأهمية المركزية للخيارات التي تقوم بها الفواعل والمؤسسات المحلية , بالإضافة الى حتميات سياسات القوة.

تبدا هذه الدراسة بنقاش يسعى الى تقديم سياق تاريخي وجيوسياسي للطبيعة التطورية للنظام الإقليمي, وتقديم مراجعة لبعض الادبيات المتعلقة

بحرب العراق. ثم تطرح الدراسة مصطلح «الانعطافة الحرجة» كدليل ارشادي يمكن تفحص عملية التغيير من خلاله. اما الأجزاء اللاحقة من الدراسة ستتناول عمليات التغيير على ثلاث مستويات مترابطة, مفترضة بانه في كل حالة من هذه الحالات حدثت مجموعة من التغييرات قادت المنطقة الى اتباع مسارات جديدة. المستوى الأول يتعلق بتأثيرات النظام الدولي والتأثيرات الجيوسياسية, وبشكل واضح, كيف غير اللاعبون الدوليون تموضعهم في اعقاب حرب العراق, تحديدا كاستجابة الى التراجع في نظام القطبية الأحادية. المستوى الثاني هو البعد الإقليمي. بعيدا عن التحول الجيوسياسي الذي تسبب به, كان لتدمير وإعادة بناء العراق, الذي كان حتى ذلك الوقت دولة إقليمية مهمة, أثر هائل على توازن القوى الإقليمي, انعكس على تحولات مشهد التحالفات والقوى في الإقليم. ثالثا, البعد المؤسساتي, تحديدا, كيف انعكست التحولات في الترتيبات الأمنية في المنطقة على المؤسسات الإقليمية وما هي الاثار التي ترتبت على ذلك.

علاوة على التداعيات الدولية والإقليمية التي تناولتها هذه الدراسة, فان الكثير من بلدان الشرق الأوسط, من بينها العراق بشكل جلي, والدول التي أصبحت لاحقا ميادينا لأحداث الربيع العربي والحروب التي تلته, شهدت اضطرابات داخلية غير مسبوقة, مثلت تحديا ليس للأنظمة السياسية القائمة فحسب وانما الى الحدود والوحدة الإقليمية لهذه الدول (صعود تنظيم داعش يمثل مثالا واضحا على ذلك). حجم الاضطراب الذي تعرض له العراق نفسه فاقمته الانقسامات الاثنية والطائفية والتحولات الديمغرافية التي غيرت الطبيعة الدولتية للامة العراقية. وفي الوقت الذي لا تركز فيه هذه الدراسة بشكل تفصيلي على اثار حرب العراق على السياسات ودول معينة بحد ذاتها, الا انها تسلط الضوء على التداخل القريب بين السياسات المحلية والإقليمية والدولية في تحديد مخرجات الحرب, والتركيز على مركزية الاعتبارات السياسية الداخلية في السلوك السياسي الخارجي للدول. ولكن مما يستحق الوقوف عنده هو ان حرب العراق وبالرغم من كل النوايا والدوافع التي كانت تقف ورائها لم تنجح في خلق مسار جديد للسياسات الداخلية في المنطقة. عوضا عن ذلك, وبسبب التهديد القائم بانقسام الدولة والطائفية, برز هناك نمط متكرر خلال الانتفاضات العربية, ساهم هذا النمط في تعزيز الاتجاهات الشمولية والثورات المضادة في داخل دول مهمة ضمن منطقة الشرق الأوسط.

ولم تكن حرب العراق العامل الوحيد في تحديد التحولات التي تم وصفها هنا, فهنالك عوامل أخرى جيوسياسية وإقليمية لعبت دورا في هذه المسألة. عناصر محددة ضمن الأنماط الجديدة والسلوكيات التي تم وصفها كانت شاخصة حتى قبل اندلاع الحرب ـ مثلا زيادة مكانة وارتفاع الثقة لدى دول معينة في المنطقة بعد ان ثبت ان امتلاك النفط هو سلاح فعال يمكن توظيفه. وغيرها من الاحداث التي جرت بعد مدة من حرب العراق, مثل الانتفاضات العربية, وتداعيتها, كانت هي الأخرى حاسمة جدا في عمليات التغيير, بالإضافة الى التناقص في الشهية الامريكية للتدخل مقابل تزايد انخراط دول أخرى في شؤون المنطقة, على راسها روسيا والصين. كل هذه المتغيرات كانت جزءا من تحول أوسع قائم من القطبية الأحادية الى تعدد أكبر في الأقطاب في المنطقة والعالم. ولكن, من وجهة نظر شرق أوسطية, كانت الحرب نقطة محورية في وضع المنطقة على مسار جديد. وكما أصبح من المستحيل العودة الى العراق القديم, لن تكون هنالك عودة النظام الإقليمي القديم, ولحرب العراق دور حاسم في ضمان عدم حدوث ذلك.

النظام الإقليمي ضمن السياق

ان فهم حرب العراق واهميتها في السياسة الإقليمية والدولية يحتاج الى وعي لسياقها التاريخي. إذا كان النظام الإقليمي تعرض للتحول, فما هو الشكل الذي

كان عليه النظام الذي سبقه؟ وعند مناقشة طبيعة النظام الشرق اوسطي, تبرز لنا تفسيرات مختلفة وفي بعض الأحيان متداخلة ومتناقضة, تستند على نظريات مختلفة من نظريات العلاقات الدولية ومقارباتها. مصطلحات مثل «النظام الدولي الفرعي», والنظام الأمني الإقليمي, تستخدم لتحديد الكيفية التي تتفاعل فيها بعض ابعاد هذا النظام مع البيئات المحلية. في الشرق الأوسط, الفرضيات المتعلقة بالنظام لا مفر منها: حيث توصف منطقة الشرق الأوسط بانها أكثر منظومة فرعية مخترقة في العالم, بشكل يكشف عن الكيفية التي تتدخل بها القوى الخارجية بشكل مستمر لتعزيز مصالحها الإقليمية وللترويج لرؤاها حول شكل النظام الإقليمي. ولكن, من اجل الوصول الى فهم أفضل واستيعاب خصوصيات المنطقة, بما في ذلك تاريخ الترتيبات السياسية والأمنية, بالإضافة الى ثقافاتها المختلفة وشعوبها, يتفق الباحثون على أهمية توظيف ليس فقط مقتربات المستوى الداخلي, لكن أيضا المقتربات التي تتناول السياسات الهوياتية. ويذهب الدارسون أصحاب النهج النقدي الى ابعد من ذلك عن طريق تسليط الضوء على الحاجة الى تضمين الرؤى القومية العربية والإسلامية في مفهم منطقة الشرق الأوسط وشمال افريقيا, هو عامل غالبا ما تفشل منهجيات العلاقات الدولية الرئيسية في التقاطه. وهو امر أيضا فشل في فهمه المناصرين لحرب العراق بشكل كبير, وهو ما ساهم اثبات صحة الآراء الناقدة للسياسات الغربية ووصفها بالاستشراقية. لقد كان هنالك فهم محدود لتركيبة المجتمع العراقي, وتكوينه الذي يتألف من خليط من الأقليات الدينية والاثنية, وكيف يمكن ان تتأثر هذه الجماعات بالسياسات المهلهلة لتغيير النظام وعملية فرض الديمقراطية من الأعلى الى الأدنى, والتي ابدلت الهيمنة السنية القديمة وولدت عنفاً طائفيا واسع الانتشار. يضاف الى ذلك تجاهل الحساسيات الإقليمية وهو امر له تاريخ طويل ويرتبط بشكل مباشر ببنية نظام الدول التي انشأتها القوى الاستعمارية. فهي مسؤولة بشكل جزئي على اقل تقدير عن نمو الحركة الجهادية وصعود تنظيم داعش وعن موجة الطائفية المستمرة وعن الصراع بين الدول الذي أعقب الحرب على العراق ويستمر اليوم في التأثير على السياسات الإقليمية.

في الوقت الذي أصبح فيه من المستحيل وصف الشرق الأوسط بمفردات مبسطة ـ وهنالك هؤلاء الذي يقومون بانتقاد الطبيعة الاصطناعية للمنطقة المحصورة جغرافيا بالشكل الذي تعرف فيه اليوم ـ هناك بعض المعايير ظهرت خلال فترة الاستقلال والتي مثلت نمطا مقننا ومعترف به من العلاقات خاضعة لهرميات إقليمية راسخة. تتضمن هذه المعايير اجماع حول مبادئ معاداة الاستعمار, بالإضافة مبادئ الى القومية العربية, والتي ترجمت بشكل فضفاض في مبادئ جامعة الدول العربية, المنظمة الإقليمية التي تأسست في سنة ١٩٤٥, وفي العداء تجاه دولة إسرائيل بعد انشائها في سنة ١٩٤٨. التراتبيات الإقليمية كانت جزءا من توازن القوى الذي استمر بفعل الإطار الذي خلفته ظروف الحرب الباردة, والذي لعبت فيه دول معينة مثل مصر وإيران وتركيا بالإضافة الى دول الخليج الريعية الناشئة, لكن الولايات المتحدة كانت هي القوة المهيمنة ضمن هذا الإطار. الاتحاد السوفييتي بدوره, قدم الدعم والاسناد الى دول عربية مثل مصر والعراق وليبيا وسوريا. هذا الاجماع وتوازن القوى بدا بالتحول قبل نهاية الحرب الباردة: حيث وقعت كلي من مصر ثم الأردن في وقت لاحق, وبدعم امريكي قوي, اتفاقيات سلام مع إسرائيل, وهو ما سبب اهتزازا كبيرا في النظام العربي. وحدث في إيران ثورة اجتماعية في عام ١٩٧٩, تسببت بحالة قلق في المنطقة لكنها فشلت في نهاية المطاف في جذب بلدان أخرى لتكرار نفس التجربة.

بعد نهاية الحرب الباردة, ومع استمرار التدخلات الخارجية وتحكمها بديناميات المنطقة, لم يعني هذا الحدث كثيرا بالنسبة للشرق الأوسط, على العكس

من غيره من مناطق العالم. وشهدت مرحلة ما بعد الحرب الباردة فوارقا في مدى انتشار الديمقراطية والسلام في ارجاء العالم. فما تبعها هو بروز عدة تحديات للنظام الإقليمي تسببت بها تداعيات الثورة الإيرانية والحرب العراقية الإيرانية وحرب الخليج الأولى وصعود وانهيار عملية السلام وظهور الحركات الإسلامية المتطرفة, لتصل ذروتها في هجمات٩/١١ وما تلاها ـ لكن يمكن القول ان أيا من هذه الاحداث, لم تضع المنطقة على مسار جديد بالطريقة التي تسببت بها حرب العراق لاحقا. ففي الوقت الذي كانت فيه الثورة الإسلامية في إيران نقطة تحول محورية في العلاقات الامريكية الإيرانية ودفعت باتجاه رفع الالتزامات العسكرية الامريكية والتي جعلت من حرب العراق ممكنة الحدوث, لكنها لم تخلق تحولا حاسما في الديناميات الإقليمية: فالدول العربية كانت تحاول ان توازن قوتها بالضد من إيران قبل الثورةو واستمرت بفعل ذلك بعدها, وان كان ذلك بالاعتماد على محور مختلف. وبالرغم من ردود الأفعال المعادية التي اشعلتها الثورة, كانت إيران ما بعد الثورة وخاصة في عقودها الأولى, دولة ضعيفة نسبيا داخلة في حرب طويلة مع جارها العراقي, ومستمرة بطرح رسالتها الثورية. بالنسبة لإيران, كانت حرب ٢٠٠٣ هي التي مثلت نقطة تحول حاسمة بالنسبة لطموحاتها الإقليمية.

حرب الخليج في سنة ١٩٩١ والتي أعقبت الغزو العراقي للكويت, كانت حدثا مهما للتمهيد الى حدوث حرب العراق في عام ٢٠٠٣ وفي تمكين الاكراد العراقيين على سبيل المثال, لكنها لم تقلل من ادعاءات العراق الإقليمية ولا من النزعة التدخلية الامريكية, ولم تمثل, حتى ذلك الوقت, مكسبا كبيرا لدول الإقليم الأخرى والقوى الدولية. في الحقيقة, ما أعقب حرب الخليج الأولى هو أضخم جهد امريكي مستمر من اجل التوصل الى اتفاق سلام إقليمي شامل ـ اشتركت فيه العديد من الدول العربية ـ وهذا الامر استمر لما يقارب العقد من الزمن. وفي اختلاف صارخ عن حرب سنة ٢٠٠٣, تم تبني حرب سنة ١٩٩١ من قبل مجلس الامن الدولي ولذلك كان ينظر اليها على انها حرب شرعية, بالرغم من ان عدد لا بأس به من الدول العربية اعترض على هذه الحرب, كما كشف عن ذلك التصويت في جامعة الدول العربية الذي اعترضت فيه ١٢دولة من أصل ٢١ دولة. كما انها جرت فيه وقت كانت فيه الأحادية القطبية الامريكية قريبة من ذروتها وتقريبا كانت من دون منازع. وهذا الوضع بطبيعة الحال تغير تماما بعد حرب عام ٢٠٠٣ ـ فهي حرب لم توافق عليها الأمم المتحدة, ولا اغلبية الدول سواء في داخل او خارج منطقة الشرق الأوسط, والتي شككت بشرعية هذه الحرب منذ البداية, وما لهذه الحرب من تداعيات على الهيمنة الامريكية وعلى سمعة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط وغيره. ونأت كل من الصين وروسيا بنفسهما عن الحرب كما سيتم مناقشة ذلك لاحقا, وكذلك فعلت دول أخرى حليفة للولايات المتحدة بما في ذلك دول اوربية مهمة, على الرغم من الانقسام الأوربي بهذا الصدد ـ الامر الذي كشف عن التصدعات في التحالفات الغربية. بكل تأكيد, هذه المخرجات واثارها بعيد المدى لم تكن واضحة بشكل مباشر, فقد استدعى الامر عقد كامل من الزمن او أكثر لان تصبح هذه الأدلة واضحة, وبحلول ذلك الوقت, برزت أمور أخرى وتداخلت معها, مما جعل من الصعوبة بمكان فك ارتباطها عن احداث أخرى لها تداعيتها الخاصة.

ومن المفيد جدا مطالعة العدد الخاص من مجلة الشؤون الدولية الصادر في اذار ٢٠١٣ ـ وفيه استعادة لاحداث الشرق الأوسط بعد مرور عشر سنوات على حرب العراق. غطت المقالات الاثني عشر في هذا العدد والتي امتدت لما يقارب المائتي وخمسون صفحة من هذه المجلة المهمة ما هي الا شهادة على الأهمية الكبرى للعلاقات الدولية في منطقة الشرق الأوسط. فقد ساهم هذا العدد بشكل كبير, مع غيره من النتاج الادبي, في الحوارات والنقاشات

بين الآراء المؤيدة والآراء المعارضة للتدخل والذي نظر اليه من جوانب عديده تنسجم مع التحليل الذي تبنته هذه الدراسة ومع اعمال دارسين اخرين والذين كانوا قد سلطوا الضوء على الاثار التغييرية العميقة للحرب. وبالرغم من صدور العدد الخاص بحرب العراق قبل صدور تقرير لجنة التحقيق البريطانية, الا ان بعض ما توصلت اليه هذه الدراسات كان متوقعا بشكل كبير, حيث تصاعد النقد الموجه للحرب مع وضوح تكلفتها البشرية والمادية والأمنية. ان استنتاجات هذه المقالات كانت ثابته في تأكيدها على طبيعة ومدى التغيرات التي تسبب بها التدخل الأمريكي, من مقالة توبي دوج حول تغيير النظام في العراق والذي قاد الى ظهور «تنافسية بين الأنظمة الشمولية», الى مقالة فواز جرجس, حول نهج الرئيس أوباما الذي يمثل نهاية «اللحظة الامريكية» في الشرق الأوسط ويمهد الطريق نحو فراغ في القيادة العالمية. بالطريقة ذاتها, قراءة فيليب روبنس للتأثيرات المعقدة للحرب على السياسة التركية الخارجية الناشئة كقوة إقليمية صاعدة كانت قراءة ذكية جدا, وكشف غارث ستانسفيلد عن الكيفية التي تمهد فيها حرب العراق الى تفكك منظومة الدول التي تشكلت بعد الحرب العالمية الأولى, مع التركيز على منطقة كردستان كنموذج يمثل الشكل القادم للتحولات في الشرق الأوسط. وكما هو الحال مع الكتابات السابقة حول الحرب, غطت الاحداث اللاحقة او عدلت من نتائج هذه الدراسات, وليس اقلها استمرار اثار ما عرف في حينها بالربيع العربي والذي كان يعيش مراحله الأولى في ذلك الوقت. لكن الاستنتاجات الرئيسية كانت مصيبة الى حد كبير, كما تدعي هذه الدراسة, تبقى حرب العراق حاضرة في جميع الاحداث التي وقعت في وقت لاحق, بما في ذلك الصعود الدراماتيكي لداعش على سبيل المثال. ان بقاء نظام بشار الأسد في السلطة نتيجة للدعم الروسي والإيراني, في وسط حرب أهلية دموية جذبت اليها أطراف متعددة, يعكس ويؤكد أهمية توازن القوى الإقليمي الجديد, لكنه توازن تراجعت فيه أهمية سوريا نفسها, كما حصل سابقا مع العراق. ويظهر هذا التوازن, بالإضافة الى التراجع في الشهية الغربية للتدخل, التواجد المتزايد لروسيا في المنطقة. وتكشف الحرب المستمرة في اليمن البيئة التنافسية في الإقليم والتي يطغى فيها التنافس الإيراني السعودي على كلي شيء. وبشكل أكثر عمومية, أصبحت كل من روسيا والصين, بالإضافة الى قوى أساسية مهمة مثل الهند, فواعلا أكثر أهمية في المنطقة, ليس الى الدرجة التي يحلون بها محل الولايات المتحدة, ولكنها انفتحت على حلفاء جدد واشتركت في أنشطة اقتصادية, بعد ان خلقت حرب العراق فرصا امنيا واقتصادية يمكن لهذه الدول الانخراط فيها. وعند اخذ هذه الأمور معا بعين الاعتبار, ان هذه الاحداث تثبت بان حرب العراق وتداعيتها تمثل بشكل لا يقبل الشك نقطة لا عودة بالنسبة للمنطقة بقدر تعلق الامر بالنظام الإقليمي والعلاقات الدولية.

حرب العراق كمنعطف حرج

ان مصطلح المنعطف الحرج يتم استخدامه بشكل واسع في النقاشات السياسية وادبيات العلوم السياسية. ولوصف حرب العراق, تعتمد هذه الدراسة على ادبيات المؤسسية التاريخية, والذي يستخدم مفاهيم مثل الاعتماد على المسار والمنعطفات الحرجة لتفسير أنماط التحول والاستمرار المؤسساتي. ويقصد بالمؤسسات هنا مجموعة القواعد والممارسات التي تنظم السلوكيات في النظم الإقليمية على سبيل المثال. اما المنعطف الحرج فهو حدث او سلسلة من الاحداث المتكررة ـ في حالة حرب العراق وتداعياتها ـ تخلق قيودا وفرصا للحراك وتضع الفاعلين على مسارات جديدة يصعب الخروج عنها او العودة منها نتيجة لسلسة من عمليات التعزيز الذاتي. والاهم من ذلك, وعلى العكس من الصدمات, ان المنعطفات الحرجة نادرة الحدوث نوعا ما وتتخلل فترات طويلة من الهدوء

النسبي يصبح فيها الاعتماد على المسار جزءا ضمنيا من خيارات وافعال اللاعبين. وفي الوقت الذي يتم فيه استخدام المؤسسية التاريخية بشكل اقل في العلاقات الدولية من غيرها من اختصاصات العلوم السياسية, الا انها مفيدة جدا في سياقات محددة مثل النظر الى نهاية الحرب الباردة على انها منعطف حرج في النظام الدولي ومؤسساته, او الى ظاهرة الإرهاب العالمي كدافع وراء إعادة ترتيب الأولويات الأمنية. مؤخرا, خرجت بعض الطروحات التي تنظر الى وباء كورونا كحامل لنفس الاثار التحويلية على النظام الدولي, بالرغم من ان الوقت لا يزال مبكرا للحكم على اثاره طويلة المدى على أولويات الامن الدولي وبالتحديد نتيجة لتزامنه مع الحرب الاوربية الجديدة في أوكرانيا. وبتبني هذا التفسير, والذي يركز على التحولات الأساسي التي تتبع حصول حدث ما او سلسلة من الاحداث, تجادل هذه الدراسة بان حرب العراق وتداعيتها وضعت دولا ولاعبين اخرين في مسارات جديدة وجعلت من العودة الى الوضع القائم السابق امرا مستحيلا. وعند النظر الى الحلبات الدولية والإقليمية والمؤسساتية, وتشخيص الملامح الأساسية للتغيير بقدر تعلقها بمنطقة الشرق الأوسط, فأنها تستحضر المؤسسية التاريخية الى مستويات التحليل. ان حرب العراق تؤشر الانحسار في القطبية الأحادية الامريكية وصعود نظام دولي أكثر تعددا للأقطاب, وهو حدث عندما يضاف اليه التحولات الإقليمية والمؤسساتية التي تم تناولها هنا يساعد على وضع شرق أوسط القرن الواحد والعشرين في سياق تاريخي جديد ومختلف تماما. ان وضع المنطقة على مسارات جديدة سيلقي بالشك على مفهوم الشرق الأوسط بشكله المعروف تقليديا. وهذا لا يعني بالقول ان شرق أوسط ما قبل ٢٠٠٣ كان في حالة سكون ـ الشرق الأوسط هي منطقة غالبا ما يتم وصمها بانها أكثر عرضة للازمات والصدمات. ولا يعني ذلك ان هناك مسار او نمط ثابت سارت عليه الاحداث منذ الحرب على العراق, ولا يعني ذلك أيضا بان الفواعل الدولتية واللادولتية والمؤسساتية استجابت بنفس الشكل في الوقت ذاته. هذا الامر مستحيل نظرا لسلسلة المتكررة من الاحداث التي جرت ونظرا لاستمرار التقلبات التي عصفت بالنظام الإقليمي. ان المنعطفات الحرجة لا تفضي الى فترات من السكون والجمود, على العكس, فان هذه المنعطفات تغير المعايير القائمة وتوجد مسارات جديدة, ثم تنتج لاحقا نوع أنواع الأنماط المتكررة, ومنها في حالة حرب العراق يمكن تشخيصها في تجليات النظام الإقليمي والتحالفات الدولية. القسم اللاحق من الدراسة سيغطي هذه الفرضية على المستويات الثلاث الإقليمية والدولية والمؤسساتية.

الاثار الدولية

ان المستوى الأول الذي يتم تناوله هنا هو المستوى الدولي, والذي يمكن القول بانه المصدر الذي تدفقت منه كل التغييرات الأخرى. غالبا ما يوجه النقد الى مجال العلاقات الدولية لاستخدامه نهج يبدأ من الأعلى الى الأسفل, مع التركيز على سلوكيات دول رئيسية قادرة على توجيه تأثيرات ونفوذ الفواعل المحليين, لكن في حالة موضوع الدراسة فان استخدام هذا النهج هو امر لا مفر منه. على العكس من غيرها من الاحداث الإقليمية الكبيرة التي كان لها جذور محلية ودولية قوية (الحروب العربية الإسرائيلية, حروب لبنان, والثورة الإيرانية, او الحرب العراقية الإيرانية, على سبيل المثال) , حرب العراق كانت قرارا بدأ من الأعلى وامتدت اثاره الى الأسفل, وهي حرب لم تكن هناك حاجة لان تحدث, وحرب تم معارضتها من قبل العديد من اللاعبين الإقليميين والدوليين. ان قرار الولايات المتحدة بالذهاب الى الحرب وإعادة تصنيع الدولة العراقية وإعادة تشكيل الشرق الأوسط, كان جوهريا في تيسير نشوء اصطفافات دولية جديدة وتغيير التصورات حول القوة الامريكية, وفتح الطريق امام نشوء توازن قوى ومؤسسات جديدة في المنطقة. الاثار كانت أكبر

بكثير بسبب ان حرب العراق جرت في وقت كانت فيه القطبية الأحادية الامريكية في ذروتها, والشرق الأوسط كان يشكل احد اهم ميادين الاختبار للنظام العالمي الجديد الذي طرحه الرئيس جورج دبليو بوش بعد حرب الخليج الأولى عام ١٩٩١, و التمحور باتجاه اسيا كان لا يزال مشروعا في طور التكوين. حتى إذا ما كان النظام العالمي الجديد قد تعرض الى بعض الضربات نتيجة لأحداث عقد التسعينات, بما في ذلك عملية السلام وصعود التطرف الإسلامي المعادي للغرب, الا انه لم ينكسر وضل قائما, وما قرار شن الحرب على العراق الا دليل على استمرارية ذلك النظام. لكن طول امد الحرب وتكلفتها وفشلها في نهاية الامر لتحقيق أهدافها المعلنة كان له اثارا كبيرة على النفوذ الأمريكي في المنطقة وفي العالم باسره, بشكل حط من السمعة الدبلوماسية للولايات المتحدة. باستخدام كلمات جوزيف ناي, ان الحرب تسبب حالا بانتهاء لحظة القطبية الأحادية وسقوط الهيمنة الامريكية والفشل في توسعة الديمقراطية, وهي تهم خطيرة, لكن محتواها لم يغب عن الحلفاء والخصوم.

كل ما تقدم لم يكن مخططا له. لقد تحدث الرئيس أوباما عن الحرب كواحدة لم يكن يجب ان تخول وتشن, لكنه تحدث أيضا عن الذهاب الى ما هو ابعد من العراق وتجديد القيادة الامريكية للعالم. لكن, أي تجديد للقيادة لم يكن ليحدث على مسرح الشرق الأوسط وليس وفقا لذات الشروط. انذرت نهاية حرب العراق بتغير بارز في طبيعة الانخراط الأمريكي في المنطقة, من الانغماس المكثف الى الانغماس المنخفض ـ وهو ما أبرزه الانسحاب الأمريكي من العراق نفسه ومن ثم أفغانستان, والادوار الحذرة التي مارستها الولايات المتحدة في كل من ليبيا وسوريا. ولاحظ مارك لينش في مقالته نهاية الشرق الأوسط كيف ان ثلاثة رؤساء أمريكيين متعاقبين خفضوا من الالتزامات الامريكية الأمنية في المنطقة. واقعا, لم يكن هذا الامر فكا للارتباط, لكن تحولا فيه. من ناحية القواعد العسكرية وصادرات الأسلحة, لا تزال البصمة الامريكية هي الأكثر وضوحا من غيرها من القوى الأخرى, على الرغم من الانسحاب من العراق وأفغانستان. في هذا الصدد, فان الاعتماد على المسار بالنسبة للالتزام العسكري الأمريكي والانتشار الخارجي بقي واضحا. ولكن, بعد حرب العراق, تراجع الاستعداد الأمريكي لاستخدام مصادر القوة «الصلبة», حيث رجحت كفة الاحتفاظ بتواجد عسكري محدود واعتماد على القوة الجوية او ما يعرف بالحرب البديلة واستخدام الوكلاء والطائرات المسيرة وأنظمة العقوبات مع تبعات لا يمكن التكهن بها من حيث النتائج وانعكاسها على سمعة الولايات المتحدة. ان اغتيال الجنرال الإيراني سليماني باستخدام طائرة مسيرة أمريكية في شهر يناير ٢٠٢٠ هو دليل على هذه الاستراتيجية, والتي تم تصميمها لاضعاف قوة إيران الإقليمية, والتي كانت واضحة أيضا من خلال تجديد نظام العقوبات بعد الانسحاب الأمريكي من الاتفاق النووي الإيراني. بالإضافة الى الانخفاض في الشهية الامريكية للتدخل المباشر, كان هناك تآكل واضح في مصادر القوة الناعمة للولايات المتحدة, بما في ذلك المصداقية والمكانة كقوة رائدة في الإقليم, وتبعات ذلك بالنسبة لحلفاء الولايات المتحدة وخصومها على حد سواء. هذه لم تكن «البداية الجديدة» التي وعد بها الرئيس أوباما في خطابه في القاهرة. البعض من هذه الأمور كان سيحدث بكل الأحوال, او كان سيحدث في مكان اخر, في ضوء التحديات الدولية الجديدة والانتقال الى التعددية القطبية, لكن الاحداث في العراق كان لها دور حاسم في تشكيل ملامح الانخراط الأمريكي دوليا. بالموافقة على ابرام صفقة أسلحة جديدة في شهر تموز ٢٠٢٢, سعى الرئيس بايدن الى تطمين حلفاؤه الإقليميين, لكن الدروس التي استخلصتها الدول العربية من تجربتها مع الولايات المتحدة دفع بها للبحث عن استقلالية أكبر و اتباع أنماط جديدة من السلوك.

ولم تغب هذه الدروس عن منافسي الولايات المتحدة او حلفاؤها حول العالم. فكل من روسيا والصين, اللتان عارضتا الحرب, وساهمتا في منع صدور أي قرار بصالحها من قبل مجلس الامن الدولي, كانا هما الطرفين المستفيدين من الحرب في نهاية المطاف, وان كان ذلك بطرق مختلفة. فهما شاركا الولايات المتحدة مخاوفها من ادعاءات العراق واثارها على استقرار الخليج ولم يكونا على استعداد لتشكيل معارضة قوية بالضد من التدخل الأمريكي, لأسباب تتعلق بالسياسة الداخلية وبمكانتهما الدولية. ومهما يكن من الامر, فقد استفادا ماديا واستراتيجيا من النأي بنفسهم عن هذا الصراع وتداعياته اللاحقة. وظهرت فرص جديدة قدمت نفسها الى هاتين القوتين تنسجم مع تطلعاتهما للتأثير الدولي. بسبب دعمهما لمبدأ السيادة أولا ولوقفهما بصف الأمم المتحدة, فقد ظهرت هاتان الدولتان وكانهما مع الجانب المحق في حرب العراق. بالنسبة الى الصين فان الفرص التي أصبحت متاحة كانت في اغلبها اقتصادية - أصبحت المنطقة مركزا لمبادرة الصين الطموحة الطريق والحزام, والتي جرى الكشف عنها في عام ٢٠١٣. بحلول عام ٢٠٢٠, أصبحت الصين شريكا تجاريا رئيسيا مع دول المنطقة ومستورد لنفط الشرق الأوسط, بالإضافة الي تصدرها في ميدان التعاون في مجال الطاقة النووية. لكن الدارسين لاحظوا أيضا بان الحرب كان لها تأثير اخر على الصين, حيث شجعتها على التفكير على الصعيد العالمي, للخروج من عزلتها والتمتع بعضويتها للمجتمع الدولي الاوسع.

اما روسيا, فان الفرص التي قدمت نفسها لها كانت اقتصادية واستراتيجية وسياسية, وقام باغتنامها بشكل سريع وفعال الرئيس بوتن من اجل إعادة تأسيس موطأ قدم كانت قد خسرته منذ الستينات. بعد التدخل في ليبيا, والذي عارضه بوتن, جائت الفرصة خلال الحرب الاهلية السورية, والتي تماشت مع سياسة روسيا الخارجية المضادة للثورات كما برز ذلك من خلال مواقفها اتجاه الثورات الملونة. ان الرد الروسي على احداث الربيع العربي, وخاصة الدعم الدبلوماسي والسياسي والعسكري الذي قدمته لنظام بشار الأسد, مثل عودة القوة الروسية والنفوذ الى المنطقة. وما مكن التنامي في النفوذ الروسي في سوريا ليس فقط التغيير في اتجاهات سياستها الخارجية, ولكن أيضا ساهم في ذلك أيضا التراجع في الشهية الامريكية للتدخل بعد حرب العراق. لذلك فانه بالنسبة لكل من روسيا والصين ساهمت حرب العراق في تآكل اسطورة الغرب الذي لا يهزم وفتحت الشرق الأوسط كمجال تنافسي وميدان للفرص الاستراتيجية والاقتصادية.

اثار الحرب على حلفاء الولايات المتحدة كانت أكثر تعقيدا, لكنها ذات عواقب. أولا, كشفت الحرب عن الانقسام في اوربا حول أي سياسة شرق أوسطية موحدة, لذلك اضعفت إمكانية الوصول الى رد غربي موحد. دول اوربية مهمة, على راسها فرنسا وألمانيا, عارضتا التدخل, وتمسكتا, كما هو الحال مع روسيا, بنهج يقدم دور الأمم المتحدة. لكن اوربا خرجت منقسمة, حيث دعمت كل من بريطانيا واسبانيا وعدد من دول اوربا الشرقية الولايات المتحدة, وكشفت عن الرؤى المتناقضة حول المنطقة. هذا الامر أضر بالاتحاد الأوربي, والتحالف الغربي وصورة اوربا في منطقة الشرق الأوسط وشمال افريقيا. تراجعت اسبانيا عن قراراها بعد تفجيرات مدريد عام ٢٠٠٧, لكن هذا شكل نكسة لاي سياسة اوربية مشتركة. التحدي لاوربا أصبح لاحقا هو الإبقاء على الدور في فترة إعادة الاعمار بعد الحرب, وهي فترة تلت الفشل الأمريكي في تحقيق عملية السلام في المنطقة. وفي الحقيقة انخرطت الدول الاوربية في سلسلة من المبادرات مع دول المنطقة في الفترة التي تلت الحرب حملت سياسات واعدة مثل سياسة الجوار الأوربي, والاتحاد من اجل المتوسط, والتي بنيت على عملية برشلونة التي سبقتها. كذلك سعت دول الاتحاد الأوربي الى التوسط بين الولايات المتحدة وإيران,

ولعبت دورا كبير في الفترة التي سبقت النقاشات التي أدت الى توقيع الاتفاق النووي الإيراني. لكن هذه الملامح الإيجابية المبدئية للسياسات الاوربية انحرفت بفعل المصالح الإقليمية المتنافسة وفي ضوء الانهيار الذي أعقب ثورات الربيع العربي اللاحقة والتي قضت على أي سياسة اوربية موحدة. أوضح الثورات العربية بان الاتحاد الأوربي كما هو الحال مع الولايات المتحدة لم يكن صديقا للديمقراطية , علاوة على ذلك, ساهمت هذه الثورات في ردود الفعل الشعبوية العنيفة حيث انقسم الاوربيون حيال التعامل مع ازمة اللاجئين, مقوضة القوة الاوربية الثمينة. ويمكن القول ان موقف بريطانيا من حرب العراق وما تبعها من ثورات وانعكاسات ساهم في عزل الاتحاد الأوربي عن بريطانيا, وبالتالي ساهمت في نتيجة التصويت على خروج بريطانيا من الاتحاد الأوربي. اذا ما كان الخروج البريطاني من الاتحاد الأوربي في جزء منه يتعلق بموضوع السيادة, فان قرار التدخل الى جانب الولايات المتحدة ومن دون تفويض من الأمم المتحدة يظهر بان قضايا مثل السيادة كانت تبرز مع استمرار بريطانيا في استعراض عضلاتها في منطقة نفوذ تاريخية لها. الدروس التي تعلمتها دول الإقليم وغيرها من دول العالم كانت واضحة. وتقر دول الشرق الأوسط بأهمية الشراكة الاقتصادية مع اوربا, لكنها قوة ضعيفة سياسيا, متذكرين قول رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق اريل شارون عندما وصف الاتحاد الأوربي كدافع للأموال وليس لا عبا مهما في المنطقة.

باختصار, انتجت حرب العراق تحولات جيوسياسية كشفت عن ان الميدان الدولي متعدد وتنافسي للعديد من القوى, كما هو الحال في المستوى الإقليمي والمستوى المؤسسي الذي سيتم تناوله في ادناه.

العلاقات الإقليمية

بعيدا عن التحدي الذي شكلته الحرب للنفوذ الغربي والامريكي في المنطقة والعالم, وتقليصها لعمر لحظة القطبية الأحادية وتقويضها للادعاءات الدولية الليبرالية, كانت للحرب تداعيات إقليمية هائلة. اهم ملامح هذه التداعيات كانت التصدع والحط من منزلة العراق كدولة إقليمية قوية, وتفاقم العنف الطائفي وتعزيز صعود داعش بالإضافة الى ظهور الحكومات الإقليمية الكردية المدعومة من الولايات المتحدة. والمتغير الاخر تمثل بتعميق تحالف العراق مع إيران ضمن محور شيعي, وما صاحب ذلك من تغييرات لتوازن القوى الإقليمي, وتقوية الدور التنافسي لدول الخليج في المنطقة, وعلى رأسها السعودية. ان تمكين استراتيجيات الهيمنة الإيرانية والسعودية عن طريق انخراط حلفائهم ووكلائهم من الدول وغير الدول لا يمكن فهمه من دون الإشارة الى حرب العراق. هذا الجزء من الدراسة سيركز على المواقف الإيرانية والسعودية في الفترة التي أعقبت الحرب, مع الإشارة الى الأدوار المعاكسة لكل من إسرائيل وتركيا, ودراسة استراتيجيتهما في إطار سعيهما للبحث عن النفوذ الإقليمي.

لقد كانت المنطقة مسرحا للتنافس بين الدول الإقليمية صاحبة التطلعات لسنوات طويلة. ولكن, وكما تم مناقشة ذلك انفا, ساد في المنطقة توازن قوى قلق بتراتبيات تزعمتها قوى قائمة ويعود ذلك في جزء منه الى الضغوطات التي فرضتها فواعل خارجية. على سبيل المثال, بقيت تطلعات مصر للهيمنة الإقليمية تحت السيطرة لوقت طويل. لكن غزو العراق, الذي قاد الى تغيير النظام وإعادة هيكلة الدولة, خلق تغييرات لا محدودة في البنية الإقليمية ومثل تحديا جوهريا للنظام القائم. كل الدول بما في ذلك حلفاء الولايات المتحدة وخصومها على حد سواء, صارت ملزمة بصياغة استراتيجيات جديدة واليات للتعامل مع اللااستقرار والتداعيات التي افرزها اضعاف وانهيار دولة إقليمية محورية. ومن الجدير بالملاحظة هنا انه وعلى الرغم من دخوله في حربين قبل عام ٢٠٠٣, بقي العراق لاعب إقليمي قوي مرتفع المكانة منذ توقيع اتفاقيات كامب ديفيد في

عـام ١٩٧٨. هـذه الاتفاقيـات تلتهـا عزلـة مصريـة مـن العالـم العـربي, وهـو مـا سـمح للعـراق ولسـوريا الـى درجـة اقـل بطـرح أنفسـهما كبديـل طبيعـي لقيـادة المنطقـة. والعـراق, علـى العكـس مـن سـوريا, قـدم ثقلا موازيـا مهمـا لإيـران, والـتي يتنافـس معهـا العـراق منـذ زمـن بعيـد, يسـبق قيـام الثـورة الإسـلامية, ليتفجـر هـذا التنافـس علـى شـكل حـرب امتـدت لثمـان سـنوات ١٩٨٠-١٩٨٨. وفي واقـع الامـر, ان القـوى الغربيـة والـدول العربيـة علـى حـد سـواء كانـت تنظـر الـى العـراق كمـوازن مفيـد بالضـد مـن الرسـالة الثوريـة المزعزعـة للاسـتقرار الـتي جـاءت بهـا الجمهوريـة الإسـلامية, وقامـت بدعـم العراقييـن خـلال الحـرب بيـن الدولتيـن لهـذا السـبب تحديـدا. الحـرب انتهـت بوقـف لاطـلاق النـار رعتـه الأمـم المتحـدة ـ بشـكل فعلـي مثـل ذلـك هزيمـة للعـراق, والـذي بـدا هـذه الحـرب, ونصـر جـزئي بالنسـبة لإيـران, والـتي نجـت مـن هـذه الحـرب. وهـذا الـى حـد مـا يفسـر قـرار العـراق اللاحـق لغـزو الكويـت والـذي تسـبب باشـعال حـرب الخليـج الأولـى في سـنة ١٩٩١, الممهـدة لحـرب عـام ٢٠٠٣, والـتي شـهدت نهايـة طموحـات صـدام حسـين الإقليميـة. ان الخلاصـة أعـلاه تظهـر أهميـة العـراق المركزيـة ضمـن هيكليـات القـوة الإقليميـة وثقـل تداعيـات ازالتـه كدولـة جوهريـة في الإقليـم في زمـن يسـود في اللااسـتقرار علـى الصعيـد الدولـي والإقليمـي.

اثـار الحـرب علـى المنطقـة كانـت عميقـة جـدا, وتشـابكت بسـرعة مـع سـرعة إيقـاع التطـورات الـتي شـهدتها المنطقـة منـذ بدايـة الانتفاضـات العربيـة في نهايـة عـام ٢٠١٠. وبـرزت هنالـك بعـض الملامـح الجديـدة للمنطقـة. السـعودية وإيـران, مـع حلفائهـم ووكلائهـم, أصبحـا منافسـين اقليمييـن رئيسـيين في صـراع مسـتمر لتشـكيل الشـرق الأوسـط, وهـذه المنافسـة تجلـت لاحقـا في العـراق ولبنـان وسـوريا واليمـن وفي منطقـة الخليـج نفسـها وغيرهـا مـن المناطـق. كذلـك شـهدت المنطقـة تصلبـا للمواقـف الأمنيـة الإسـرائيلية, حيـث هـددت تداعيـات حـرب العـراق, وفشـل جهـود عمليـة السـلام, باشـتعال جولـة جديـدة مـن انعـدام الاسـتقرار الإقليمـي. في وقـت لاحقـا, انعـدام الاسـتقرار هـذا, والتهديـد الإيـراني دفـع البعـض مـن الـدول العربيـة للتقـارب مـع إسـرائيل, معمقـة الانقسـام بيـن هـذه الـدول. وعلـى النقيـض مـن ذلـك, سـعت الاسـتراتيجية التركيـة الـى اظهـار زعامتهـا الإقليميـة وتأكيـد زعامتهـا الدوليـة, مـن خـلال اسـتراتيجيات الوسـاطة والتـوازن, لكـن المكانـة التركيـة ازداد تعقيـدا بسـبب المخـاوف الداخليـة بمـا في ذلـك التعامـل مـع المسـألة الكرديـة في داخـل تركيـا وخارجهـا.

لـم تسـعى إيـران الـى المكانـة والسـمعة الـتي وصمتهـا بانهـا دولـة مارقـة والـتي صـارت تعـرف بهـا. فقـد اردت إيـران اعترافـا بمكانتهـا كقـوة إقليميـة رئيسـية, وهـو هـدف قديـم تسـعى إيـران الـى تحقيقـه منـذ وقـت بعيـد. تمتلـك إيـران بعـض الحلفـاء الداعميـن لهـا في المنطقـة, سـوريا بشـكل بـارز, وحـول العالـم, حيـث يحظـى موقفهـا المعـادي للامبرياليـة بشـعبية داخـل دول مثـل كوبـا وفنزويـلا علـى سـبيل المثـال. لكـن قدرتهـا علـى الوصـول داخـل المنطقـة لا تـزال محـدودة وهـي كانـت قـد بحثـت عـن فـرص للتعـاون مـع الولايـات المتحـدة (والسـعودية بشـكل اكيـد) وذلـك قبـل وبعـد احـداث الحـادي عشـر مـن سـبتمبر, والـتي قـدم فيهـا الرئيـس الإيـراني تعازيـه وتعاطفـه مـع الولايـات المتحـدة. لكـن إدارة بـوش كانـت عازمـة علـى وضـع إيـران, بالإضافـة الـى العـراق وكوريـا الشـمالية, ضمـن محـور الشـر, ممـا أضـاع فرصـة التقـارب ولعـب دورا حاسـما في وقـت لاحـق في وضـع العلاقـات الإيرانيـة الامريكيـة علـى مسـار عـدائي. في الواقـع بعـض الباحثيـن لمحـوا الـى ان هـذا الجانـب مـن السياسـة الامريكيـة, الى جانـب البيئـة الغيـر مسـتقرة الـتي افرزتهـا حـرب العراق, شـجعت إيـران لإعـادة إطـلاق برنامجهـا النـووي المجمد في سـنة ٢٠٠٥. ان الفـوضى واللااسـتقرار الـذي خلقتـه الحـرب قـدم لإيـران فرصـة لتحقيـق طموحاتهـا الإقليمية عـن طريـق العـراق, مـن خـلال ارتباطاتهـا الواسـعة مـع النظـام العـراقي الجديـد وتشـكيل مـا صـار يعـرف لاحقـا

بتحالف حزب الله ـ العراق ـ سوريا ـ وحماس. اما علاقة إيران مع سوريا فقد ازدادت صلابة خلال الحرب الاهلية السورية. ومن المفارقات, فان كل من تطوير البرنامج النووي الإيراني والجهود الدولية لكبح هذا البرنامج, والتي قادت في نهاية المطاف بتوقيع الاتفاق النووي الإيراني برعاية الرئيس الأمريكي باراك أوباما, عكست القدرات الإيرانية الجديدة, واعطت زخما للمخاوف الأمنية بين الدول العربية وإسرائيل, والتي رأت في الصفقة تساهلا كبيرا مع إيران. وبعد قرار الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بالانسحاب من الاتفاقية النووية, استمرت طموحات إيران النووية ومكانتها الإقليمية المؤثرة ـ بالرغم من التأثيرات الحادة للعقوبات الامريكية وتفشي وباء كورونا, والذي ضرب البلاد بقسوة ـ جاعلا منها عنصرا لا يمكن تجاوزه في أي توازن قوى إقليمي.

بالمقابل, كانت السعودية ولفترات طويلة قوة إقليمية حذرة ومترددة, وتمتنع عن ممارسة أي أدوار خارج حدودها, وهي قوة حاولت البقاء خارج دائرة الصراعات الاقليمية الكبرى. لقد بدأ هذا الامر بالتغير. السعوديون الذي تورطوا في هجمات الحادي عشر من سبتمبر ثم تعرضوا للإرهاب في داخل وطنهم, شعروا بخيبة الامل من من برود علاقتهم مع الولايات المتحدة وسعوا الى تنويع تحالفاتهم الدولية وتقوية مكانتهم الإقليمية. قبل بدء حرب العراق, وفي إشارة الى نشاطها الإقليمي الجديد, اقترح الملك عبد الله مبادرة سلام عربية من اجل احياء الاجماع العربي حيال الصراع العربي الإسرائيلي. وخلال الحوارات مع الولايات المتحدة قبل قرار الغزو, بين السعوديون معارضتهم للحرب بشكل واضح. لكن هذا لم يمنع من تعاونهم اللاحق بما في ذلك السماح باستخدام القواعد العسكرية, لكنها اشرت بداية تبني سياسة أكثر حزما, سياسة ليست بالضرورة تسير في ركب الولايات المتحدة, موسعة من ارتباطاتها مع الصين وروسيا وموقفها من الحرب على أوكرانيا كشف عن التوجه الجديد.

ولكن, ان السعودية, مثل غيرها من حلفاء الولايات المتحدة, تحديدا إسرائيل, ازدادت مخاوفها من التهديد الإيراني وهيأت نفسها للعب دور الموازن او المحتوي لإيران, وهو دور استمر منذ السنوات الأولى للحرب وانتقل الى مسارح أخرى, اليمن بشكل بارز, ثم سوريا ولبنان. ولصفات التسليح دلالة كبيرة على ذلك, حيث سجلت مستويات الانفاق على التسلح التي تقوم بها دول الخليج, السعودية والامارات بشكل بارز, ارتفاعا هائلا بعد عام ٢٠٠٧.

لقد كانت العلاقة بين السعودية وإيران علاقة تنافسية, لكنها لم تكن عدائية بشكل ثابت. فخلال فترة حكم الشاه كانت هناك فترات من المصالحة بين الاثنين, حيث يمثل كلا الطرفين نموذجا للحكومات الملكية ومصدرا رئيسا للنفط على مستوى العالم. لكن الثورة الإيرانية هددت بالانتقال الى دول الخليج المجاورة مع وجود السكان الشيعة الساخطين فيها, خلق حالة من التنافس الجديدة على زعامة العالم الإسلامي وعلى حماية المزارات المقدسة. الى جانب الارتباطات الإيرانية المزعومة بين إيران والهجمات الإرهابية على السعودية, اثبتت اثار حرب العراق بانها كانت حاسمة في تشكيل السياسة السعودية, تحديدا بعد انتخاب رئيس الوزراء الشيعي نوري المالكي عام ٢٠٠٦. لقد سعت الولايات المتحدة الى تشجيع انشاء علاقات جيدة بين العراق والسعودية وغيرها من دول الإقليم, لكن السعودية استمرت بالنظر بعين الريبة الى النظام الجديد. وضاعت الفرص المبكرة للتعاون مع العراق, ومع حكومة المالكي الذي استمرت حكومته حتى عام ٢٠١٤, وشهدت تقاربا قويا مع إيران. وبالرغم من انفراج العلاقات السعودية مع العراق في وقت لاحق, الا ان الحرب واثارها اثبتت بانها كانت حاسمة ليس فقط في ترسيخ التنافس السعودي الإيراني, ولكن في الانقسام الطائفي في العراق وغيره في الوقت الذي استقطب فيه هذا الانقسام دولا وفواعل أخرى. ومع دخول المنطقة بفترة جديدة من الاضطراب في

اعقاب الانتفاضات العربية, امتد التنافس السعودي الإيراني الى سوريا واليمن, حيث دعمت الدولتان أطرافا مختلفة من أطراف الحرب الاهلية.

إذا ما كان التنافس السعودي الإيراني مؤثرا في تشكيل ميزان قوى جديد في المنطقة, ومتداخل مع الابعاد الجيوسياسية التي تم ذكرها انفا, هنالك سمات وملامح أخرى مهمة برزت على الساحة الإقليمية. أولا, ظهور توترات جديدة بين دول الخليج نفسها. قطر, بالاعتماد على ثروتها النفطية وقوتها الناعمة نافست السعودية على الهيمنة الإقليمية, متبنية سياسية خارجية أكثر نشاطا. وبالرغم من كونها دولة صغيرة, الا ان قدرتها على التأثير في الساحة الإقليمية كانت واضحة من خلال وجودها الإعلامي وادوار الوساطة التي قامت بأدائها, تحديدا في الصراع اللبناني في عام ٢٠٠٨. علاقات قطر الأكثر ودية مع ايران, الى جانب دعمها المستمر للإخوان المسلمين في مصر, اسفر عن بروز خلافات جدية مع السعودية والامارات العربية المتحدة. وهذا ما قاد بدوره في سنة ٢٠١٧ تشكيل تجمع عربي رباعي ساعي الى عزل ومعاقبة قطر, متسببا بشكل فعلي بتصدع في كتلة دول مجلس التعاون الخليجي. وبالرغم من ان هذه التطورات حدثت بعد حرب العراق بفترة طويلة, وتلتها خطوات لاحقة لإعادة الاجماع الخليجي, الا ان اثار زيادة تمكين إيران, وسياسة قطر الخارجية الاكثر استقلالية, والتحالف السعودي الاماراتي كلها عناصر مهمة في التغير في الهيكلية الاستراتيجية لمنطقة الخليج.

التغيير في مواقف ومكانة دولتان غير عربيتان من دول المنطقة هما إسرائيل وتركيا يستحق الذكر أيضا, بالرغم ان تقديم شرح تفصيلي حول ذلك يقع خارج نطاق هذه الدراسة. كلا الدولتان واجهتا تأثيرات قوية من حرب العراق والتطورات اللاحقة التي اعقبتها, وان كان ذلك بطرق مختلفة. وإذا ما كانت القضية الأساسية بالنسبة لإسرائيل متعلقة بتمكين إيران ووكلائها الإقليميين, فإنها بالنسبة الى تركيا كانت مرتبطة بالمطالب المتناقضة التي فرضت عليها بسبب عضويتها لحلف غربي, ولرغبتها في ممارسة سياسة إقليمية اكثر فاعلية, والتحديات التي مثلتها ظهور حكومة كردية إقليمية في العراق واثر ذلك على تركيا نفسها.

إسرائيل كانت معتادة على إدارة معضلاتها الأمنية بنجاح في مجال إقليمي منقسم كانت فيه الدول العربية الرافضة لعملية السلام وحلفائها الفلسطينيين هي مصدر القلق الوحيد امام إسرائيل. وتغير هذا الواقع بعد حرب العراق, عندما أصبح التهديد الإيراني الشغل الشاغل لإسرائيل, ودفع بها للاصطفاف بشكل اقرب مع القوى الغربية, وخاصة الولايات المتحدة, والتي رأت في ايران كقوة عدائية في المنطقة وفي السياسة الدولية بشكل يتعذر تغيره. إسرائيل, كما هو الحال مع السعودية, كانت معارضة وبشكل مستمر للبرنامج النووي الإيراني وعازمة على كبح ادعاءاتها الإقليمية بالإضافة الى كبح نشاطات وكلائها في لبنان وفلسطين, ورحبت إسرائيل بالدور الحازم الذي لعبه الرئيس الأمريكي دونالد ترامب. لقد كانت كل من تركيا وإسرائيل قوتين أساسيتين في المنطقة ولم تغير حرب العراق من حقيقة هذا الامر. لكن الحرب كان لها عواقب كبيرة من ناحية اضطرارهما لتكييف سياستهما الداخلية وإعادة ترتيب اولوياتهما الأمنية. بالنسبة لإسرائيل, صار التركيز الأمني منصبا على التهديد الإيراني, اما في حالة تركيا, كان التركيز على التهديد الكردي, وهو ما كان له اثار مباشرة على تشكيل تحالفات جديدة في المنطقة وتغيير في توجهات السياسة الخارجية. إسرائيل على سبيل المثال بإمكانها استغلال الانقسام العربي الجديد, والوصول الى العمق العربي من اجل الدخول في تحالفات وشراكات, كما اتضح ذلك في اتفاقيات السلام الابراهيمي. في الوقت الذي ثبت فيه ان عملية الموازنة التي تقوم بها تركيا بين الغرب والشرق لا يمكن لها ان تدوم. فمحاولة الإبقاء على نوع من أنواع الليبرالية الشمولية داخليا وسياسة

الاستقلال الاستراتيجي في الخارج شكلت تحديا لتركيا على صعد عديدة.

المؤسسات الإقليمية

ان التغيرات على المستوى الدولي والمستوى الإقليمي والتي افرزتها حرب العراق يمكن تحديدها بسهوله, حتى وان كانت هذه التغيرات اكتسبت زخمها بعيدا عن الحرب نفسها. على مستوى المؤسسات الإقليمية, والتي تفهم هنا على انها البنى الرسمية وغير الرسمية والتي تتعاون من خلالها الدول الإقليمية, كانت التغييرات اقل بروزا وبطيئة الأثر, لكنها ذات عواقب بعيدة المدى. للوهلة الأولى, ان المؤسسات العربية الرئيسية والأكثر تأثرا بالحرب على العراق ـ جامعة الدول العربية ومجلس التعاون لدول الخليج ـ نجت من التداعيات المباشرة التي افرزتها حرب العراق, كما نجت من قبل من الاثار المدمرة لحرب الخليج الأولى, بالرغم من تسببها في استقالة الأمين العام لجامعة الدول العربية. لكن مسالة نجاة هذه المؤسسات لا تمثل الصورة بأكملها, حيث ان هذه المؤسسات كانت ضعيفة في الأصل. وان حرب العراق هدمت أي مظهر من مظاهر التنظيم الإقليمي العربي, كأجهزة لصناعة القرار الجماعي, تلعب دورا ذا معنى في حل النزاعات الإقليمية. ان قرار غزو العراق تم اتخاذه من قبل الولايات المتحدة وحلفائها تم رفضه تقريبا من كل الدول العربية, والتي لم يكن لها دور كبير في عملية تنفيذ هذا القرار. ان الاضطراب الذي خلقته حرب العراق قاد الى حدوث أزمات وتعقيدات وإعادة تعريف لدور المؤسسات الإقليمية.

واستمر عمل المؤسسات الإقليمية ظاهريا في فترة ما بعد الحرب من حيث توالي انعقاد جولات القمم والاجتماعات. مجلس التعاون الخليجي على سبيل المثال كان نشطا, حيث تم طرح مسألة توسيع عضويته لتشمل المغرب والأردن بالإضافة الى تحويله الى اتحاد جامع, بالرغم من ان كلا الطرحين لم يتبلورا حتى الان. بعد اندلاع الانتفاضات العربية, ظهر الى السطح حالة من التفاؤل المؤقت والاحتفاء «باحياء» حظوظ كلا من هاتين المنظمتين. بدعم غربي, تبنى كل من مجلس التعاون الخليجي والجامعة العربية القرار الأممي رقم ١٩٧٣ والذي يفرض انشاء منطقة حظر للطيران في ليبيا. ثم قامت هاتان المنظمتان بدعم اجراء الحوارات في اليمن وسوريا, وتحركتا لعزل نظام الأسد. وبقيت سوريا مستبعدة من جامعة الدول العربية بالرغم من كثافة الجهود الرامية الى إعادة ضمها, الامر الذي يكشف عمق الانقسام العربي الداخلي. وعلى أي حال, عند النظر الى الوراء, يمكن رؤية ان هذه المبادرات لم تكن نتيجة لتعاظم قوة أي من هذه المؤسسات العربية, بل العكس هو الصحيح. لقد كانت هذه المبادرات نتيجة لضغط من قوى خارجية ومن دول إقليمية رئيسية, مثل السعودية, بشكل كشف عن التغييرات التي طرأت على البنية الإقليمية وعن الضعف في الاجماع العربي, والذي تم وصفه انفا. بكل تأكيد, ولان النظام الإقليمي يعيش في حالة ازمة من الاساس, لجأت جامعة الدول العربية بكل بساطة الى الاعتماد أطراف خارجية مثل حلف شمال الأطلسي و منظمة الأمم المتحدة للقيام بمهام كان من المفترض ان تتولاها الجامعة بالأساس, حيث دعي هؤلاء الى اسقاط أنظمة عربية والتدخل في الشؤون الداخلية لهذه الأنظمة, وبالتالي تقويض الأساس الذي أنشأت من اجله هذه المنظمة المسؤولة عن العمل والامن العربي المشترك.

اما في حالة قرار مجلس التعاون لدول الخليج العربي لاستخدام منظومة درع الجزيرة لإخماد الانتفاضة في البحرين ـ حراك قاده الشيعة ـ فقد كان النفوذ السعودي طاغيا. وبعد مرور بضع سنوات, نجح السعوديون في تأليف تحالف للقوى بالضد من الحوثيين المدعومين من إيران في اليمن ـ للدخول في حرب استمرت حتى اللحظة, بكلفتها الإنسانية الباهظة. واضح هذا الامر بالدليل عزم السعودية

وحلفائها السنة على منع انتشار النفوذ الإيراني في المنطقة, والذي يكمن السبب وراء تعاظمه الى حرب العراق. وكانت تقوية العلاقات مع إسرائيل والتي تشارك دول الخليج نفس المخاوف هي الخطوة المنطقية اللاحقة التي اتخذتها هذه الدول, وتكللت أخيرا بتوقيع اتفاقيات السلام الابراهيمي. لذلك وعلى جميع المستويات, شهدت المؤسسات القائمة تغييرات جوهرية, وظهرت هناك اطر إقليمية جديدة للتحالفات كنتيجة للإرباك الذي افرزته حرب العراق. وكانت قطر قد عادت الى مجلس التعاون الخليجي, لكن موقفها من قضايا جوهرية وخلافية بين الدول الأعضاء لم يتغير.

وهناك منظمة إقليمية أخرى تستحق الذكر فقط لإيضاح الازمة العامة التي تعانيها الإقليمية في الشرق الاوسط, الا وهي الاتحاد المغاربي. هذه المنظمة هي اتحاد بالاسم فقط, وكانت تعاني من الشلل بسبب الخصومات القديمة والاختلافات بين دولها الأعضاء. كما انها فشلت في الوصول الى موقف موحد سواء حيال حرب العراق او حيال الثورات العربية اللاحقة, حتى عندما مست هذه الأخيرة دولتان من دول هذا الاتحاد, الا وهي ليبيا وتونس. وبالرغم من قدرات هذا الاتحاد ككتلة اقتصادية وامنية, الا انه لم يقم بعقد أي اجتماع عالي المستوى منذ سنة ١٩٩٤, وفي سنة ٢٠٠٣ تم اقتراح عقد قمة لهذا الاتحاد, لكنها أُجلت بناءً على طلب ليبي. وكما هو الامر مع غيرها من المؤسسات العربية, فان افاق تعزيز وتعميق التعاون بين أعضائها محدودة جدا.

إذا ما كانت المؤسسات الإقليمية في الشرق الأوسط معروفة بهشاشتها وجمودها, من الجدير بالملاحظة كيف تطورت محاور أخرى للتعاون بين دول المنطقة نفسها, كما هو الحال في الاتفاق الرباعي بالضد من قطر, واتفاقيات السلام الابراهيمي, وأيضا مع دول الجوار الجغرافي والتي لا تعد تقليديا ضمن نطاق منطقة الشرق الأوسط وشمال افريقيا. فالدول الإقليمية هنا, خاصة تلك التي تقع في أطرافها, سعت الى تطوير تحالفات جديدة ومجالات جديدة للتعاون مع دول بعيدة عن المنطقة. وهذا الامر واضح تحديدا في حالة إيران وتركيا, حيث سعى كلاهما الى الانضمام الى مبادرات تربطهما بالمجال الاوراسي الاوسع, في الوقت الذي لجأت فيه دول خليجية محددة الى القيام بالشيء نفسه مطورة علاقاتها مع دول منطقتي المحيط الهندي والمحيط الهادئ ودول جنوب الصحراء الافريقية. كذلك أصبح كل من ايران وتركيا دولا أعضاء في منظمة التعاون الاقتصادي, والذي يربط دول جوار ايران, باكستان وأفغانستان, مع جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابقة المسلمة. تركيا سعت الى تطوير علاقاتها مع روسيا والدول المجاورة لها في منظمة البحر الأسود للتعاون الاقتصادي. في سنة ٢٠٠٤, قدمت ايران طلبا لعضوية منظمة شانغهاي للتعاون (والتي تضم كل من الصين وروسيا) , لتحصل على العضوية الكاملة في سنة ٢٠٢١ ـ في خطوة تمت رؤيتها كنصر دبلوماسي). وازدادت الارتباطات مع دول اوراسية أخرى بسرعة كبيرة. في اقصى الجنوب, انضمت ثلاث دول خليجية الى رابطة بلدان حافة المحيط الهندي, والتي ترأست الامارات رئاستها في العام الماضي. مثل هكذا ترتيبات مؤسساتية ظهرت لملء الفراغ الاقتصادي والأمني وللتأسيس لمسارات مستقبلية للتعاون وللتوفيق مع التغيرات الجيوسياسية الأكبر التي تم وصفها في أعلاه. هذا الامر لا يكشف فقط محدودية الهيكل المؤسساتي الإقليمي وامكانيات بعض القوى الإقليمية الجديدة, انما يكشف أيضا الطريقة التي تجاوزت بها المنطقة حدودها الاستعمارية وتعدتها للالتحاق بالمناطق الفرعية المجاورة. باختصار, ان التحديات التي فرضتها حرب العراق على المؤسسات الإقليمية بالإضافة الى غياب أي حوار أمني إو اجماع إقليمي ذو معنى, ساهمت في حدوث تغييرات هائلة في الترتيبات والاصطفافات المؤسساتية, من خلالها تراجعت أهمية المؤسسات القديمة وظهرت محلها اطر جديدة.

الخاتمة

لقد قدمت هذه الدراسة إعادة قراءة للتداعيات العميقة والمستمرة لحرب العراق ولدورها في التحول الذي طرا على النظام الأمني الإقليم, ملقية الضوء على اهم سمات التغيير التي حصلت. وهذا الامر في غاية الاهمية لان أهمية الحرب غالبا ما تضيع في خضم تداخلها مع وقع الاحداث اللاحقة وبسبب تردد أنصارها عن الإقرار بشكل كامل بالتداعيات والاثار التي تسببت بها. وقد سعت هذا الدراسة عن طريق التوسع في القراءات التحليلية للبحوث التي أصدرتها المجلة عام ٢٠١٣ الى ارجاع الحرب الى قلب التحليلات التي تتناول المنطقة والعالم في القرن الواحد والعشرين.

ان أحد الأمور التي يمكن التيقن منها هي ان حرب العراق, بعيدا عن ازالتها لنظام صدام حسين, فشلت في تحقيق الأهداف الرئيسية التي توقعها أنصارها الرئيسيون, على رأسهم الولايات المتحدة وبريطانية, واللذان سعيا الى الترويج للحرب كحملة ليبرالية بالضد من نظام طغياني وخطر وسيكون لها اثار من شأنها ان تعود بالنفع على المنطقة والعالم اجمع. وعند الفشل بتحقيق هذه الأهداف والفشل بقراءة نوايا العراق وقدرته, اضرت الحرب بشكل جدي بالمصالح والمصداقية الغربية. وقد بدت عملية تغيير الأنظمة بشكل متزايد كأداة سامة من أدوات السياسة الخارجية وهي صورة عززتها الدروس المتعلمة من التدخل في ليبيا. كما افرزت الحرب توترات واضطرابات جديدة وفاقمت من خطوط الانقسامات الداخلية والإقليمية والدولية, حيث لا تزال الشعوب والحكومات في المنطقة في حالة تنافس وصراع. بعض الدول واللاعبين في المنطقة خرجت مستفيدة من التغييرات التي افرزتها الحرب, ولكن, بشكل عام, تركت العراق اثرا من العواقب غير المقصودة, والتداعيات الأمنية الكبيرة التي كشفت عن الطريقة السيئة التي صيغ بها قرار الذهاب الى الحرب من قبل الولايات المتحدة وإزالة صدام حسين وإعادة تشكيل الدولة العراقية. من الدروس التي تجلت بعد الحرب, تطورت أنماط وممارسات جديدة قادت الى التغيير في النظام الإقليمي, حتى قبل تدخل الدول العربية لتعزيز ملامح التغيير هذا بعد حدوث الانتفاضات العربية.

هذا الامر صار لاحقا منعطفا حرجا بالنسبة للشرق الأوسط القديم ـ اكثر أهمية من غيره من المنعطفات والتي تزامنت مع التغييرات التي افرزتها الحرب ـ من دون قرار التدخل في العراق, الذي جاء مباشرة بعد التدخل في أفغانستان, لم يكن لتوازن القوى الإقليمي ان يمر بمثل هكذا تحولات سريعة, ولم يكن ليفتح العراق والشرق الأوسط ليكونا ميدانا لمثل هكذا تنافس دولي واقليمي حاد. وفي الحقيقة, ان جزء من التنافس بين القوى الإقليمية والخارجية كان ليظهر باي حال من الأحوال, ولكن توقيت وطبيعة ومخرجات هذا التنافس كانت ستختلف بكل تأكيد. كان يمكن ان يكون العراق الخاضع للعقوبات والتفتيش الاممي مسرحا للانتفاضات الربيع العربي, مثل جيرانه, لكنه النتائج ستكون مختلفة. من دون حرب العراق, من غير المرجح ان يحصل الانقسام الطائفي الذي فاقمته الحرب والتنافس السعودي الإيراني واضفاء الطابع الأمني على السياسات الطائفية في انحاء المنطقة, على الأقل ليس بنفس المستوى الذي حصلت به. وكما لاحظ أحد الدارسين, «ان الطائفية كسردية مهيمنة في الصراع الإقليمي ظهرت بعد احتلال العراق في عام ٢٠٠٣, لاحقا أصبحت «مترسخة بفعل الفراغ السياسي الذي وجد والتنافس الجيوسياسي الذي اعقب احداث الربيع العربي في عام ٢٠١١. في الوقت الذي لا يمكن فيه ربط انتفاضات الربيع العربي بشكل مباشر بحرب العراق, الا ان مخرجاتها والعنف الطائفي والصعود الجديد للنظم الشمولية التي صاحبتها, يمكن ربطها بشكل مباشر بالحرب على العراق.

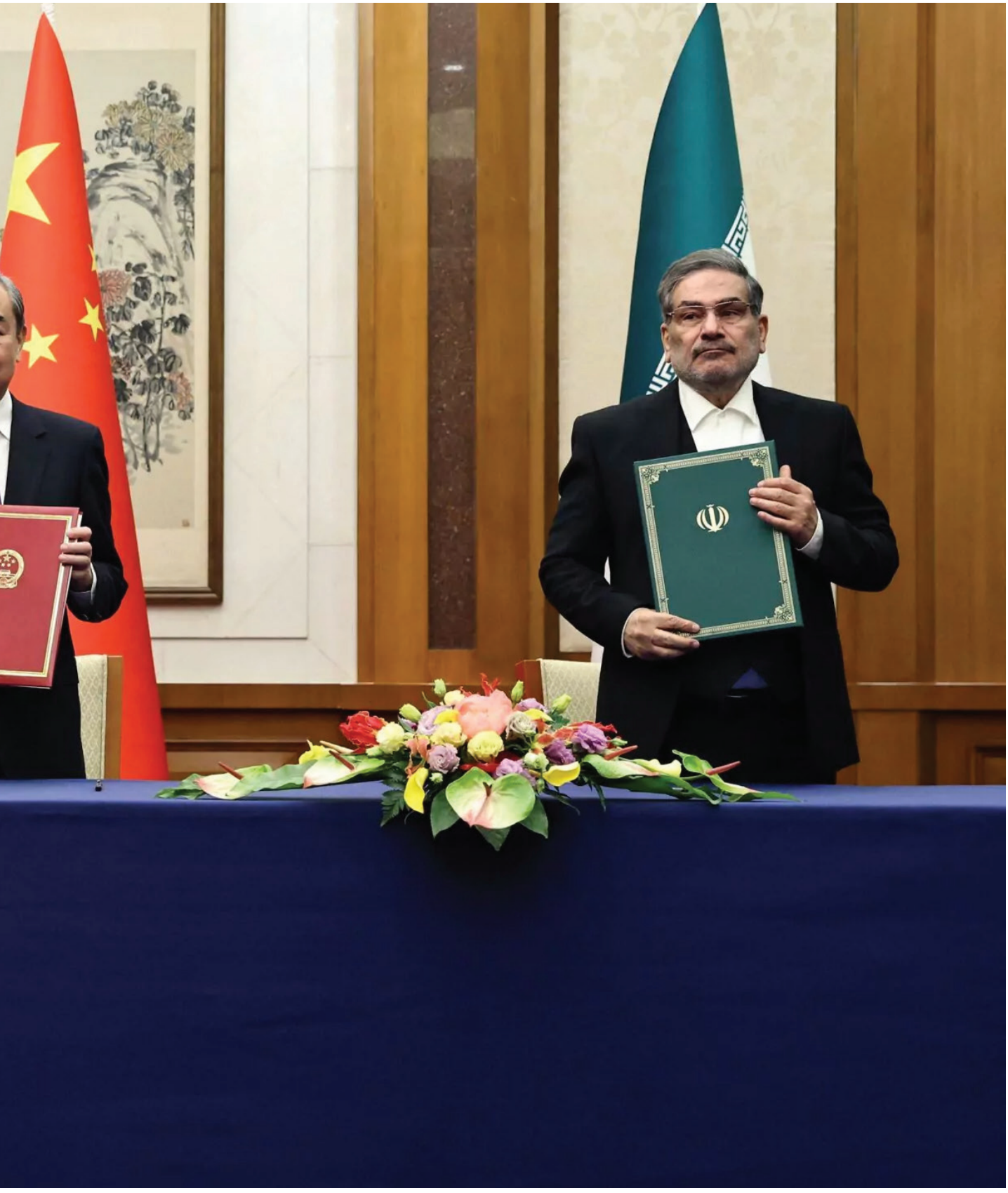

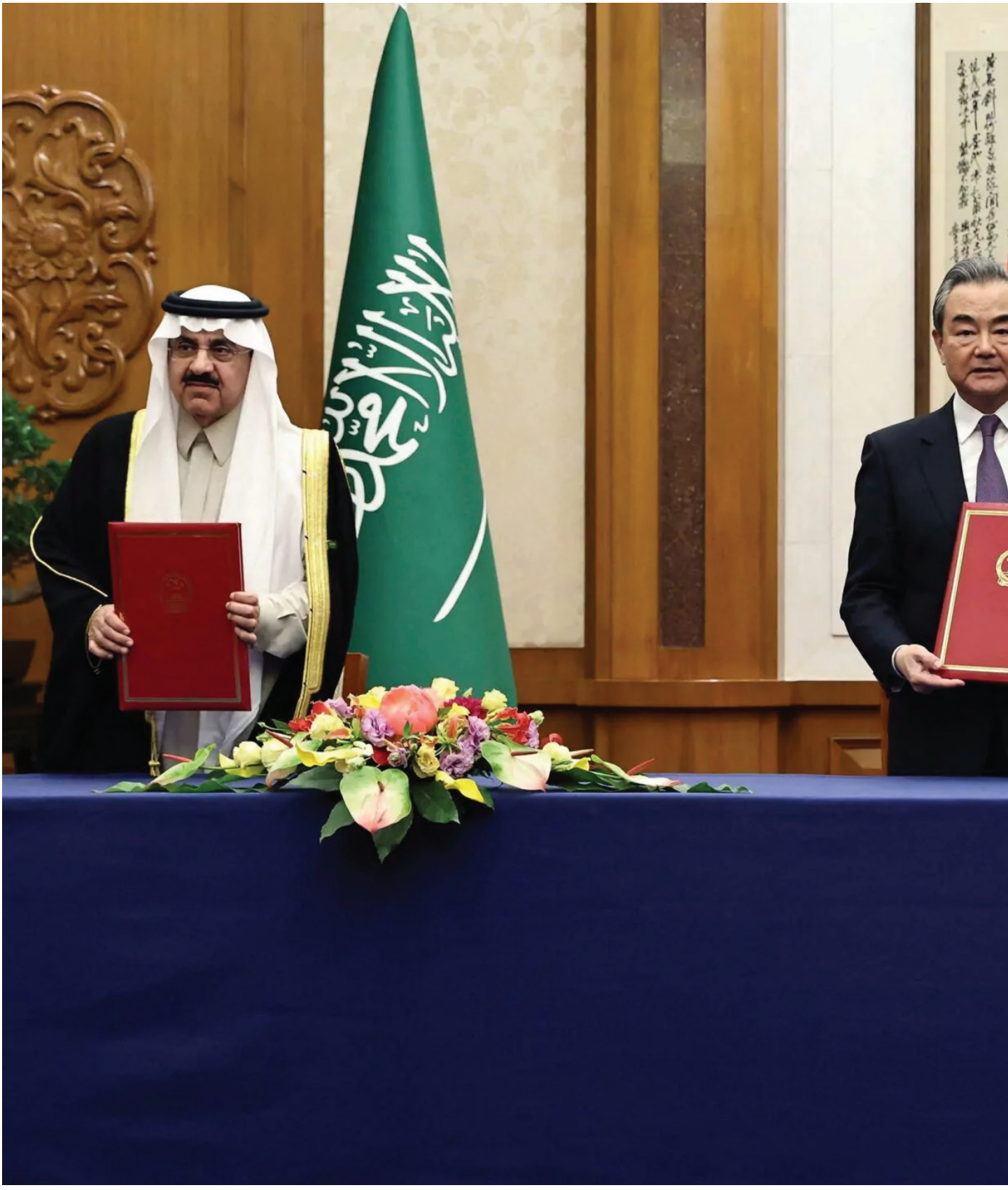

الخبراء يستجيبون:

عودة العلاقات السعودية الإيرانية برعاية صينية: ما الذي تعنيه بالنسبة للشرق الأوسط وللعالم

- نخبة من خبراء المجلس الاطلنطي

الناشر: المجلس الاطلنطي

تاريخ النشر: ١٠ اذار ٢٠٢٣

- ترجمة: المعهد العراقي للحوار ـ فيصل عبد اللطيف

هل سيتم اخيرا تجسير الفجوة المريرة التي قسمت منطقة الخليج؟ في يوم الجمعة المصادف العاشر من شهر اذار, أفصح الخصمان الاقليميان الذين مضى على خصومتيهما فترة طويلة عن خبر كبير مفاده قيامهما بإعادة العلاقات الدبلوماسية بينهما في صفقة قامت برعايتها الصين.

في هذا المقال, يشارك خبراء المجلس الاطلنطي رؤيتهم حول هذا الخبر العاجل وأهميته بالنسبة لواحد من اهم الخصومات الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط وللعالم بأسره.

المحاذير الكبرى المرتبطة بخفض التصعيد الظاهري هذا

■ وليام ف ڤيجسلير,

مدير أكبر في مركز رفيق الحريري وبرامج الشرق الأوسط في المجلس الاطلنطي ونائب مساعد وزير الدفاع الأمريكي للعمليات الخاصة ومكافحة الإرهاب.

ان المصالح الامريكية في منطقة الخليج ستكون مؤمنة بشكل أكبر إذا ما قامت الدول المحيطة بشكل فعال بتخفيض مستوى التوترات فيما بينها. وهذا هو ما حدث تماما عندما افضت الاتفاقية الأمنية بين السعودية وإيران في سنة ٢٠٠١ الى تجنب صراع كان سيمتد الى عشرات السنوات بالرغم من انعدام الثقة الكبير المتبادل بين الطرفين, وهذا الامر لا يزال ينطبق على الواقع اليوم. لذا ينبغي علينا الترحيب بخبر عودة العلاقات الدبلوماسية ما بين هاتين الدولتين, والتي جاءت بعد اتفاقية العام الماضي بين الامارات العربية المتحدة وإيران لتبادل السفراء مرة أخرى.

ومهما يكن من الامر, فان الاتفاقية هذه المرة تأتي مع وجود محاذير كل منها يثير تساؤلات استراتيجية مهمة بالنسبة للولايات المتحدة. اول هذه المحاذير, والأكثر وضوحا, هو ان الصين كانت هي الجهة التي جمعت بين هذين الطرفين, حيث تزامن الإعلان مع بداية الولاية الثالثة للرئيس شي جينبينغ. بعد سنوات طويلة من الادعاءات الصينية بان الصين ترغب فقط ببناء علاقات اقتصادية مع دول الشرق الأوسط وأنها لا تسعى الى أي نفوذ سياسي, باستطاعتنا رؤية ان مثل هكذا تصريحات لم تكن صادقة. في الواقع, ان الصين قامت بتوسيع نفوذها السياسي في المنطقة بشكل ثابت لمدة عقدين من الزمن, وهو ما أبرزته الزيارة الأخيرة التي قام بها شي جينبنغ ال الرياض في شهر كانون الأول وزيارة الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي الى الصين في الشهر الماضي. بالأمس, وعدت الصين بان مصالحها في المنطقة هي مصالح اقتصادية فقط, وأنها لا تريد ان تكون لاعبا اقتصاديا رئيسا في المنطقة, اما اليوم فان الصين تعد بانها تريد فقط نفوذا دبلوماسيا, لا وجودا عسكريا في المنطقة. على العالم عدم تصديق وعود الامس, وبكل تأكيد ينبغي عليه عدم تصديق وعود اليوم.

ثانيا, يأتي هذا الإعلان وسط تنسيق قريب بين الولايات المتحدة وإسرائيل بصدد الردود المحتملة على برنامج إيران النووي, وفي خضم تمارين عسكرية مشتركة وزيارة مستشار الامن القومي الإسرائيلي الى البيت الأبيض في هذا الأسبوع قبل زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي بينيامين نتنياهو الى اوربا والتي ستتناول الموضوع نفسه. في الوقت الذي قد يرحب به البيت الأبيض بقرار خفض التصعيد, لن تقوم الحكومة الإسرائيلية بالشيء نفسه, حيث ستقرأها إسرائيل كخطوة محسوبة للتقليل من خطر تعرض إيران لعمل عسكري. ولن يكون الامر مفاجئا إذا ما تم الإعلان عن استئناف المفاوضات الامريكية الإيرانية حول خطة العمل الشاملة المشتركة مرة أخرى برعاية الصين. في الوقت الذي يبقى فيه حدوث مثل هكذا خطوة هو امر مستبعد في ظل الظروف القائمة, الا ان مثل هكذا اعلان سيتم الترحيب به في واشنطن وسينظر اليه في القدس على انه تراجع في قدرة الردع الإسرائيلية الامريكية بالضد من إيران.

دور الصين هو رسالة تحذير الى الولايات المتحدة بضرورة عدم التخلي عن الشرق الأوسط

■ جوناثان بانيكوف

مدير مبادرة سكوكروفت لأمن الشرق الأوسط ضمن برنامج الشرق الأوسط. ضابط استخباري سابق في شعبة الشرق الأدنى في مجلس المخابرات القومي الأمريكي.

والآراء التي ذكرها المؤلف لا تمثل وجهة نظر مكتب مديرية

المخابرات القومية, او المجتمع الاستخباري او أي وكالة حكومية أمريكية

ان قرار السعودية وإيران إعادة العلاقات الدبلوماسية وتبادل السفراء مبني على تفاعل هادئ كان يجري لمدة سنوات وعلى النمو في التبادل التجاري بين البلدين الذي شهده العام ٢٠٢٢. وعلى أي حال, وأكثر من أي شيء اخر, ان هذا الاتفاق يعكس الرغبة السعودية في تهدئة الأجواء مع إيران. بالرغم من جميع التقارير التي تحدثت عن التوسع في الروابط الأمنية والاقتصادية, وإمكانية التطبيع بين السعودية وإسرائيل, الا ان الهدف الرئيس للرياض وتركيزها الاستراتيجي الوحيد هو تنويع مصادر الاقتصاد بعيدا عن الوقود الاحفوري. ومن اجل تحقيق ذلك, ترى الرياض ان امنها ذو أهمية قصوى من اجل تأمين عدم تعرض عمليات استخراج ونقل وبيع النفط الى التخريب وان ينظر الى البلاد كمكان امن للاستثمار الأجنبي المباشر طويل الأمد. كلا هذين الامرين من الممكن ان تقوضهما الهجمات الإيرانية او هجمات وكلائهما بسهولة ـ وهو احتمال تراجع بشكل كبير بعد عقد هذا الاتفاق.

في الوقت نفسه, يأتي هذا التقارب في وقت تتوتر في الأمور بين إيران من ناحية والولايات المتحدة وإسرائيل من ناحية أخرى. فتخصيب إيران لجزيئات اليورانيوم وصل الى ٨٣.٧ بالمئة ـ وهي نسبة اقل بقليل من نسبة النقاء المطلوبة لإنتاج الأسلحة النووية والتي تبلغ ٩٠ بالمئة ـ الامر الذي يتسبب بقلق شديد بين صناع القرار الإسرائيليين والامريكيين. وعن طريق ابرام الصفقة مع السعودية في هذا الوقت, ترى إيران ان في ذلك فرصة لإبطاء التنامي في العلاقات السعودية الإسرائيلية. ومن المرجح ان تستمر الرياض في التعاون الأمني والاستخباري مع القدس, لكن طهران تراهن على الاغلب بان نظرائهم السعوديون سيكونون اقل ميلا لتمكين عمل عسكري إسرائيلي او امريكي بالضد من إيران.

وعلى أي حال, ان الامر الأكثر اثارة في هذا التطور, ربما يكون دور الصين في المساعدة في التوسط لإتمام هذه الصفقة. فالرأي السائد في الشرق الأوسط وبين الكثيرين في الولايات المتحدة هو ان الصين لا تمتلك شيئا في المنطقة سوى مصلحتها الاقتصادية وأنها راضية بالإفادة من الضمانات الأمنية التي تقدمها الولايات المتحدة. وبعد انتهائي يوم أمس من مؤتمر حول العلاقات الصينية مع دول الشرق الأوسط وشمال افريقيا في مدينة الدوحة, أستطيع القول بان هذا الراي كان شائعا بين الخبراء هنا. لكن الروابط الاقتصادية والتجارية غالبا ما تفسح المجال امام الانخراط السياسي الذي يمكن ان يقود في نهاية المطاف الى تعاون أمنى واستخباري. ويمكن القول باننا نشهد اليوم ظهور دور الصين السياسي في المنطقة وهو الامر الذي ينبغي ان يكون بمثابة تحذير لصناع القرار في الولايات المتحدة بان القيام بترك الشرق الأوسط والتخلي عن العلاقات مع الحلفاء التاريخيين والذين يمكن ان يكونوا مصدرا للاحباط وحتى همجيين في بعض الاحيان, سيؤدي هذا الامر ببساطة الى خلق فراغ ستقوم الصين بملئه . وينبغي ان لا يكون هناك شك, بان شرق أوسط تهيمن عليه الصين سيقوض بشكل كبير الامن التجاري وامن الطاقة والامن القومي الأمريكي.

هذه ليست نهاية لحقبة زمنية ولا بداية لحقبة جديدة

■ توماس س واريك

باحث غير مقيم في مركز سكوكروفت للاستراتيجية والامن ومبادرة سكوكروفت لامن الشرق الأوسط في

المجلس الأطلسي

يتوجب على واشنطن عدم المبالغة في ردة الفعل ولا التقليل من شأن اعلان اليوم بان الصين لعبت دورا في استئناف العلاقات الدبلوماسية بين السعودية وإيران. بلدان أخرى ذات علاقة ودية مع الولايات المتحدة, العراق بشكل ملحوظ, رعت عملية الحوار بين دبلوماسيين ومسؤولين امنيين إيرانيين وسعوديين. دور الصين المعلن في اعلان اليوم يظهر اهتمامها في عمل امر فقط قلة قليلة من دول أخرى باستطاعتها عمل امر مثله, وهو الحصول على ثقة الطرفين.

ان عودة العلاقات الدبلوماسية بين طهران والرياض قد لا يؤدي الى تغير كبير في الواقع الأمني في منطقة الخليج. بشكل عام, على المجتمع الدولي مباركة خفض التصعيد بين إيران والسعودية ـ وهو تصعيد أدى فيما مضى الى عنف مستمر وعدم استقرار في اليمن والممرات المائية المحيطة بالجزيرة العربية. لأسباب جيوبولتيكية أكثر من كونها دينية, ستبقى السعودية وإيران تنظران الى بعضهما الاخر بعين الريبة. لذلك فان واشنطن لا تحتاج الى رؤية اعلان اليوم كنهاية لحقبة او كبداية لمرحلة جديدة.

على أي حال, ان الامر يتطلب قيام كل من الكونغرس وإدارة بايدن بتقييم إذا ما كان نهج واشنطن بخصوص الصورة الأمنية في منطقة الخليج يعمل لخدمة المصالح الامريكية الأمنية طويلة الأمد. وهي مصالح تختلف عما كانت عليه قبل أربعين او حتى عشرين سنة. الصين اليوم مستهلك رئيسي للنفط السعودي والإيراني. اما الولايات المتحدة فانها لا تستورد أي نفط من إيران والقليل من النفط من السعودية. لكن طبيعة أسواق النفط العالمية باي حال من الأحوال تعني بان الولايات المتحدة لا تزال تمتلك مصلحة اقتصادية وامنية في ضمان تدفق النفط من الدول الغير خاضعة للعقوبات الى الأسواق العالمية.

ان التقرير الذي كان قد أشار الى قيام السعودية بتقديم شروطها الى واشنطن حول تطبيع العلاقات مع إسرائيل يجب ان يحظى باهتمام الدبلوماسية الامريكية في الوقت الحاضر. ومن الممكن ان تكون شروط الرياض هذه غير قابلة للاستجابة من قبل واشنطن, لكن الإعلان عن اشتراك الصين في عودة العلاقات الدبلوماسية بين إيران والسعودية يظهر بان الدبلوماسية في الشرق الأوسط حية وفاعلة وأنها لا تمر بالضرورة من خلال واشنطن

إيران لن تغير هدفها الاستراتيجي الرامي للهيمنة الإقليمية

■ دانيال بي شابيرو,

مدير مبادرة N7 وزميل في المجلس الاطلنطي وسفير امريكي اسبق لدى إسرائيل للفترة من ٢٠١١ ولغاية ٢٠١٧.

باستطاعة واشنطن رؤية الجانب الإيجابي والسلبي الذي يحمله الإعلان عن استئناف العلاقات الإيرانية السعودية برعاية صينية. الجانب الإيجابي يتمثل في ان تقليل التوترات بين السعودية وإيران هو احد الأهداف التي تتبناها الولايات المتحدة, بعد ان قدمت الأخيرة دعمها لجولات سابقة للحوار مثل تلك التي تم عقدها في العراق او في عمان. إذا ما تم تطبيق هذا الاتفاق, وهو تساؤل في محله, فان من شأنه ان يضع نهاية للحرب في اليمن, كما سعت الولايات المتحدة الى ذلك من قبل, والى تقليل التوترات في العراق والتي أدت في اوقات سابقة الى الاستهداف المباشر للقوات الأمريكية هناك. اما الجانب السلبي يكمن في رؤية ارتفاع النفوذ الصيني عن طريق اظهار قدرة الأخيرة على توظيف علاقتها البناءة مع طرفي النزاع في الشرق الأوسط هو

امر مقلق, وهو دليل اخر على الشكوك السائدة في المنطقة, حتى بين شركاء الولايات المتحدة, حول استمرارية بقاء الولايات المتحدة في المنطقة.

يقوم كل من السعوديون والصينيون هنا بمقامرة كبيرة, حيث يضعان الرهان على حسن النوايا الإيرانية. في الوقت الذي اختارت فيه إيران وفي أوقات مختلفة رفع وخفض التصعيد مع جيرانها, لا يوجد هناك أي مؤشر على التغيير في الأهداف الاستراتيجية للنظام, والتي تتضمن الهيمنة الإقليمية المعززة ببرنامج نووي مستمر بالتوسع, ونطاق واسع من النفوذ الممتد خلال الجماعات الإرهابية العاملة بالوكالة في ايران والعراق واليمن, والعداء المفتوح لإسرائيل, الشريك المهم لدول الخليج العربي, ومن ضمنها السعودية وان كان هذا الامر غير رسمي. هل ستنجو المصالحة السعودية الإيرانية اول تراجع إيراني قد يحصل نتيجة لسعي إيران لتحقيق أهدافها الاستراتيجية المشار اليها انفا؟ وما هي الأدوات التي يمكن ان تستخدمها الصين عندما يتم انتهاك فقرات وروح هذا الاتفاق من قبل إيران.

عندما يحدث هذا الامر, سيكون بمثابة تذكير للرياض بان بكين, بكل قوتها وتأثيرها الاقتصادي والدبلوماسي, هي شريك لا يمكن الوثوق به لضمان امن المملكة. وقد يأمل السعوديون بان لجوئهم الى الصينيين يمنحهم افضلية في المطالبة بالمزيد من الأسلحة والضمانات الأمنية والتقنية النووية السلمية من الولايات المتحدة ـ كحزمة مطالب مقابل الوصول الى صفقة تطبيع للعلاقات مع إسرائيل. لكن حاجة السعوديين الى الدعم الأمريكي لن يتراجع وسيتطلب الاثبات لإدارة مترددة وللكونغرس وللرأي العام الأمريكي بأنهم لن يعودوا لموائمة مصالحهم مع المصالح الصينية أكثر من موائمتها مع المصالح الامريكية.

الصين قامت بأول مغامرتها الدبلوماسية الكبرى في الشرق الأوسط

■ جوناثان فولتن

باحث غير مقيم في برامج الشرق الأوسط ومبادرة سكوكروفت لامن الشرق الأوسط في المجلس الأطلسي

لفترات طويلة كانت الفرضية القائمة تقول ان قيام الصين بإرضاء طرفي الصراع في منطقة الخليج هو امر لا يمكن ان يستمر لفترة طويلة, وان على بكين في نهاية المطاف التصرف مثل بقية الدول وان تختار أحد الأطراف على حساب الطرف الاخر. وهو امر يتجاهل أسس دبلوماسية الشراكة الاستراتيجية والقائم على المصلحة ويركز على تطوير العلاقات الثنائية بدلا عن خلق تحالفات تستهدف أطراف أخرى. لقد استطاعت بكين من تكثيف علاقاتها مع الطرفين في منطقة الخليج, كل ذلك في الوقت الذي قامت فيه ببناء رأس مال دبلوماسي بطريقة لا تستطيع الدول الأخرى مجاراتها. على النقيض من ذلك تقع الولايات المتحدة التي لا تمتلك أي نفوذ إيجابي داخل طهران. ففي الوقت الذي تمتلك فيه الصين العصا, الا انها تؤثر استخدام جزرة التنمية والاقتصاد, في حين تقوم الولايات المتحدة باستخدام العصا فقط.

ان هذا التفاعل بين السعودية وإيران قد يقود الى حدوث شيء إيجابي, او من الممكن ان لا يفضي الى شيء أصلا. من المبكر جدا الادعاء بان ما حدث هو شيء أكثر من كونه خطوة أولى في الطريق الصحيح. وعلى أي حال, ان هذا الامر هو خطوة عظيمة بالنسبة لانخراط الصيني في الدبلوماسية الإقليمية. فبكين أرسلت إشارات واضحة منذ شهر يناير الماضي على الأقل بانها مستعدة لتعزيز نسخة شرق أوسطية غير معتمدة على الولايات المتحدة,

وما حدث هو دلالة على ما ستؤول اليه الأمور في المستقبل.

بشكل او بأخر فقد خرجت الصين وكأنها صانعة للسلام في المنطقة

■ كريستين فونتينروس

باحث غير مقيم مع مبادرة سكوكروفت لامن الشرق الأوسط في برامج الشرق الأوسط في المجلس الاطلنطي.

ان الاتفاق السعودي الإيراني ليس صيغة من صيغ الشراكة, انما هو اتفاقية عدم اعتداء. لم يتنازل أي من الطرفين عن أي شيء وفقا لهذا الاتفاق. فإعادة افتتاح السفارات ما هو الا طريقة لزيادة فرص التجسس على بعضهما الاخر.

ومن الممكن توقع خيبة الامل السعودية القادمة. فإيران لا تزال تسلح الحوثيين في اليمن منذ بدأ انتهاء وقف إطلاق النار في الخريف الماضي. والسبب وراء ذلك من وجهة النظر الإيرانية بان الحوثيين يمكنهم العودة بمهاجمة السعودية وبإمكان إيران انكار دورها في ذلك وبالتالي انكار قيامها بخرق الاتفاق.

ولا يتوجب على إسرائيل القلق بان تقوم هذه الصفقة بتقليل فرص حدوث تطبيع العلاقات مع السعودية في نهاية المطاف. فلدى المملكة اولويتان يتمثلان في التأمين ضد التهديدات الإيرانية وتوسيع قاعدتها الاقتصادية. ان الاتفاق مع إيران وإسرائيل ضروري لتحقيق الهدف الأول. لكن إيران لا تستطيع المساهمة بشكل هادف لتحقيق الهدف الثاني, لكن إسرائيل باستطاعتها فعل ذلك. ان أي ضغط إيراني على السعودية باتجاه عدم تطوير العلاقات مع إسرائيل سيتم تجاهله بشكل تام من قبل وليد العهد السعودي الذي يركز على اهداف التنمية. الصين هي الرابح من هذه الصفقة. فالبلد التي قامت ببيع طرفي النزاع الأدوات التي يقاتلان بها بعضهما الاخر خرجت وكأنها رسول للسلام في المنطقة.

الصين قامت بتوجيه ضربة مؤلمة للولايات المتحدة في منطقة الخليج

■ احمد أبو عودة

باحث غير مقيم يعمل مع برامج الشرق الأوسط في المجلس الاطلنطي

ان الطموح الصيني الرامي الى التوسط ما بين السعودية وإيران هو ليس بالأمر الجديد. فخطة الصين ذات النقاط الخمسة, والتي عرضها بزهو الدبلوماسي الصيني الكبير وانغ يي قبل سنتين من الان, طرحت الرؤية الصينية لأمن المنطقة وكشفت عن ملامح اهداف بكين الرامية للتحول الى لاعب إقليمي.

بالنسبة الى الصين, تعزز هذه الاتفاقية شرعيتها كوسيط دبلوماسي من العيار الثقيل قادر على حل أكثر المعضلات الجيوستراتيجية في المنطقة. ومن الممكن ان تخلق الظروف الملائمة للتحول في التوازن الاستراتيجي ضمن سياق التنافس مع الولايات المتحدة في منطقة الخليج. ان طموحات الصين لوضع نفسها كصانع للسلام محل ثقة يمكن ان يغطي مجال كبير من الصراعات في سوريا وليبيا واليمن, خاصة بعد هذه الاتفاقية. هذا الامر قد يكون ذو بعد اشكالي بالنسبة للولايات المتحدة. فتردد الولايات المتحدة لإنفاق المزيد من رأس المال السياسي على الوساطة في حل النزاعات وهو ما يتم النظر اليه بشكل متزايد كدلالة على التراجع في القوة الامريكية وتركيزها على التنافس مع الصين في منطقة لقاء المحيط الهندي بالمحيط الهادئ. هذا الاتفاق من الممكن ان يزود القيادة الصينية بالمزيد من الخيارات الاستراتيجية نظرا لان تخفيض التوترات بين الرياض وطهران سيخلق نوعا

من أنواع الامن والاستقرار الضروريين لصادرات النفط المتوجهة الى الصين, وخطوط الاتصال البحرية, ولاستثمارات الصين المرتبطة بمبادرة الحزام والطريق.

اما بالنسبة لكل من السعودية وإيران, فان التزام الصين الظاهري بمبدأ «عدم التدخل» وسياستها الإقليمية القائمة على الحياد تضفي مصداقية كبيرة على موقعها كوسيط بين الطرفين. ولنكون واضحين, فان كلا البلدين يبدوان متحدين في نفورهما من إدارة بايدن, وان كان هناك اختلاف في درجة هذا النفور. على أي حال, وبالرغم من استضافة العراق لهذه المحادثات في معظمها, الا ان رغبة الصين بتصدر المشهد تلائم مع استعداد الرياض وطهران لتقديم هذا النصر الدبلوماسي للصين, وهو مؤشر صريح على تنامي نفوذ الصين لدى أكبر قوتين في منطقة الخليج.

ومن المنتظر رؤية فيما إذا كانت الوساطة الصينية ستتماسك في المستقبل, وإذا ما ستمتد لتغطية الصراعات الأخرى في المنطقة. ومهما يكن من الامر, فقد وجهت الصين ضربة موجعة الى الولايات المتحدة في منطقة الخليج.

ما هو الدور الذي لعبته القناة التليفزيونية الإيرانية في المهجر في هذه الصفقة؟

■ **هولي داغريس**

زميل غير مقيم في برامج الشرق الأوسط في المجلس الاطلنطي

بعد فترة قصيرة من الزيارة التي قام بها الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي الى بكين في شهر فبراير والتي استمرت لمدة ثلاث أيام ـ اول زيارة لرئيس إيراني الى الصين منذ عشرين عام ـ حدثت انعطافه غير متوقعة في مسار الاحداث: عودة العلاقات الثنائية بين المملكة العربية السعودية والجمهورية الإسلامية في إيران بعد سبع سنوات من القطيعة. العلاقات بين الجارين الخليجيين قطعت بعد مظاهرات اقتحمت على إثرها الممثليات الدبلوماسية السعودية في طهران ومشهد كردة فعل على اعدام نمر النمر, رجل الدين الشيعي, والمنتقد للسياسات السعودية في شهر يناير ٢٠١٦.

منذ نيسان ٢٠٢١, رعت بغداد محادثات كانت تهدف الى استعادة العلاقات الثنائية بين هذين اللاعبين الإقليميين. سادس جولة من المحادثات تزامنت مع حدوث مظاهرات جماهيرية مناهضة للحكومة الإيرانية اشعلتها حادثة مقتل مهسا اميني في شهر سبتمبر ٢٠٢٢. وأوردت التقارير ان المحادثات توقفت على اثر قيام قناة ايران الدولية الفضائية والتي تبث من المهجر بتغطية المظاهرات, والتي تؤمن المؤسسة الدينية في ايران بانها يتم تمويلها من السعودية وهي مسؤولة عن التحريض على التمرد في جميع انحاء البلاد خلال الخمسة اشهر الماضية. في تقرير لصحيفة الغارديان في سنة ٢٠١٨ جاء فيه ان هذه القناة ـ والتي يطلق عليها بعض الإيرانيين تسمية «السعودية الدولية» ـ يتم تمويلها من قبل شركة مملوكة من رجل اعمال سعودي مرتبط بعلاقة قوية مع العاهل السعودي محمد بن سلمان, ولكن, وفقا لوكالة الاسوشيتيد بريس, ان مالك القناة, شركة فولتانت الإعلامية, لم تعد مملوكة من قبل شخص يحمل الجنسية السعودية.

بعض الإيرانيين يتساءلون عن الكيفية التي ستؤثر فيها عودة العلاقات الدبلوماسية على قناة إيران الدولية. منذ شهر أكتوبر, تم فرض عقوبات على القناة الناطقة بالفارسية بالإضافة الى تلفزيون هيئة الإذاعة البريطانية الناطقة بالفارسية من قبل طهران بذريعة اتهامات «دعم الإرهاب» و «التحريض على الشغب» ولدورها في تغطية المظاهرات, بالإضافة الى

قيام وزير المخابرات الإيراني بالإشارة الى القناة على انها «منظمة إرهابية» سيتم التعامل معها.

ووفقا لاحد الصحفيين المقيمين في إيران والذي غرد من دون تقديم أي دليل (وتم تداول تغريدته من قبل قناة الحرس الثوري على التيلغرام) بان الرياض تعهدت بعدم التحريض على التوترات من خلال القناة الفضائية الناطقة بالفارسية. ومن الممكن ان يكون هذا أحد شروط إيران لعودة العلاقات.

ومع نهاية شهر شباط, أوقفت القناة التي يقع مقرها في لندن عملياتها ونقلت نشاطه الى واشنطن بعد تعرضها للعديد من التهديدات التي استهدفت صحفيها من قبل أجهزة امن الجمهورية الإسلامية وبعد حادثة اعتقال أحد المواطنين الحاملين للجنسية النمساوية بالقرب من مقرها الرئيس بتهمة «جمع الملومات والتي من الممكن ان تكون مفيدة لشخص يقوم او يستعد للقيام بعمل إرهابي.»

السعودية تلعب بأوراق متعددة في وقت واحد

■ كارميل اربت

زميل غير مقيم عامله ضمن برامج الشرق الأوسط في المجلس الاطلنطي

من المبكر جدا الحكم فيما إذا سيكون هناك عمق او ديمومة للمصالحة بين السعودية وإيران. لكن من المهم ان يتم اخذ هذا الاتفاق في ضمن سياقه, فالمداولات التي تجري منذ مدة ليست بالقصيرة بين الطرفين تزامنت بتوقيتها مع المداولات السعودية الإسرائيلية. السعوديون يتحينون الفرص عندما تسنح, فهم يتعاملون مع توترات داخلية, ومع انحسار في النفوذ في العالم الإسلامي, ومع علاقات متوترة مع الولايات المتحدة. لذلك فهم يقومون بالتحوط.

الاماراتيون اظهروا بأنهم يستطيعون ان يجدوا توازنا دقيقا بين الحفاظ على علاقات ودية وجيدة مع الإيرانيين, وعلاقات دافئة مع الإسرائيليين في الوقت ذاته. يتفهم الطرفان ويقدران المصالح الجيوستراتيجية لجيرانهم. وبكل تأكيد, لن يقف اعلان أعادة العلاقات بين إيران والسعودية السبيل امام إسرائيل التي تتودد السعودية في هذه المرحلة.

السعوديين لديهم طلبات كبيرة مقابل التطبيع مع إسرائيل ـ بما في ذلك ضمانات امنية وتكنلوجيا نووية سلمية ـ والولايات المتحدة لم تقم حتى الان بتقديم أي مؤشر على استعدادها على تلبية مثل هكذا طلبات من دون قيام السعودية بتغييرات كبيرة. السعوديون يعرفون هذا. لذلك فانهم يقومون باللعب بعدة أوراق في وقت واحد ـ والصفقة مع إيران تساعدهم لتعميق علاقاتهم الدافئة مع الصينيين, الذين قاموا بالتفاوض للوصول الى هذه الاتفاقية, كما ان هذه الصفقة قد تساعد على تعزيز صورة السعودية داخل العالم الإسلامي (الامر الذي بدوره يمكن ان يغطي على أي الألم الذي سيسببه التطبيع), بالإضافة الى ترسيخ مكانة السعودية كدولة قائدة في منطقة تتغير ديناميتها بشكل متسارع وساعية للحصول على مزيد من الاستقلالية من الولايات المتحدة.

المملكة العربية السعودية تتخذ مواقف شجاعة مقارنة بمواقف الولايات المتحدة

■ علي باكير

باحث غير مقيم مع مبادرة سكوكروفت لأمن الشرق الأوسط الأطلسي التابعة لبرامج الشرق الأوسط في المجلس الأطلسي

ان التطور المتعلق بعودة العلاقات الدبلوماسية

بين إيران والسعودية لا يعد صادما بحد ذاته نظرا لان الرياض وطهران كانا يعملان لمدة غير قصيرة على حل هذه القضية مع ارسال الإيرانيين لرسالة واضحة مفادها رغبتهم برؤية حدوث هذا الامر. ان حقيقة كون هذه الجولة من المحادثات أنجزت خلال أربعة أيام فقط يؤكد على الفكرة السابقة.

ولكن ينبغي ان لا يتوقع المرء بان المشاكل المزمنة التي تمر بها العلاقات الإيرانية السعودية ستنتهي في وقت قريب, نظرا للتعقيد في طبيعة هذه العلاقة بالإضافة الى طابعها الأمني الحاد. بكل تأكيد, فأننا على الأرجح سنشهد المزيد من خفض التصعيد, لكن الناتج النهائي سيعتمد بشكل كبير على الكيفية التي سيمضي بها الطرفان من هذه النقطة صعودا وإذا ما كانا سيرغبان بالبناء على هذا الإعلان.

ان كلا الطرفين القويين في المنطقة بحاجة الى بعض الوقت للتركيز على تحدياتهما الداخلية والإقليمية وعلى اولوياتهما. هذا التطور أيضا يبرز استراتيجية التنويع التي تقوم بها السعودية والتي قامت من خلالها السعودية باتخاذ مواقف شجاعة حيال الولايات المتحدة بما يتعلق بقضايا حيوية مؤخرا والانفتاح على روسيا والصين بالرغم من معرفتها الجيدة بالعواقب المحتملة لأفعالها هذه.

ان أكثر الابعاد الصادمة لهذه الاتفاقية على أي حال هو الوجود الصيني. بالرغم من ان هذا الامر يبدو منطقيا, الا ان البصمة الصينية في هذا الاختراق الدبلوماسي يروج التصور القائل بان دور الصين في الخليج والمنطقة يتزايد بطريقة ستترك اثارا ابعد من التجارة التقليدية والاعمال. كما انها تبرز غياب الولايات المتحدة كلاعب رئيس في المنطقة دبلوماسيا واقتصاديا وعسكريا.

ان تقارب كل من إيران والسعودية الى بعضهما الاخر ليس بالضرورة امرا سيئا بالنسبة للولايات المتحدة نظرا تركيز واشنطن على الحرب الروسية على أوكرانيا والتوترات الإقليمية الناجمة عن تصعيد إيران لعمليات تخصيب اليورانيوم الى نسب تقارب ٩٠٪ والتي تسمح باستخدامه عسكريا. لكن, هذا التطور يجب ان يلفت انتباه واشنطن حيال امرين:

الأول, لا ينبغي على الولايات المتحدة التقليل من أهمية هذه المبادرة ويتوجب عليها زيادة التركيز على مثل هكذا تطورات بسبب تداعياتها المستقبلية على المصالح الامريكية في المنطقة.

ثانيا, ستعطي هذه الاتفاقية للصين زخما ناعما في المنطقة. حتى الان, ربحت الصين هذه المنطقة اقتصاديا. وإذا ما عززت من حضورها الدبلوماسي والسياسي, يعني انها ستكون بمقربة خطوة من ان تكون القوة الصاعدة في المجال الأمني للمنطقة في المستقبل.

قد تكون روسيا الخاسر الأكبر من كل هذا

■ مارك ن كاتز

باحث غير مقيم يعمل مع برامج الشرق الأوسط في المجلس الاطلنطي.

ان قيام الصين بالمساعدة في استعادة علاقات دبلوماسية بين طرفين هي خطوة دراماتيكية. لكن استئناف العلاقات الدبلوماسية بين الرياض وطهران هو امر بعيد كل البعد عن اتفاقية سلام او عن حل أي من الخلافات العديدة بين الطرفين. ومن غير الواضح حتى إذا ما كان الانخراط الصيني في الامر ضروريا من الأساس لاستعادة العلاقات الدبلوماسية السعودية الإيرانية. لكن الطريقة التي يتم النظر من خلالها الى هذا الامر من شأنها رفع احتمالية قيام الصين بلعب دور أكثر فاعلية من الولايات المتحدة لحل الخلافات بين الخصوم الشرق اوسطيين. على اقل تقدير, سيتم رؤية الصين كبديل للولايات المتحدة كوسيط شرق اوسطي.

أحد التأثيرات المباشرة للدور الصيني في تطبيع العلاقات السعودية الإسرائيلية سيكون ربما تعقيد الآمال الامريكية لتحقيق اتفاق سلام جديد مماثل

لاتفاق السلام الابراهيمي, يتم فيه تطبيع العلاقات بين السعودية وإسرائيل. وسيعزز هذا الامر من صورة تراجع النفوذ الأمريكي في الشرق الأوسط. ولكن, قد تجني الولايات المتحدة بعض الفائدة من عودة العلاقات الإيرانية السعودية (مهما كان دور الصين في تحقيق ذلك الامر) إذا ما حسنت من فرص حل او على اقل تقدير خففت من الخلافات السعودية الإيرانية في اليمن والعراق وغيرها من الأماكن. وقد تستفيد إسرائيل من السعودية حينما تصبح الأخيرة في موقع أفضل للعب دور الوسيط بين طهران والقدس.

وسواء حدث هذا الامر او لم يحدث, ان الخاسر الأكبر من كل هذا هو روسيا. فقد روجت موسكو لنفسها كبديل عن واشنطن كوسيط فاعل في الشرق الأوسط كونها تتعاون مع إيران وامريكا لا تقوم بذلك. لكن الصين تستطيع فعل ذلك بوضوح.

الانفتاح الإيراني السعودي لا يمكن فصله عن حركة «المرأة, الحياة, الحرية»

■ نادره جاملو

زميل أقدم غير مقيم في المجلس الاطلنطي تعمل ضمن مبادرة تمكيني ومستشارة في التنمية الدولية

نظرا للسخط الداخلي المستمر والاقتصاد المتدهور والارتفاع في المشاعر السلبية حيال الجمهورية الإسلامية حول العالم, يمكن اعتبار انفتاح إيران على السعودية هو جهد يقوم به رجالات النظام لتقليص واحدة على الأقل من الازمات العديدة التي خلقها النظم لنفسه خلال العقود الأربع الماضية. لقد دلت زيارة شي جينبينغ الى السعودية وغيرها من دول الخليج بان الصين كانت عازمة على تعزيز علاقاتها مع مجلس التعاون الخليجي ـ المتحالفة تقليديا مع الولايات المتحدة ـ حتى وان لم تمثل هذه الروابط القوية نذيرا جيدا لإيران. لقد كانت زيارة رئيسي الى بكين في شهر شباط غير مرضية بشكل كبير بمعظم المقاييس. فقد عاد رئيسي خال الوفاض من دون أي شيء بجعبته أكثر من بعض الوعود والتصريحات الفضفاضة. ومن المرجح ان الرسائل الواردة من بكين, والتي تعتبرها إيران أحد اقوى داعميها, قادت النظام لتحسين علاقاته مع الرياض.

النقطة الثانية المتعلقة بهذا الانفتاح يمكن ان تكون مرتبطة بمخاوف إيران من المحطة الفضائية الإخبارية التي يقع مقرها في لندن ويديرها مغتربون إيرانيون. يعتقد ان هذه القناة ممولة من قبل السعودية وهي كانت في طليعة المعارضة للنظام. تمتلك القناة نسبة مشاهدة عالية في داخل إيران وبين الإيرانيين في المهجر. وعيا منه بأهمية تأثير هذه القناة, هدد النظام المحطة, الى درجة نقلت فيها قناة إيران الدولية مقرها الرئيس من لندن الى واشنطن. قطع التمويل عن القناة هو امر مهم جدا بالنسبة للنظام.

ثالثا, ان الدول الإسلامية بقيت صامتة بشكل مفاجئ خلال ثورة ماهسا اميني ـ»المراة, الحياة, الحرية» ـ باستثناء ما قامت به بعض المنظمات غير الحكومية في تركيا وتونس. ولتواجدي هنا في لجنة الأمم المتحدة المعنية بوضع المرأة في نيويورك, فإني اسمع من النسويات والناشطين من منطقة الشرق الأوسط وشمال افريقيا بانه مع اعتماد بلدانهم المتزايد على الدعم المالي السعودي, فانهم تلقوا رسالة ضمنية مفادها الحذر من دعم حراك النسوة الايرانيات. ان الحصول على الدعم السعودي لإخماد صدى الحراك وايقاف دعم حركة ماهسا بين البلدان الإسلامية سيكون امرا مفيدا بالنسبة لطهران.

نصر للعراق والصين, وجرس تحذير للولايات المتحدة

■ اندريو بييك

زميل أقدم غير مقيم يعمل ضمن برامج الشرق الأوسط في المجلس الاطلنطي.

ان تطبيع العلاقات بين إيران والسعودية هو نتيجة أخرى للسعي الخليجي نحو الامن في مرحلة ما بعد الولايات المتحدة. لقد قطعت العلاقات في سنة ٢٠١٦ بعد سلسلة من الازمات التي ظهرت في اعقاب مفاوضات الصفقة النووية الإيرانية ـ وهي مفاوضات عارضتها بشدة السعودية وغيرها من حلفائها الإقليميين, معتقدين بانها ستؤدي الى ترجيح كفة إيران في الميزان الإقليمي. هذا التوازن ضروري بالنسبة للشرق الأوسط المعاصر, وسمته الأبرز هي التنافس بين الكتل السنية والشيعية, وإذا ما تم ترك هذا التوازن من دون تدخل, ستترجح كفة الكتلة الشيعية. ان انسحاب الولايات المتحدة من أفغانستان كان اخر حدث في سلسلة القرارات الاستراتيجية التي زادت من القوة الإيرانية, بدءا من حرب العراق. ان التوازن الإقليمي يكون مستقرا عندما تكون الولايات المتحدة حليفا فاعلا, ومع توقيع المعاهدة النووية مع إيران برزت المخاوف السعودية والإسرائيلية من الغياب الأمريكي.

لقد جاءت اتفاقيات السلام الابراهيمي الى الوجود من البحث المماثل عن الامن ومن التصور القائل الذي يرى ان الولايات المتحدة كانت تقوم بفك ارتباطها من المنطقة. ومن هنا, فان دول الخليج السنية المهددة سعت لاستبدال البعض من الردع الأمريكي الذي كانوا يعتمدون عليه بالردع الإسرائيلي, وإبقاء الالتزام الأمريكي كفائدة إضافية لعملية السلام.

بالاعتماد على هذا الإطار الاستراتيجي, فانه من المقدر لعودة العلاقات بين إيران والسعودية تهدئة التوترات لفترة قصيرة. ولربما تكون بغداد الرابح الوحيد من هذا التطور, كون المحادثات التي استضافتها ساهمت في الوصول الى هذا الاتفاق. الصين هي الرابح الاخر, فهذه اول مساهمة صينية فردية في دبلوماسية الشرق الأوسط, وينبغي ان تكون جرس تحذير للدور الأمريكي في المستقبل.

مصداقية الولايات المتحدة كصانع للسلام في المنطقة تم اضعافها

■ مسعود مستجيبي

مدير مساعد في برامج الشرق الأوسط في المجلس الاطلنطي

ان الإعلان عن الاختراق الدبلوماسي بين جمهورية إيران الإسلامية والمملكة العربية السعودية, برعاية الصين, يمثل منجزا كبيرا للدبلوماسية الإقليمية ويمكن ان يؤشر بداية مرحلة جديدة في الشرق الأوسط. هذا التطور, الذي جلب لاعبين اقليميين مهمين بعد سنوات من العداء, يؤشر الحضور المتنامي للصين في المنطقة ويمثل تحديا للولايات المتحدة, والتي ستقوم على الأرجح بمحاولة تقويض هذه الجهود.

على العكس من اتفاقيات السلام الابراهيمي التي رعتها الولايات المتحدة, والتي سعت لتأسيس علاقات دبلوماسية بين إسرائيل وعدد من الدول العربية, بما في ذلك الامارات والمغرب, بقيت الجهود الرامية لتطبيع العلاقات السعودية وإسرائيل بعيدة المنال. على أي حال, الولايات المتحدة بقيت متمسكة بجهودها لتحقيق هذا الهدف. لسوء الحظ, تقوضت مصداقية الولايات المتحدة كصانع للسلام في المنطقة بسبب النظرة السائدة عنها كطرف لا يمكن التعويل عليه ولميلها الى ترجيح طرف على حساب طرف اخر في النزاعات, كما هو الحال مع الصراع في اليمن وفي سوريا. وعلى النقيض من ذلك, ينظر الى الصين كوسيط مرن يتجنب الوقوف مع طرف بالضد من الطرف الاخر.

وإذا ما استمر هذا التوجه, ستلجأ فواعل إقليمية أخرى الى الصين كوسيط وتضع ثقتها فيها أكثر من الولايات المتحد. هذا التطور هو امر إيجابي بالنسبة لمنطقة تحتاج الى المزيد من الدبلوماسية والحوار بين الخصوم التقليديين. ستستفاد إيران من اتاحة مساحات جديدة تستوعب من خلالها العقوبات الامريكية, في الوقت الذي تتحوط فيه السعودية في حال فشل جهود التطبيع مع إسرائيل. الصين بدورها ستستفاد من توسيع في الروابط الاقتصادية ومن بيئة تجارية أكثر امنا في الشرق الأوسط

الصين تكرر السيناريو الذي اتبعه الروس مع تركيا في سوريا

■ ميشيل دوكلوس

باحث اقدم غير مقيم في مركز رفيق الحريري للشرق الأوسط وسفير فرنسي سابق في سوريا.

عند النظر الى هذا الحدث من باريس, فانه يمثل نجاحا حقيقيا للدبلوماسية الصينية. من جانب, فهو نجاح واضح للصين كوسيط في منطقة كانت في العادة محتكرة من قبل الولايات المتحدة وفي بعض الأحيان من قبل حلفائها. من جانب الخر, ان الصين تظهر مهارة في الوساطة بشكل غير مسبوق.

وانه من الواضح أيضا ان هذه الخطوة الصينية والاستجابة من قبل كل من السعودية وإيران ينسجم تماما مع السردية التي تحاول الصين تنضيجها كقوة مسؤولة ومسالمة ساعية لطرح حلول بناءة وفي موضع يسمح لها بدفع الأمور نحو الامام. من ناحية, يمكن اعتبار الوساطة الصينية كخطوة تكميلية نحو تحقيق ما يعرف بخطة السلام, او «ورقة السلام» التي قدمتها بكين بخصوص الحرب الأوكرانية. السمة الأكثر وضوحا بكل تأكيد هي ان الصين وقوى عالم الجنوب لم تعد بحاجة الى الاعتماد على الغرب. بمعنى, ان الصين تحذو حذو روسيا عندما أشرفت على اتفاقية الاستانة بالتعاون مع تركيا وإيران لإدارة الازمة السورية.

ومن هنا يبرز تساؤلان. الأول, هل سيتبع التعاون الصيني الإيراني السعودي نشاطات أخرى؟ هل ان هذا «الانقلاب الدبلوماسي» الذي قادته الصين هو بداية لانخراط صيني أعمق في المنطقة؟ ثانيا, هل يمكن ان تصبح الوساطة الصينية الأولى الناجحة مثالا لدبلوماسية صينية أكثر حسما ليس فقط في الشرق الأوسط وانما على المسرح العالمي؟

الجواب الحذر سيكون انه من السابق للأوان طرح تقييم جازم. ولكن, بإمكان المرء ان يتوقع إمكانية حدوث هذا السيناريو كون الكثير من دول الشرق الأوسط تتوقع مجيء نوع من الوساطة الخارجية ليس من الغرب, بسبب خيبة الامل من السياسات الامريكية والغربية, وليس من روسيا بسبب أوكرانيا. يبدو ان الصين في موقع جيد لملأ هذا الفراغ.

السنة الثامنة عشر
العدد 65
رمضان 1444
آذار 2023

الخبراء يستجيبون:
عودة العلاقات السعودية الإيرانية برعاية صينية: ما الذي تعنيه بالنسبة للشرق الأوسط وللعالم

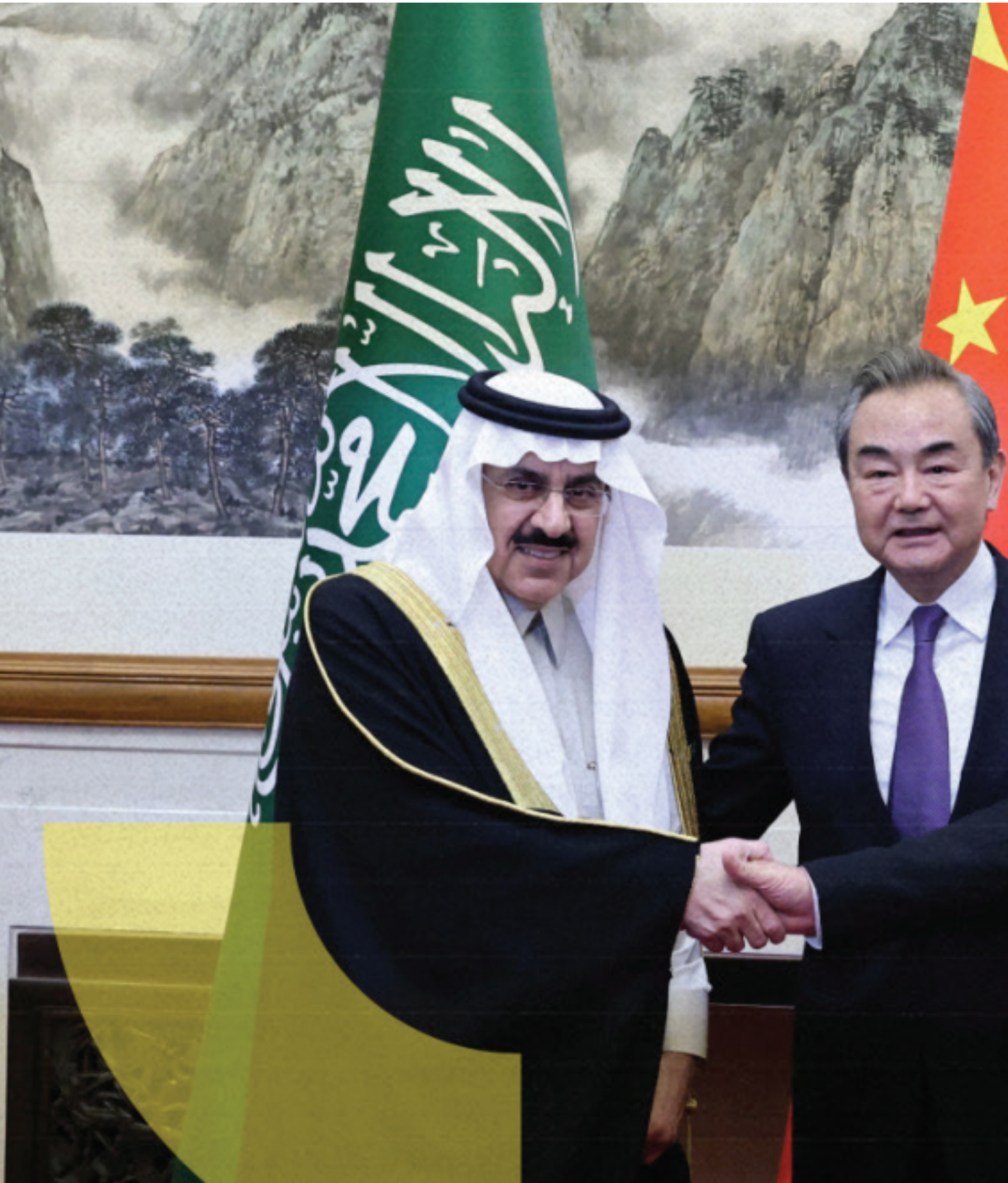

هل نحن امام نظام جديد في الشرق الأوسط؟

يمكن للتقارب بين إيران والسعودية أن يغير المنطقة

■ ماريا فانتابي & ولي نصر

الناشر: مجلة الفورن افيرز
تاريخ النشر: 22 آذار / مارس عام 2023

■ ترجمة: د. نصر محمد علي

التقى ممثلون من إيران والمملكة العربية السعودية في بكين في 6 آذار / مارس عام 3202 لإجراء مناقشات بوساطة الصين. وأعلنت كل من الرياض وطهران بعد أربعة أيام أنهما قررتا تطبيع العلاقات. وتنطوي هذه الاتفاقية التاريخية على امكانية تحويل الشرق الأوسط عبر إعادة تنظيم قواها الرئيسة، واستبدال الانقسام العربي - الإيراني الحالي بشبكة معقدة من العلاقات ونسج المنطقة لصالح طموحات الصين العالمية. لكن بالنسبة لبكين كان الاعلان بمثابة قفزة كبيرة إلى الأمام في تنافسها مع واشنطن.

لـم يكـن مـن المفتـرض أن يكـون الأمـر علـى هـذا النحـو. فقـد كانـت الولايـات المتحـدة هـي الـتي شـجعت إيـران والمملكـة العربيـة السـعودية علـى بـدء المناقشـات، في عـام 2021، في محاولـة منهـا للحـد مـن التوتـرات بيـن الخصميـن الخليجيين، ودفـع المحادثـات النوويـة، وإنهـاء الصـراع في اليمن. وعقـدت طهـران والريـاض خمـس جـولات مـن المحادثـات المباشـرة، واسـتمرت المحادثـات غيـر الرسـمية بعـد ذلـك. ثـم حـث الرئيـس جـو بايـدن مجلـس التعـاون الخليجـي – وهـو اتحـاد مشـترك بيـن الحكومـات دولـي يضـم البحريـن، والكويـت، وعمـان، وقطـر، والمملكـة العربيـة السـعودية، والامـارات العربيـة المتحـدة- علـى الانضمـام لإسـرائيل لاحتـواء إيـران وذلـك خـلال زيارتـه للمملكـة العربيـة السـعودية في تمـوز / يوليـو 2022. غيـر أن الحكومـة السـعودية، يممـت وجههـا، عوضـاً عـن ذلـك صـوب الصيـن، وعـدت الرئيـس شي جيـن بينـغ وسـيطاً أفضـل مـع طهـران. يعتقد السـعوديون أن اشـراك الصيـن هـو الضمـان الأكيـد بـان الاتفـاق مـع إيـران سيسـتمر، فمـن غيـر المرجـح أن تخاطـر طهـران بتعريـض علاقتهـا مـع بكيـن للخطـر عبـر انتهـاك مثـل هـذا الاتفـاق. ناقـش شي القضيـة مـع ولـي العهـد السـعودي الأميـر محمـد بـن سـلمان خـلال زيارتـه للريـاض في كانـون الأول / ديسـمبر 2022 ثـم التقـى بالرئيـس الإيـراني إبراهيـم رئيـسي في بكيـن في شـباط / فبرايـر عـام 2023. وتبـع ذلـك مناقشـة مكثفـة بيـن إيـران والمملكـة العربيـة السـعودية، اتفـق خلالهـا الطرفـان علـى دفـن الأحقـاد وتطبيـع العلاقـات. لقـد كان تدخـل شي الشـخصي حاسـماً بالنسـبة لـكلا البلديـن. إذ يرتبـط كلا البلديـن بعلاقـات سياسـية واقتصاديـة عتيـدة مـع بكيـن، ومـن ثـم كان الرئيـس الصيـني قـادراً علـى العمـل بوصفـه وسـيطاً موثـوق بـه بينهمـا.

وإذا مـا نُفـذ الاتفـاق بالكامـل، فـان طهـران والريـاض سـيتوافقان علـى نحـو وثيـق مـرة أخـرى. فقـد قطعـت العلاقـات الدبلوماسـية بيـن البلديـن في عـام 2016 بعـد أن أضرمـت مجموعـة مـن الغوغـاء النـار في السـفارة السـعودية في طهـران. في الوقـت الراهـن، وفقـاً للاتفاقيـة الجديـدة، سـيعيد الجانبـان فتـح السـفارات، وسـتنهي الحكومـة السـعودية دعمهـا لقنـاة إيـران الدوليـة التلفزيونيـة الـتي تحملهـا طهـران مسـؤولية المعارضـة الداخلية. وسـيلتزم كلا الجانبـان بوقـف اطـلاق النـار في اليمـن ويعملـان علـى اتفـاق سـلام رسـمي لإنهـاء الحـرب الأهليـة في ذلـك البلـد. سـتتوقف إيـران عـن إمـداد الحوثييـن بالسـلاح وتقنعهـم بوقـف هجماتهـم الصاروخيـة علـى السـعودية. كمـا تدعـو الاتفاقيـة إلـى جانـب ذلـك إلـى تعزيـز العلاقـات الاقتصاديـة والدبلوماسـية بيـن إيـران ودول مجلـس التعـاون الخليجـي، وإلـى بـدء إيـران وشـركائها العـرب مناقشـات بشـأن بنـاء إطـار أمـني إقليمـي جديـد. زد علـى ذلـك، سـتواصل الصيـن الإشـراف علـى هـذه الخطـوات كافـة.

ومـن المحتمـل أن يُنهـي الاتفـاق الإيـراني السـعودي واحـدة مـن أهـم المنافسـات في المنطقـة وتوسـيع العلاقـات الاقتصاديـة عبـر الخليـج. لـن تقـف إيـران بمفردهـا بعـد الآن في مواجهـة تحالـف العـرب و(الإسـرائيليين)، الـذي كانـت الولايـات المتحـدة تأمـل في أن يقـوم بالمهمـة الصعبـة المتمثلـة في احتوائـه. وعوضـاً عـن ذلـك فمـن الممكـن للاتفـاق أن يقـرّب إيـران مـن جيرانها العـرب وأن يسـهم في اسـتقرار علاقتهـا تدريجيـاً في المنطقـة. وتأكيـداً علـى هـذا الوعـد، تعهـد وزيـر الماليـة السـعودي، محمـد الجدعـان، بأنـه إذا مـا سـارت الأمـور علـى النحـو المخطـط لهـا، فـان المملكـة العربيـة السـعودية مسـتعدة للاسـتثمار في الاقتصـاد الإيـراني. وقبـل رئيـسي بالفعـل دعـوة لزيـارة الريـاض في موعـد غيـر محـدد، في إشـارة أخـرى علـى نيـة الجانبيـن تعزيـز العلاقـات. قـد

تكون عواقب مثل هذه العلاقة سريعة التطور عميقة على المنطقة.

طهران تتطلع صوب الشرق

تعتقد كل من طهران والرياض أنهما سيستفيدان من العمل خلال الصين لاستعادة العلاقات الإقليمية. فبالنسبة لكلا البلدين، يعد العمل مع بكين تطوراً جديداً. كانت اولوية إيران في العام 2015 هي تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة وأوروبا وعدت المفاوضات مع جيرانها أمراً ثانوياً. وكانت النتيجة هي خطة العمل الشاملة المشتركة (JCPOA) – الاتفاق النووي مع الولايات المتحدة وزملائها الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة إلى جانب ألمانيا- التي قلصت من برنامج إيران النووي بإزاء تخفيف العقوبات. وبعد أن سحب الرئيس دونالد ترامب الدعم الأمريكي عن خطة العمل الشاملة المشتركة في عام 2018، اقتربت المملكة العربية السعودية ودول مجلس التعاون الخليجي من (إسرائيل)، وهي خطوة تسارعت بسبب هجوم إيراني على منشآت نفطية سعودية في عام 2019. ثم غيّرت إيران بدورها تركيزها، عبر التأكيد من جديد على تحسين العلاقات مع جيرانها والتجارة الإقليمية. ولتحقيق هذه الغاية أعادت طهران اقامة علاقات دبلوماسية كاملة مع الكويت والامارات العربية المتحدة في عام 2022. غير أن اتفاق بكين مع السعوديين هي الجائزة الأكبر التي تسعى إيران لتحقيقها- انفتاح حقيقي على العالم العربي، والذي يمكن أن يمتد قريباً إلى البحرين ومصر.

ترحب طهران بالدور الصيني المتزايد في الشرق الأوسط لأنه يضعف من نفوذ الولايات المتحدة في المنطقة ويقوّض نظام العقوبات الذي تقوده الولايات المتحدة والذي أصاب الاقتصاد الإيراني بالشلل. ولبلوغ هذه الغاية، فان العلاقات الافضل مع دول مجلس التعاون الخليجي من شأنها أن تقلل التهديد الذي تشكله اتفاقات ابراهام التي توسطت فيها إدارة ترامب، والتي بدأت تنسيقاً استخباراتياً وعسكرياً أوثق مع (إسرائيل) والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة (وامتد لاحقاً إلى المغرب والسودان)، ومن ثم توسيع الحرب الخفية بين إيران و(إسرائيل) إلى الخليج. وعلى الرغم من أن طهران قد تكون على استعداد لقبول العلاقات الثنائية بين دول مجلس التعاون الخليجي و(إسرائيل)، إلا أنها لايمكن أن تتسامح مع تحالف عسكري عربي (إسرائيلي) تدعمه الولايات المتحدة ضدها. سيكون مثل هذا التحالف أكثر تهديداً لطهران في أعقاب المحادثات النووية الفاشلة مع إدارة بايدن، والاحتجاجات السياسية المحلية، والوجود (الاسرائيلي) المتزايد في أذربيجان والعراق، والاستعداد المتزايد للحكومة (الاسرائيلية) اليمينية الجديدة للتفكير في الحرب من أجل وقف برنامج إيران النووي.

الرياض وضرورة الموازنة

يشكل الاتفاق الذي تقوده بكين، بالنسبة للمملكة العربية السعودية، تحولاً استراتيجياً أكثر جرأة. العلاقات بين الرياض وواشنطن في أدنى مستوياتها تاريخياً. إذ تراجع رضا المملكة العربية السعودية عن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة منذ غزو العراق عام 2003. كانت الرياض غير راضية عن تفكيك الحكومة العراقية، ومنزعجة من الاتفاق النووي، وغاضبة من عدم استعداد الولايات المتحدة الأمريكية لدعم المصالح السعودية ضد إيران في سوريا واليمن، وقلقها من فشلها في الدفاع عن المملكة عندما تعرضت منشآتها النفطية للهجوم من جانب إيران 2019. تعتقد الرياض أن الولايات المتحدة- التي كانت ذات يوم حليفتها

القوية- تركز على أولويات أخرى، ولاتعتقد أن لدى واشنطن خطة واضحة للأمن الإقليمي غداة المحادثات النووية المتوقفة مع إيران. كما أن القادة السعوديين غير راضين عن القيادة الحالية في واشنطن. كان الرئيس بايدن بطيئاً في إصلاح العلاقات بعد أن تعهد عندما كان مرشحاً بمعاملة النظام بوصفه «منبوذاً» بعد مقتل الصحفي خاشقجي في عام 2018.

كانت المملكة العربية السعودية دائماً مهووسة بشؤونها الدفاعية، نظراً لافتقارها إلى القدرات العسكرية المتقدمة التي يمتلكها جيرانها الأكبر والأكثر عدوانية. صحيح أن الحد من التوترات مع طهران لن ينهي هذه المخاوف، غير أنه يمنح الرياض مزيداً من الوقت لتعزيز أمنها وتنويع خياراتها الاستراتيجية. دفعت الرغبة في الأمن المملكة العربية السعودية إلى السعي لإقامة علاقات مع إسرائيل على مدى العقد الماضي، وهذه الرغبة نفسها هي التي تحفزها في الوقت الراهن على تعزيز العلاقة مع الصين. تهدف استراتيجية المملكة العربية السعودية إلى ضمان أمنها. كما ويأمل النظام السعودي في تعزيز استقراره على المدى الطويل، عبر تجميع شبكة واسعة من الشركاء، بما في ذلك الصين، وإسرائيل، والولايات المتحدة، وعبر تحسين العلاقات مع الخصوم مثل إيران، وسوريا، وتركيا. حددت المملكة العربية السعودية هدفاً طموحاً يتمثل في أن تغدو اقتصاداً صناعياً متقدماً، إلى جانب كونها مركزاً ثقافياً وسياحياً بحلول عام 2030. سيتطلب تحقيق هذه الغاية دعماً عسكرياً أمريكياً، وأمناً وتكنولوجيا (إسرائيليين)، وتجارة مع أوروبا والصين، واستقراراً داخلياً. تتعارض الاستراتيجية السعودية مع مفهوم واشنطن للأمن الإقليمي الذي يفضل عزل إيران ولايستبعد الحرب، على الرغم من عدم وجود خطة أمريكية واضحة لإدارتها. كما كافحت الولايات المتحدة أيضاً لإدراك أنها لاتستطيع الادعاء بأنه لم يتغير شيء في التزاماتها حيال الشرق الأوسط في الوقت نفسه الذي أوضحت فيه أيضاً أنها تنأى بعيداً عن المنطقة. وفي الواقع تُظهر الرياض أنه إذا كانت السياسة الأمريكية لاتخدم المصالح السعودية، فلن يخضع السعوديون للتحالف.

لقد كانت واشنطن بطيئة في إدراك أن المملكة العربية السعودية لاترى نفسها تابعة للولايات المتحدة وإنما بوصفها قوةً إقليميةً قادرةً على أداء دور مستقل في السياسة العالمية. تعتقد الرياض ان النموذج القديم لـ «الأمن الأمريكي بإزاء أسعار النفط المنخفضة» - كما قال مسؤول سعودي - قد مات. ان رؤية المملكة العربية السعودية للاستقلال الاستراتيجي ليست مجرد رد فعل على تقليص انخراط الولايات المتحدة في الشرق الأوسط بل هو تعبير عن طموحات المملكة. إذ تريد الرياض علاقات وثيقة ومستقلة مع الولايات المتحدة، وكذلك مع روسيا والصين. كما ترى نفسها أنها تؤدي دوراً حاسماً في المنطقة، حيث توازن بين مصر وإيران و(إسرائيل) وتركيا لحماية أمنها وممارسة نفوذها الإقليمي. ومن أجل أن تحوز هذا الموقع الذي ترغب فيه، يتعين على المملكة العربية السعودية، رعاية العلاقات مع جيرانها كافة. إذ أعادت الرياض العلاقات مع تركيا في عام 2022 وهي الآن تفعل الشيء نفسه مع إيران. التالي سيكون دور (إسرائيل). إذ ستمنح العلاقات مع إيران السعوديين غطاءً سياسياً هم في أمس الحاجة إليه مع حلفائهم، الأمر الذي يعني أن يمكن تقديم صفقة مع إسرائيل على أنها اتفاقية ثنائية، عوضاً عن كونها محوراً عسكرياً ضد دولة مسلمة أخرى. يؤكد اتفاق بكين وجهة نظر الرياض بشأن مكانتها في الشرق الأوسط ويظهر استقلاليتها الاستراتيجية.

العراق: عشرون عاماً.. ما
20-19 آذار 2023 بغداد

للحوار
BAGHDAD INTERNATIONAL
Iraqi Institute for Dialogue
للحوار
BAGHDAD INTERNATIONAL DIALOGUE
بغداد
حوار بغداد الدولي
ذا بعد؟

ما الذي يعنيه الاتفاق السعودي الإيراني بالنسبة لمنطقة الشرق الأوسط

يعكس الاتفاق الذي رعته الصين بين الخصمين الإقليميين تحولا في الاصطفافات الاقتصادية والأيديولوجية

■ **الكاتب: إسحاق شوتينر**

الناشر: صحيفة النيويوركر
تاريخ النشر: ١٤ اذار ٢٠٢٣

■ **ترجمة وتحرير: المعهد العراقي للحوار- فيصل عبد اللطيف**

أعلنت السعودية وإيران في الأسبوع الماضي بانهما سيقومان باستئناف العلاقات الدبلوماسية بعد سبع سنوات من القطيعة. وتعهد البلدان بإعادة فتح سفارتيهما بالإضافة الى الاتفاق على التعاون في مجالات مختلفة مثل الامن والتجارة. ان التنافس بين السعودية وإيران ـ والذي يستخدم في الغالب كدلالة على التوترات الاوسع بين المسلمين السنة والشيعة ـ كان هو السمة الأبرز للسياسة والنزاع في الشرق الأوسط. كلا البلدين مشتركان في مناوشات بالوكالة في اليمن ولبنان وغيرها. (في اليمن, تدخلت السعودية املا منها بإعادة تعيين الحكومة التي أطاحت بها القوى المتحالفة مع إيران, في لبنان, أرغمت الحكومة السعودية رئيس الوزراء اللبناني على الاستقالة في سنة ٢٠١٧, وهي خطوة كانت تهدف الى احتواء حزب الله, حليف إيران.) وبنفس قدر أهمية هذه الاتفاقية تبرز أهمية رعايتها من قبل الصين, والتي تسعى الى توسيع نفوذها في هذه المنطقة.

ولمناقشة ما قد تعنيه هذه الصفقة, تحدثت عبر الهاتف مع غريغوري غاس, الخبير بشؤون الشرق الأوسط واستاذ العلاقات الدولية في جامعة تكساس/ كلية بوش للحكومة والخدمة العامة. خلال حديثنا, والذي تمت تحريره ليكون أكثر ملائمة ووضوحا, تكلمنا عن الكيفية التي ربما سيقوم بها الزعيم السعودي محمد بن سلمان بإعادة رسم السياسة الخارجية لبلده بعد سنوات من العلاقات المتصلبة مع الغرب, وهل ان هناك صراع إسرائيلي إيراني يلوح في الأفق, ولماذا يتوجب على الولايات المتحدة ان تكون اقل قلقا حيال الانخراط الصيني في شؤون الشرق الأوسط.

لماذا حدث هذا الاتفاق الان؟

انه انعكاس لتزايد أهمية الصين في منطقة الخليج والشرق الأوسط بشكل عام. إيران من ناحيتها تشعر بنوع من العزلة في المنطقة, وباعتقادي انها تتوقع توجيه مزيد من الضغط عليها من قبل الولايات المتحدة وإسرائيل حيال المسألة النووية. ولا اظن ان ذلك كان السبب وراء رغبة السعودية على الموافقة على هذه الصفقة في هذا الوقت, لكن يمكن ان يكون هذا السبب وراء تدخل الصين, وذلك من اجل منع التصعيد حول القضية النووية. ولكن, حتى وان كانت الحكومة السعودية اقل استعدادا لدعم ضربة أمريكية إسرائيلية مشتركة لإيران بسبب نشاطها النووي, لن يكون الاعتراض السعودي حائلا دون القيام بهذه الضربة.

ما الذي ستجنيه السعودية من هذه الصفقة اذاً؟

علاقة السعودية مع الصين. عندما اتحدث مع السعوديين, فان أحد الأشياء التي يؤكدونها الي هي «لا تجعلونا نقوم بالاختيار بينكم وبين الصين. الصين تقوم بشراء نفطنا أكثر من أي بلد اخر. ليس باستطاعتنا ان نكون جزءا من الجهود الامريكية الرامية لتأسيس تكتل مناهض للصين. نحن نرغب بالعمل معكم, ولكن لا نستطيع عزل الصين.» ولذلك اعتقد ان اهمية العلاقة مع الصين والرغبة بتجنب عزل الصين دبلوماسيا ربما لعب دورا في حدوث هذه الصفقة. وبالتأكيد فان السعودية كانت تقوم بالمحادثات مع إيران عن طريق العراق لما يزيد على السنة, لذا ان ما جرى لم يحدث بشكل مفاجئ تماما. لكن الامر المفاجئ حقا هو الدور الصيني المركزي في هذا الامر.

اشارت تقارير صدرت مؤخرا بان السعودية تريد من الولايات المتحدة المساعدة في بناء برنامج نووي مدني, في مقابل تطبيع العلاقات مع إسرائيل. واتصور ان إسرائيل لن تكون سعيدة حول الاتفاق الجديد مع إيران, كون الإسرائيليين كانوا يحاولون التواصل مع الدول السنية الأخرى من اجل احتواء إيران. هل هذه الأهداف السعودية ـ التطبيع مع إيران وتطبيع العلاقات مع إسرائيل ـ متناقضة مع بعضها الاخر؟

نعم انها اهداف متناقضة, بدون شك, واعتقد ان ضم السعودية لاتفاقيات السلام الابراهيمي كان أحد الأهداف التي طرحت على طاولة النقاش. وافترض بان إيران ترى انه إذا ما وقعت السعودية اتفاقا مع إسرائيل, فان ذلك سيكون من شأنه تعميق العزلة الايرانية في المنطقة. لذلك, اعتقد بان هذين الهدفين متناقضان. ولكن لا اريد ان اغالي فيما قد توصلت اليه السعودية وإيران. ولا اظن ان هذه الصفقة انهت أي من القضايا العالقة في العلاقات الإيرانية السعودية. بالنسبة الي, المؤشر الحقيقي للمصالحة الإيرانية السعودية ستكون حل القضية اليمنية, وليس إعادة فتح السفارات لدى البلدين. إيران هي البلد الوحيد الخارجي الذي يمتلك نفوذا وتأثيرا حقيقيا على الحركة الحوثية. وهذه القضية مهمة جدا بالنسب للسعودية والتي تبحث عن مخرج لهذه الازمة.

ولا أرى ان هذا سوف ينهي التوترات بين السعودية وإيران في اليمن والعراق وسوريا ولبنان ولا المسألة النووية. ستبقى هذه القضايا عالقة. وهذا الامر مثير ومختلف عن المبادرة الصينية من ناحية الانخراط الدبلوماسي الصيني في الخليج, إذا ما استطاع الصينيون زحزحة العقدة النووية, فانهم يستحقون كل الإشادة بكل تأكيد.

محمد ابن سلمان كان على رأس السلطة في السعودية لعدة سنوات مضت, ورأينا في بداية الامر على اقل تقدير, سياسية سعودية خارجية عدوانية جدا, حيث أشرف هو شخصيا على الحرب الكارثية في اليمن, بالإضافة الى الأفعال العدائية في لبنان.

في قطر أيضا.

نعم ذلك صحيح, حصار قطر. عليه, هل نرى الان تحولا في السياسة الخارجية السعودية؟ لقد ذكرت بان السعوديين اجروا محادثاتهم مع الإيرانيين بواسطة العراق لما يقرب من السنة, وهناك بعض الرغبة لمحاولة انهاء الصراع في اليمن. مرة أخرى, لا أستطيع فهم ما الذي يجرى الان من ناحية الازمة الإنسانية, والتي يتحمل السعوديون نصيبا كبيرا من المسؤولية وراء حدوثها. لكن الفضول يدفعني للتساؤل فيما إذا كنت تعتقد بان السعودية تحاول الانتقال الى مرحلة مختلفة.

هناك بعض التغييرات. لا اعرف محمد ابن سلمان شخصيا, لكنني اعتقد بانه جاء الى السلطة معتقدا ان السعودية هي قوة عظمى ـ بإمكانها التصرف مثل روسيا والصين وإيران. بإمكانها قتل المعارضين في الخارج, بإمكانها استخدام القوة العسكرية بنجاح وبدون عواقب, بإمكانها استعراض قوتها في كل مكان. لقد كان اسلاف محمد ابن سلمان, من جيل والده, حذرين جدا. فهم يدركون حدود القوة السعودية, ولست متأكدا إذا ما كان محمد ابن سلمان مدركا لهذه الحدود, لكنني اعتقد بانه قد تعلم هذه الحدود الان. لذلك فنحن نرى, باعتقادي, سياسة سعودية أكثر حذرا. ولكن أيضا سياسة سعودية مبنية على الادراك بان عهد السلام الأمريكي قد انتهى وأننا نعيش اليوم في عالم متعدد الأقطاب. وبالنسبة للمصلحة السعودية, فان العلاقات مع الصين وروسيا مهمة جدا, بسبب عدم وجود قوة عظمى واحدة يجب التعامل معها بعد الان.

لا يقدر الناس في الولايات المتحدة أهمية هجمات سبتمبر سنة ٢٠١٩ على المنشآت النفطية السعودية بالنسبة للسعودية. هذه كانت المرة الأولى التي تقوم فيها إيران بمهاجمة أراضي سعودية, بطريقة يصعب بها انكار المسؤولية عن الهجوم. هل جاء الهجوم من الحوثيين؟ هل جاء من العراق؟ وان عدم قيام الولايات المتحدة باي شيء ردا على هذه الهجمات كان صادما للسعوديين, واعتقد ان التواصل مع إيران بدأ في تلك المرحلة, حيث أدرك محمد ابن سلمان انه قد لا يحصل على الدعم الأمريكي إذا ما انخرط في سياسة عدائية بالضد من ايران. (ادعى المتمردون الحوثيون مسؤوليتهم عن الهجمات, التي شنت بواسطة طائرات مسيرة, على مصافي سعودية في بقيق وخريس, واتهمت الولايات المتحدة وحلفائها الاوربيون إيران بمساعدة الثوار.)

هل توجد هناك أسباب أخرى وراء قيام السعودية بالتواصل مع روسيا والصين؟ ربما بسبب ان أنظمة الحكم في هذه الدول هي من النوع الذي يتعاطف معها شخص مثل محمد ابن سلمان؟ ان التعرض للانتقاد من قبل إدارة بايدن بسبب جمال خاشقجي ليس امرا يبعث على السرور, او الانتقادات حول القاء الناشطات النسويات في السجون, وغيرها من الأمور, باختصار, ان هذا التواصل من الممكن ان يكون أيديولوجي بقدر ما هو عملي؟

استبعد ذلك بسبب بقاء الولايات المتحدة كأهم راع أمني للسعودية من ناحية مبيعات السلاح ومن ناحية التدريب العسكري ومن ناحية

التشارك الاستخباري, كل هذه الأمور. ولا اعتقد ان الاتصال مع الصين وروسيا امر يعود زمنه الى إدارة بايدن او حتى الى إدارة أوباما. الاتفاق مع روسيا تم التوصل اليه خلال أوبك+. وهو جهد سعودي لإشراك روسيا وغيرها من الدول غير المنظمة الى منظمة أوبك, سعيا للحفاظ على أسعار النفط في السوق العالمي. هذا الامر حصل لأول مرة في أواسط العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين, حوالي سنة ٢٠١٥, عندما حصل انهيار في أسعار النفط, والذي انهار مرة أخرى في سنة ٢٠٢٠, بعد حدوث وباء كورونا. حيث تم رؤية التعاون مع روسيا من قبل السعودية العربية كأمر أساسي لأسعار النفط. حتى مع اشتعال الحرب مع أوكرانيا, أدركت الحكومة السعودية انها بحاجة الى علاقتها مع روسيا لتحقيق الهدف ذاته.

الان, في كثير من الأحيان لا تتعاون روسيا, وتقوم السعودية بزيادة انتاجها وتصدير كميات كبيرة من النفط بشكل يؤدي الى انخفاض الأسعار ومن اجل ان ترى روسيا انه يتوجب عليه التعاون في هذا المجال. لكن وجهة النظر السعودية في هذا المجال مبنية على انهم بحاجة الى روسيا لضبط سوق النفط العالمي. هذا الامر يسبق حقبة دونالد ترامب ويسبق حقبة بايدن بكل تأكيد. اما الاتصال مع الصين فيعود الى فترة حكم الملك عبد الله, خلال العقد الأول من القرن الواحد والعشرين, فبعد تسنمه العرش, كانت الصين من بين أولى رحلاته الخارجية. ان التواصل مع الصين كأحد اهم الأسواق النامية لصادرات الطاقة السعودية يسبق كثيرا التوترات التي حدثت خلال الأيام الأخيرة من إدارة أوباما, ويسبق خيبة الامل من إدارة ترامب بعد هجمات ٢٠١٩, وبكل تأكيد يسبق الجمود اللاحق الذي أصاب العلاقات خلال فترة إدارة بايدن.

ما الذي تستطيع اخبارنا إياه حول العلاقات الصينية الايرانية خلال العقد الماضي؟

لا اريد ان أقول بان إيران منجذبة أيديولوجيا الى الصين, لكن على اقل تقدير هنالك فكرة مشتركة تقول بان الولايات المتحدة عدو مشترك بالنسبة لهما وانه ينبغي عليهما إيجاد قوى عظمى بديلة لأسباب استراتيجية واقتصادية. باعتقادي ان هذا هو المحرك الرئيس وراء السياسة الإيرانية تجاه كل من الصين وروسيا في الوقت الحاضر. كما ان هذه العلاقة اقتصادية في جزء منها, حيث ان الصين زبون رئيس بالنسبة لإيران أيضا. ولكن اعتقد ان إيران تشعر ببعض خيبة الامل بسبب رفض الصين باختيار أحد الأطراف في الشرق الأوسط على حساب الطرف الاخر. إيران تقوم ببيع كميات كبيرة من النفط الى الصين, لكن السعودية تبيع كميات أكبر, لذلك فان الصين كانت ترى المنطقة من منظار الاقتصاد وليس من منظار السياسة. فالصينيون يريدون ان يكونوا زبائنا للجميع, ويريدون منطقة هادئة ومسالمة تدفق منها الطاقة الى الصين من كل الأطراف.

اعتقد ان هذا يمكن ان يأخذنا بعيدا عن السؤال, لكن دعني أقوم بطرحه بكل الأحوال: ان ردة الفعل المباشرة من قبل الكثير من الدوائر في الولايات المتحدة كانت انه ما حصل هو هزيمة بالنسبة للولايات المتحدة وانتصار بالنسبة للصين ـ بمعنى اخر, ما هو فوز لهم, هو خسارة بالنسبة لنا. لا اعلم. لكنني اعتقد, عندما يتعلق الامر بمنطقة الخليج الفارسي, فان المصالح الامريكية والمصالح الصينية متشابهة الى حد كبير. فكلانا يرغب بتدفق الطاقة من المنطقة, بالإضافة الى رغبتنا بان يسود السلام والاستقرار المنطقة بشكل يساعد أسواق الطاقة.

وليس الامر كما لو ان وجود الولايات المتحدة كقوة ضامنة في الشرق الأوسط خلال العقود

الماضية تسبب في جلب السلام والانسجام والنوايا الحسنة في كل ارجاء المنطقة.

بكل تأكيد.

الى أي درجة غيرت التظاهرات في داخل إيران التفكير الاستراتيجي حول إيران في المنطقة؟

لا اعتقد ان المظاهرات غيرت الطريقة التي تشعر بها دول الجوار مثل السعودية وإسرائيل. إذا ما نظرت الى إيران كتهديد, ستبقى تنظر اليها بنفس هذه الطريقة. لا اظن ان أي أحد في المنطقة اعتقد بان هذه التظاهرات ستطيح في النظام, لذلك لم يكن هناك شعور من نوع, لننتظر ونرى إذا ما ستحدث عملية تغيير للنظام. هذه كانت وجهة نظر محددة للبعض في داخل الولايات المتحدة, لكن لا اعتقد ان هذه الرؤية ثبتت صحتها.

السؤال تحول بعد ذلك الى رؤية النظام نفسه الى استقراره, الى موقعه في المنطقة, والى وضعه داخليا. نحن نعلم بان هنالك انقسامات داخل النخب الإيرانية ـ بعض افراد النخبة انتقدوا الحكومة الحالية بسبب استخدامها العنف لقمع المتظاهرين ودعوا الى التخفيف من القيود الاجتماعية على النساء. وأستطيع رؤية كيف يمكن ان ينظر النظام الى ان التخفيف من عزلته الإقليمية والقليل من التطبيع للعلاقات مع السعودية كمكسب إضافي.

كما انني لا اود المبالغة في حجم العزلة الإيرانية. وفقا للعديد من المقاييس, فان إيران تقوم بعمل جيد في العديد من الصعد, لكن نجاحها هذا متحقق مع فواعل لا دولتية او في دول فاشلة, مثل الحوثيين والميليشيات في العراق وبشار الأسد ـ والذي انتصر في الحرب, لكنه تحول الى مجرد ميليشيا في سوريا ـ وبكل تأكيد مع حزب الله. وبالرغم من ان علاقات إيران الدولتية ليست جيدة, الا انها جيدة جدا في التعامل مع الفواعل اللادولتية.

الناس في إسرائيل والولايات المتحدة الذين هم داعمين لما يمكن تسميته بسياسة إسرائيلية خارجية عدائية, يبدون, على اقل تقدير مبدئيا, اقل انزعاجا من الصفقة. السبب, بالتأكيد, ان خوف إسرائيل الأساس هو من إيران, وان هذا لن يحتوي إيران. لكن على المدى الطويل, الا تريد إسرائيل ان ترى السلام بين السنة والشيعة وان يشيع الانسجام في عموم المنطقة؟

يمكن للمرء ان يتفهم المخاوف الأمنية الإسرائيلية. النظام الإيراني يروج بشكل مستمر الى شعارات الموت لإسرائيل في المسيرات التي يرعاها النظام وغيرها من الأمور المشابهة. ويمكن تفهم الخوف الإسرائيلي مع اقتراب إيران من احتمالية تسليح برنامجها النووي. ولكن, وتحديدا بالنسبة للحكومة الإسرائيلية الحالية, فان ما يحدث هو طريقة لصرف الأنظار عن القضية الفلسطينية, والتي تنخر في جسد السياسة الإسرائيلية. كيف لك ان تحكم شعبا يرفض ان يحكم من قبلك إذا ما كنت ترفض التفاوض من اجل تحقيق بعض الاستقلال السياسي.

اما بما يتعلق بالسياسة الإسرائيلية الخارجية في المنطقة, فالسعودية كانت تمثل الجائزة الكبرى. الامارات والسودان والمغرب ـ هي اثمان مقبولة. مصر والأردن, بكل تأكيد, لديهما اتفاقيات سلام وسفارات داخل إسرائيل. السعودية هي الدولة العربية الأخيرة المستقرة التي لم تعقد اتفاقا للسلام مع إسرائيل. والحكومة الإسرائيلية ترغب ان تكون قادرة على توقيع اتفاقية سلام مع السعودية. والسبب وراء ذلك يعود في جزء منه الى ان مثل هذا الامر سيؤشر على المدى البعيد مدى مقبولية إسرائيل في المنطقة من قبل العالم العربي. وكذلك, في جزء منه, هو جهد إسرائيلي يسعى الى تشكيل تحالف مناهض لإيران. وما ارغب في التأكيد عليه, هو انني لست متأكدا بان عودة العلاقات الدبلوماسية بين إيران والسعودية والتي رعتها الصين تمنع الحكومة السعودية من التعاون مع إسرائيل بالضد من ايران. وكما ذكرت انفا, ان المسألة النووية لا تزال قائمة, والسعودية

قلقة منها, ربما ليس بنفس القدر الذي يقلق إسرائيل, لكنها قلقة من هذا الامر.

لقد ذكرت مسبقا بانك تعتقد ان هم الصين الأساسي في المنطقة هو التدفق المستقر والمستمر للنفط. هل ترى ان الصينيين يمتلكون مصلحة غير هذه في المنطقة مستقبلا؟

اود ان استبق الذكر بالقول بأنني لست مختصا بالسياسة الخارجية للصين. لكنني دائما ما اعتقدت, كما ذكرت, بان الكثير من ذلك يعتمد فيما إذا كانت الصين تنظر الى الأمور من منظار الاقتصاد ام من منظار السياسة, فهم سيستغلون كل الضمانات التي تقدمها الولايات المتحدة لأمن المنطقة, ولكنهم لن يقوموا بالانحياز الى طرف على حساب غيره. إذا ما رأت الصين الأمور من منظار علماء السياسة, فيتوجب عليهم ترسيخ وجودهم العسكري وحماية الممرات المائية التي تسلكها شحنات الطاقة من الخليج الى الصين. بتخميني, فان الصين لم تقرر بعد القيام بهذا الامر بعد, والسبب لأنها لا تمتلك القدرة على فعل ذلك حتى الان. هذه الصولة الدبلوماسية التي قامت بها الصين تنسجم تماما مع الدور الذي رسمته لنفسها والذي لا تنحاز فيه الصين الى أي طرف وعن رغبتها في استقرار المنطقة, وأنها قادرة على استخدام الدبلوماسية مع جميع الأطراف في الخليج بشكل لا تستطيع الولايات المتحدة القيام بمثله.

كيف ستنظر إدارة بايدن الى هذه الاخبار باعتقادك؟

وزارة الخارجية كانت واضحة تماما: فهي قالت انها سعيدة باي شيء من شأنه ان يخفض التصعيد في المنطقة. وستتبع الإدارة هذا الخطاب بالقول باننا سعداء بحدوث أي شيء من شأنه تسوية الأمور في المنطقة. ثم ستتحدث الإدارة مع السعودية وتخبرهم, ماذا يعني الامر لهم بالنسبة لإيران؟ وأين يقف سيقف السعوديون من القرار الذي سيتم اتخاذه حيال البرنامج النووي الإيراني؟ أخبرونا ما هو موقفكم من هذا الان, بسبب, لأنكم فيما مضا كنتم تشجعوننا على اتخاذ موقف متصلب, وكنتم بالضد من قيامنا بعقد صفقة نووية مع ايران.

ولكن, لا زلت اعتقد بان هناك أناس في الكونغرس ومن كلا الحزبين, سينظرون الى ما حدث كفشل في السياسة الخارجية الامريكية بسبب تبنيهم لرؤية صفرية لعلاقتنا مع الصين. لا يتطلب الامر جهدا كبيرا لفهم كيف علينا التعامل مع قوة عظمى منافسة والتي على العكس من الاتحاد السوفيتي لدينا علاقات اقتصادية كبيرة معها. هذه منطقة مجهولة بالنسبة لنا. لذلك فان نموذج الحرب الباردة الذي أصبح الكثيرون في واشنطن يطبقونه على العلاقات مع الصين ليس السبيل الأمثل للتفكير حول هذا الموضوع. اذا كان بالإمكان إيجاد مناطق يوجد فيها في الحقيقة مصالح مشتركة, يجب الإقرار بها. وقد تكون هذه الاتفاقية أحدها.

تركيا

والتوازن الاستراتيجي في الشرق الاوسط

الدكتور معمر منعم صاحي العمار

Iraqi Institute For Dialogue
المعهد العراقي للحوار

hewariraq.iq
07905400123
المعهد العراقي للحوار

الدكتور معمر منعم صاحي العمار
تركيا
والتوازن الإستراتيجي
في الشرق الأوسط
دار الحكمة
لندن

التجسس السيبراني: مخاطر تتجسس شركات التكنولوجيا الصينية على الامن القومي

■ د. كرار أنور البديري

مدير قسم مراكز التفكير في السفارة العراقية في واشنطن

الاحتفاظ بجاسوس في الداخل يعادل جيشاً بأكمله! ...

سن تزو

المقدمة

منذ صعودها في النظام العالمي، أضحت الصين في اندفاع عظيم نحو ترسيخ مكانتها التكنولوجية في العالم، واكتساب الاسبقية الرقمية، وهو ما خطته الحكومة الصينية في أهدافها القومية لعام 0202، التي عبرت عن رغبتها بالظهور كرائد عالمي في تكنولوجيا الجيل الخامس(5G)((1)). ومن أجل تحقيق أهدافها المتوخاة، اخذت الحكومة الصينية تصنف شركات التكنولوجيا الخاصة على إنهم «أبطال الصين القوميين»، أي إن نجاحهم مهم من الناحية الاستراتيجية للدولة((2)). الأمر الذي يوضح طبيعة العلاقة المعقدة بين الدولة والشركات التكنولوجية، وكيف تسعى تلك الشركات في تحقيق اهداف الدولية الصينية في الداخل والخارج. مما يضع الكثير من المؤشرات على الاعمال التي تقوم بها شركات تكنولوجيا الاتصالات وعلى رأسها عملاقا التكنولوجيا الصيني هواوي، ودورها في تسهيل التجسس الصيني على البنى الرقمية التي اقامتها في الكثير من دول العالم.

وهو الأمر الذي يجعل من الأهمية بمكان دراسة طبيعة العلاقة بين شركات التكنولوجيا والحكومة الصينية، وكيف تتجسس شركة هواوي على عملائها لصالح الصين، وما هي وسائلها؟((3))

أولا: التجسس في الثقافة الاستراتيجية الصينية

قد لا يبدو التجسس الذي تُتهم به شركات تكنولوجيا الاتصالات الصينية بين الفينة والأخرى، حالة غريبة للمطلع على الثقافة الاستراتيجية الصينية التي تحكم السلوك السياسي الصيني. فهذه الثقافة تمثل اللغة الصامتة التي بموجبها يتحرك ويتفاعل الصينيون سلوكيا مع العالم الخارجي. فعلى خلاف الكثير من الدول، عادة ما تحتكم الصين لإستراتيجية الاقتراب غير المباشر في الوصول الى أهدافها الاستراتيجية، مع اعتمادها على السبل التي تكفل هزيمة العدو من دون قتال[4]. لهذا يعد التجسس والتحايل والخداع من أبرز سمات الاستراتيجية الصينية غير المباشر. إذ لا يمكن للمرء أن يلحظ مخاطر (او أهدف) السلوك الصيني عبر الرصد الظاهري، فالإخفاء والتحايل والتجسس يعد سلوكا إستراتيجيا صينيا بامتياز.

ولا شك أن عمليات التجسس والمراقبة التي تقوم بها شركات التكنولوجيا الصينية لصالح الحكومة، لها أساس وتاريخ وموروث ثقافي واسع يعود الى الفيلسوف الصيني سن تزو صاحب كتاب: «فن الحرب»، الذي يعد رائد الجاسوسية الصينية، ومؤسس أول شبكة استخبارية كاملة في الصين. وعادة ما يسترشد الصينيون بالأسس التجسسية التي وضعها سن تزو بتعاملهم السياسي في الكثير من المواقف. إذ تعد الحكومة الصينية كتاب فن الحرب الإطار المرجعي في حركتها الاستراتيجية، وتدور الفكرة المحورية للكتاب حول «كيفية ضمان النصر العسكري بأقل التكاليف، وأسرع الطرق، بما في ذلك إمكانية عدم استخدام السلاح، ابتداء من إعداد الخطة، وصولا إلى تجنيد الجواسيس»[5]، وذلك استنادا الى عبارة سن تزو الشهيرة: «إن الفوز بمائة انتصار في مائة معركة ليس ذروة المهارة. إن إخضاع العدو وهزيمته من دون قتال هو ذروة المهارة»[6].

ويكرس كتاب فن الحرب جهدا كبيرا لإيضاح أهمية الجواسيس في العمل السياسي، وهو ما يفتح لنا نافذة على إستراتيجية العقل الصيني، في التعامل مع الأعداء والتغلب على المواقف الصعبة والخطيرة عبر التجسس. إذ يقول سن تزو: «إن المعلومات المسبقة لا يمكن إنتزاعها من الاشباح، ولا يمكن الحصول عليها من استقراء التجارب، ولا من أي تقدير استنتاجي تنجيمي بدورات الشمس والقمر والنجوم. فالمعلومات عن أوضاع العدو لا يمكن الحصول عليها، إلا من الناس الذين يعرفون أحوال العدو. لذلك لا بد من استخدام الجواسيس الذين يمكن تصنيفهم الى خمسة أنواع: الجواسيس المحليون، الجواسيس الداخليون، الجواسيس المحولون، الجواسيس الهالكون، الجواسيس الأحياء». ويضيف سن تزو قائلا: «عندما تعمل هذه الأنواع الخمسة من الجواسيس، لا يمكن لأحد أن يتكشف شبكتك السرية في التجسس. فهذا ما يسمى «براعة خيوط النصر» على العدو، وهذا أيضا "سلاح سحري" يملكه الحاكم»[7].

وعليه يعد التجسس اليوم في صلب الاستراتيجية الصينية الكبرى سواء على المستوى الاقتصادي او العسكري او التكنولوجي، ويمثل امتدادا لحكمة سن تزو المتمثلة بفن اخضاع العدو من دون القتال، وهو ما يعرف عند الصينين بـ"الحرب السياسية"، إذ تعتقد قيادات الحزب الشيوعي الصيني: «أن الحرب السياسية - كما قال الرئيس ماو - هي سلاح سحري»[8]. وهو أمر أقر بأهميته وتأثيره الرئيس الصيني شي جين بينغ في خطابه امام الحزب الشيوعي في العام 2014، حول أهمية عمل الجبهة الموحدة - أنشطة التأثير السياسي - ووصفه بأنه أحد «الأسلحة السحرية» للحزب الشيوعي الصيني[9].

وعليه تعد شركات تكنولوجيا الاتصالات الصينية أحد أهم واعظم أدوات التجسس الصينية، فهم ابطال قوميين يحققون أهداف الدولة، ويكملون

عمل استراتيجيتها. وبالرغم من إن الصين توظف القدرة المتاحة لشركات التكنولجيا في تعزيز حضورها الرقمي وزيادة نموها الاقتصادي، إلا إنها بدأت توظفها مؤخرا في مجال المراقبة والحصول على المعلومات التي سيكون لها السبق، اذا ما امتلكت ناصيتها. لذلك أصبح دور تلك الشركات يعمل بطريقة تكاملية عن طريق دمج عمليات التجسس البشرية التقليدية مع القدرات المتاحة في الفضاء الإلكتروني. وعليه أصبحت وزارة أمن الدولة (MMS) والاستخبارات العسكرية[10]، في الصين قادرة في كل مراحل جمع المعلومات الاستخبارية استغلال شبكات الكمبيوتر لتكملة الذكاء البشري التقليدي والعكس صحيح.

ثانيا: التجسس المُلزِم: طبيعة العلاقة بين شركات تكنولوجيا الاتصالات الصينية والدولة الأم

تعد مسألة التجسس والوصول الى المعلومات المسبقة، احد اكثر الجوانب اثارة للإهتمام في اندفاع الصين المتطرف نحو عالم الذكاء الاصطناعي وغيره من التقنيات الرائدة، وهو ما يسلط الضوء على طبيعة العلاقة بين الحزب الشيوعي الصيني وشركات التكنولوجيا الصينية الضخمة في البلاد.

اذ تواجه شركات التكنولوجيا الرائدة في الصين بما في ذلك شركة هواوي صعوبة في إقناع الكثير من الحكومات بإنها مستقلة عن بكين، نظرا لسلطة الحزب الشيوعي على الاقتصاد الذي تسيطر عليه الدولية، وهو الحزب الذي اخذ يولي أولوية قصوى للحفاظ على سيطرة الدولة على المرتفعات الاستراتيجية للاقتصاد. فقد نمت شركات التكنولويجا الصينية تحت رعاية الحكومة الصينية، حيث أدى المجمع الأمني في بكين والذي يديره جيش التحرير الشعبي دور مركزيا في صناعة التكنولوجيا في الصين، الأمر الذي خلق علاقة تعاونية وثيقة وتكاملية بين الطرفين بشكل لا يمكن الانفكاك عنه. حيث تساعد هذه العلاقة من جهة في تحول الصين إلى اقتصاد عالمي، وتعزز من قبضتها على المجتمع والدولة، ومن جهة أخرى تضمن هذه العلاقة ديمومة وقوة الشركة المالية في ساحات المنافسة العالمية[11]. فقد أدت هذه العلاقة الوثيقة إلى تعزيز النظر الى الشركات الصينية على أنها أذرع فعالة للدولة، بطريقة تجعل من الصعوبة بمكان على أي شركة خارج الصين منافستها، وكما يقول أحد المستثمرين في بكين، تعتقد الشركات الأمريكية والأوروبية أنها تتنافس «ليس مع شركة، وإنما مع الدولة»[12].

فقد وجد تقرير استقصائي أعدته صحيفة وول ستريت جورنال في العام 2019، إن شركة هواوي حصلت على ما يصل الى 75 مليار دولار من الدعم والاعانات الحكومية، وإلاعفاءات والخصومات الضريبية، والموارد الرخيصة لأنها أصبحت أكبر مورد للاتصالات في العالم[13].

ومما يجدر ذكره في هذا المجال، إن الشركات الصينية التي لا ترغب في التعاون مع الحزب الشيوعي الصيني، وتمثل تحديا لسيطرته على المجتمع، عادة ما تنظر إليها الحكومة الصينية بعين الريبة والشك، وتعمل على الإجهاز عليها، فعلى سبيل المثال أدى عدم التعاون بين شركة أنبانج (Anbang) التي تعد كبرى شركات التأمين، والحكومة الصينية الى اعتقال مؤسس الشركة وو شياو هوي (Wu Xiaohui)، والحكم عليه بالسجن لمدة 18 عاما بتهمة الاحتيال. وهو ما يوضح مدى سيطرة الصين على القطاع الخاص في الدولة[14]. وعليه فإن حرية عمل الشركات في داخل الصين وخارجها مرهونة بمدى تعاونها الوثيق مع الحزب الشيوعي الصيني. إذ بموجب القانون الصيني يجب على كل شركة صينية أن يكون لديها لجنة من الحزب الشيوعي الصيني تضمن «القيم الأخلاقية والاجتماعية» في عمل الشركة وتنظم علاقتها مع الحكومة الصينية[15].

ولا تقتصر العلاقة بين شركات التكنولوجيا الصينة والحكومة على العلاقات المالية فحسب، بل إن هناك علاقات أمنية واستخبارية مشتركة بين الطرفين. اذ يتعاقد جيش التحرير الشعبي مع شركة هواوي وشركة ZTE وله صلات مع قيادتها العليا، ولاسيما مؤسس شركة هواوي ورئيسها التنفيذي رن تشنغ فاي (Ren Shuhong)، الذي كان يعمل مدير فيلق الهندسة المدنية الأساسية في جيش التحرير الشعبي. ولكن العلاقة بين قادة الجيش وشركات التكونولجيا، ليست علاقات ذات أسس شخصية، وانما علاقات حزبية، يوجهها ويتحكم بها مجمع الحزب الشيوعي العسكري الصناعي (PMIC)، اذ يحدد هذا المجمع أهدافا سياسية عامة يتطلع جيش التحرير الشعبي في الوصول إليها، ويعطيها على شكل توجيهات محددة لقادة شركات التكنولوجيا مثل شركة هواوي وشركة ZTE، والمقاولين الذين يعملون بالباطن، لكي تُضمنها في صناعتها، ومن ثم تصل الفوائد الاقتصادية والسياسية من هذه الصناعات التي تقوم بها الشركات الى المؤسسة العسكرية على شكل عقود مكتملة وقنوات تجسس، الأمر الذي يجعل الحزب الشيوعي الصيني يجني العديد من الفوائد الاقتصادية والسياسية من تجارة الصناعة التكنولوجية[16].

لذلك تشارك شركات التكنولوجيا الصينية في التجسس الصيني على الكثير من دول العالم، او تسهل عملية القيام به، وهو أمر من الصعوبة التشكيك فيه، بسبب طبيعة العلاقة الاستخبارية بين الشركات التكنولوجية والدولة، والتي يحددها قانون المخابرات الوطني الصيني. اذ تجبر المادة (7) من القانون كل الشركات المسجلة في الصين او لديها عمليات في الصين إلى التعاون وتسليم «بيناتات المستخدم» الى وكالات الاستخبارات الصينية. اذ تشير المادة (7): «يجب على جميع الهيئات الوطنية والقوى العسكرية والأحزاب السياسية والفئات الاجتماعية والمؤسسات والشركات، وكذلك المواطنين، أن تدعم وتتعاون في العمل الاستخباري الوطني، وتحافظ على سرية عمل الاستخبارات الوطنية الذي هم على دراية به»... «إن الإدارات ذات الصلة على جميع مستويات الحكومات المحلية والشركات ووحدات العمل والمنظمات الأخرى والمواطنين يجب أن يقدموا المساعدة اللازمة لأجهزة المخابرات الوطنية التي تقوم بعملها بشكل قانوني، وتحافظ على السرية»[17].

وعليه فإن مشاركة شركات التكنولوجيا في العمل الاستخباري الصيني هو مسؤولية والتزام قانوني، بغض النظر عن الحدود الجغرافية. إذ توسع المادة العاشرة (10) من القانون وصول الاستخبارات الصينية الى بيانات المستخدمين خارج الحدود الإقليمية، وبطريقة تجبر شركات التكنولوجيا على تسليم بيانات المستخدم حتى عند عمل هذه الشركات في ولايات قضائية اجنبية، فهي تشير: «يتعين على مؤسسات العمل الاستخباراتي الوطنية، حسب الاقتضاء لعملها، استخدام الوسائل والتكتيكات والقنوات اللازمة لتنفيذ الجهود الاستخباراتية، في الداخل والخارج»، علاوة على ذلك تنص المادة (28) من نفس القانون على أنه «يمكن احتجاز كل من لا يمتثل للقانون ويتم التحقيق معه»[18].

مما لا شك فيه، إن الاحكام الواردة في قانون المخابرات الوطني الصيني، تقنن طبيعة العلاقة بين شركات التكنولوجيا والحزب الشيوعي الصيني، وتُظفي الطابع الرسمي على التعاون بين الصناعة التكنولوجية والدولة، الأمر الذي يبين بوضوع كيف تتعاون بشكل سري عملاق التكنولوجيا الصيني هواوي، وغيرها من الشركات التكنولوجية مع جيش التحرير الشعبي والحزب الشيوعي الصيني.

ونظرا لتلك العلاقة ظهرت مجموعة من التقرير التي توثق هذا التعاون الاستخباري، بما في ذلك تقرير استخباري صدر في العام 2016، تابع للبنتاغون، فضلا عن تقرير شركة الأمن السيبراني (Recorded

Future)، حيث وثقت هذه التقرير أنشطة التجسس التي تقوم بها شركة بويوسيك (Boyusec) لتكنولوجيا المعلومات، وعلاقتها بوزارة أمن الدولة (MMS)، وبموجب هذه الادلة وجهت وزارة العدل الأمريكية في العام 2017، تُهم للمؤسس المشارك للشركة وو ينجزهو (Wu Yingzhuo)، والمدير التنفيذي للشركة دونغ هاو (Dong Hao) بإختراق وسرقة مواد من شركة موديز (Moody's) -التي تسيطر على ما يقارب من 40% من سوق تقييم القدرة الائتمانية في العالم- وشركة سيمنز، وشركة ترمبل نافيجيشن (Trimble Inc) المتخصصة في تكنولوجيا البرامج والأجهزة والخدمات في كالفورنيا[(19)]. علاوة على ذلك تفيد التقارير: إن شركة هواوي تعمل عن كثب مع شركة بويوسيك التي تعمل بدروها مع الاستخبارات الصينية، بل إن شركة بويوسيك تصنف هواوي في موقعها الرسمي كشريك تعاوني، كما موضح في الشكل (1)[(20)].

شكل (1) الموقع الالكتروني لشركة بويوسيك التي تصنف هواوي كشريك تعاوني

Source: A Transactional Risk Profile of Huawei, RWR Advisory Group, February 13, 2018. P.15.

وبالرغم من إن شركة هواوي لا تنكر التعاون مع شركة بويوسيك، وتدعي أنها استخدمت خدمات بويوسيك الأمنية لتقييم شبكة الانترنت الداخلية للشركة، إلا إن بعض التقارير الاستخبارية تزعم إن التعاون أكبر بين الشركتين. إذ يشير تقرير داخلي صادر عن مديرية المخابرات المشتركة في البنتاغون J-2 في العام 2016، «إن شركتي بويوسيك وهواوي تعملان معا لإنتاج منتجات أمنية سيتم تحميلها في أجهزة الكمبيوتر والهواتف الصينية المصنعة من قبل شركة هواوي، وإن هذه المنتجات المزيفة ستسمح للمخابرات الصينية بالتقاط البيانات والتحكم في أجهزة الكمبيوتر والاتصالات السلكية واللاسلكية». وهو ما يجعل شركة هواوي تعمل كغطاء لجمع المعلومات الاستخبارية، وذلك في نمط مشابه لما قامت به المخابرات الروسية في الماضي عبر استخدام شركة كاسبر سكاي للأمن السيبراني لجمع المعلومات الاستخبارية[(21)]. كما تكشف وثائق الحكومة الصينية: «أن البيانات التي تم جمعها من تكنولوجيا المدن الذكية، والتي قامت بها شركة هواوي يتم إرسالها مرة أخرى إلى الصين لتحليلها، مما يساعد الحزب الشيوعي الصيني في تعزيز جهود الدبلوماسية الشعبية له في العالم»[(22)].

في حين يشير التقرير الصادر في العام 2012، عن اللجنة الدائمة المختارة للاستخبارات في الكونغرس الأمريكي: «بإن الوثائق الداخلية لشركة هواوي، والمسربة من قبل موظفي هواوي السابقين، تفيد بإن الشركة تقدم خدمات وانشطة شبكية خاصة الى كيان تابع لوحدة النخبة للحرب الإلكترونية داخل جيش التحرير الشعبي»[(23)].

صفوة القول: إن المخاوف من ارتباط هواوي بالجيش الصيني تعود إلى العام 2005، لاسيما حينما كلفت القوات الجوية الأمريكية مؤسسة راند في العام 2005، بفحص وتقييم التهديدات النابعة من شركات الاتصالات الصينية على الجيش الأمريكي، وخلصت راند في تقريرها الى «أن شركة هواوي لديها علاقات عميقة مع الجيش الصيني»، مشيرةً: إلى «إن الشركات الصينية الخاصة مثل هواوي تعد جزءا من «المثلث الرقمي» الجديد من الشركات

والمعاهد والهيئات الحكومية التي تعمل معا بشكل سري»[24].

ثالثا: الأبواب الخلفية: وسائل الصين في التجسس الإلكتروني

إذا كانت شركات تكنولوجيا الاتصالات تمثل أحد أعظم وسائل الصين في التجسس الإلكتروني، فإن وسائل هذه الشركات في تعزيز القدرة الصينية على التجسس تتمثل في مشاريع الكابل الضوئي، والمعدات التكنولوجية والبرامج الضارة مسبقا.

مشاريع الكابل الضوئي:

كجزء من مبادرة الحزام والطريق، أطلقت الصين في العام 2015، مبادرة طريق الحرير الرقمي، التي تعد أكبر مشروع للبنية التحتية الرقمية في العالم، وبموجب هذه المبادرة -التي تتطلب نشر شبكات اتصالات الجيل الخامس (5G) وانشاء وتوسيع الكابلات الضوئية- قدمت الصين المساعدات الاقتصادية للدول المتلقية من اجل إنجاز تلك المشاريع التي قامت بها شركات التكنولوجيا الصينية وعلى رأسها شركة هواوي[25]. فمن بين 350 مشروعا للكابلات الضوئية تحت قاع البحر في عموم العالم، أي ما يمثل حوالي 95 بالمائة من حركة مرور البيانات العابرة للقارات، شاركت شركة هواوي في 90 مشروعا من بين تلك المشاريع، وذلك لبناء أو ترقية الكابلات الضوئية تحت سطح البحر لتصبح المشغل الأساسي في العديد من أنحاء العالم. فقد انهت شركة شبكات هواوي البحرية (Huawei Marine Networks) التابعة لشركة هواوي العديد من الكابلات البحرية التي تربط البحر الأبيض المتوسط، ومنها كابل هانيبال الذي يربط بين تونس وإيطاليا وكابل آخر يربط ليبيا باليونان، كما قامت هواوي ببناء كابلات بحرية تربط سلطنة عمان بشرق إفريقيا وباكستان، في حين تخطط الشركة لربط منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بأوروبا وإفريقيا عن طريق كابل بحري يمتد عبر المحيط الهندي والبحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط، حتى يصل إلى فرنسا وكينيا وربما جنوب إفريقيا[26].

لا شك إن هذا التوسع الكبير في مشاريع شركة هواوي للكابلات الضوئية، والذي سهلته الصين عبر إعانتها المقدمة للشركة، ومساعدات التنمية الاقتصادية، لا تعد مشاريعاً خيرية تقدمها الصين للبلدان النامية، وانما هناك دوافع أخرى ورائها -تتعدى مسألة الانتقال نحو الاقتصاد الرقمي- وتتمثل بالسيطرة على أصول اقتصاد المستقبل: البيانات، والعمل على التحكم بها والسيطرة عليها بشكل يضمن مصالح الصين الاقتصادية والسياسية. فمن وجهة نظر تجارية تسمح عملية تدفق البيانات لشركات التكنولوجيا الصينية بفهم الأسواق بشكل أفضل والتغلب على اللاعبين المحليين والأجانب. أما إذا اخذنا بنظر الاعتبار الجانب الأمني فسنجد «أن مسألة التحكم في تدفقات البيانات ستسمح لشركات التكنولوجيا الصينية ومجمع الحزب الشيوعي العسكري الصناعي (PMIC) بمراقبة تدفق المعلومات ومعالجتها او تعطيلها»[27]، لاسيما وإن الكابلات البحرية تعد أمرا حيويا للاتصالات العالمية والتحويلات المالية.

يقول في هذا الصدد روبرت جيك بيبر (Robert Jake Bebber)، رئيس فرع العمليات السيبرانية لقيادة العمليات الخاصة الأمريكية: «إن الملكية في نظام الكابلات البحرية، فضلاً عن عملية الاستفادة من تركيبها وصيانتها، توفر فرصا استراتيجية مهمة للصين». ويحذر: «من أن السيطرة على الكابلات البحرية من شأنه أن يُمكن الصين من شن الهجمات السيبرانية، والوصول إلى جميع الاتصالات والتجسس عليها في جميع أنحاء العالم تقريبا، بما في ذلك حركة الجيش الأمريكي». ويضيف: كما «أنه يُمكن الصين من تعطيل الاتصالات في الوقت والمكان اللذين تختارهما»[28].

لذلك يخشى العديد من الخبراء الأمنيين من «إن شركة هواوي وغيرها من شركات التكنولوجيا الصينية التي لها صلات بالحزب الشيوعي الصيني، يمكن أن توجهها الحكومة الصينية لاستخدام نفوذها في عملية صناعة الكابلات البحرية لممارسة الضغط على الدول أو الانخراط عمليات في التجسس»[29].

بالرغم من إن الاستثمار الصيني في البنى التحتية الرقمية قد يكون ميسور التكلفة مقارنة بمشاريع البنى التحتية التقليدية، وجذابا للبلدان النامية التي تواجه أعباءً من الديون، وتبحث عن مشاريع موجهة نحو التكنولوجيا[30]، إلا إن التاريخ يفرض: أن الاعتماد على البنية التحتية الرقمية الصينية يمكن أن يكون له عواقب تجسسية وخيمة، وذات دوافع سياسية على الأمن السيبراني، وهو ما يمكن النظر إليه في حالة فيتنام، فعندما سيطر المستثمرون الصينيون على تطوير البنية التحتية المادية والرقمية، اخذت فيتنام تتعرض للضغوط السيبرانية كلما اشتطت في مواقفها السياسية عن دعم الصين. فعلى سبيل المثال عندما أعربت فيتنام في العام 2016، عن رفضها لموقف الصين في بحر الصين الجنوبي، «استغل المتسللون الصينيون معرفتهم بأنظمة المطارات في فيتنام - التي قدمها الصينيون – فقاموا باختراق وتعليق أجهزة الكمبيوتر بالمطارات وكذلك مواقع شركات الطيران»[31].

وهكذا تثير مشاريع الكابل الضوئي التي تدعمها الصين عبر شركات تكنولوجيا الاتصالات بما في ذلك الشركات غير المملوكة للدولة، الكثير من المخاطر التجسسية، إذ تمنح هذه المشاريع القدرة المستقبلية للصين في التحكم ببنية الاتصالات، ومنطقة المعلومات، وحركة البيانات الدولية، ومراقبة تدفقها، بما يمكن الصين من التجسس الإلكتروني على جميع الاتصالات، وإعمال الضغط الاقتصادي والسياسي والعسكري على الدول المستهدفة.

المعدات التكنولوجية والابواب الخلفية

عادة ما تثير المعدات والأجهزة التكنولوجية وبرامج الاتصالات الصينية الكثير من المخاطر الاستخباراتية، خشية من احتواءها على الثغرات التي تسهل إمكانية التجسس الإلكتروني، وهي المخاطر التي يلخصها التقرير الصادر عن أجهزة الأمن التابعة للحكومة الهولندية بالآتي:

«غالبًا ما يتم شراء أجهزة الكمبيوتر والمعدات الأخرى من بلد أجنبي، لأن شركة أجنبية قد فازت بالمناقصة. وغالبا ما تُترك عملية الحفاظ على تشغيل هذه الأجهزة والبرامج المعقدة لمتخصصي الشركة التي قامت بتصميمها أو لطرف ثالث متخصص. ونظرا للمعرفة المتخصصة المطلوبة لإنتاج هذه المنتجات وصيانتها، فمن الصعب على الدولة أن تراقب عن كثب ما يحدث بالضبط في أنظمتها الخاصة، وعلى من يمكنه الوصول إلى المعلومات المحددة... وهكذا يمكن للمصالح الأساسية للدولة أن تقع في أيدي دولة أخرى بهذه الطريقة». ويضيف التقرير: «حتى الشركات المشهورة التي تتمتع بسمعة طيبة فيما يتعلق بالحماية من التجسس الصناعي، لا يمكنها دائما أو لا تريد دائما توفير الحماية ضد الأنشطة الاستخبارية، لكون الشركة المعنية مثلا قد أُنشأت لخدمة استخبارية بهدف الحصول على معلومات بهذا الشأن، او قد تمارس الدولة ضغوطا على شركة تقع داخل حدودها بشكل يجبرها على التعاون مع أجهزة استخباراتها، عبر تهديدات برفض التصاريح، او اتهامات بخرق الامن او مخالفة وحجب الأوامر الحكومية، وهي كلها أدوات يمكن أن تستخدمها الدولة وتكون الشركات حساسة ازاءها للغاية». ويخلص التقرير للقول: «من الصعب على الشركات الموجودة فعليا في الخارج بغض النظر عن مدى موثوقيتها، أن ترفض الدعوة للتعاون مع جهاز المخابرات الوطني الخاص بدولتها»[32].

لذلك كثيرا ما تلوح في الأفق مسألة مدى احتواء معدات وتقنيات شركة هواوي على أبواب خلفية[33](*) تساعد على التجسس والقرصنة الصينية. وبالرغم من أن شركة هواوي تجادل بعدم وجود دليل يؤكد على انخراط الشركة في قضايا التجسس والمساومة عبر أجهزتها، إلا إن الخبراء يعتقدون اعتقادا راسخا بإن معدات وبرامج هواوي تشكل تهديدا كبيرا للأمن السيبراني، وذلك نظرا لنقاط الضعف الكامنة في أنظمة اتصالات هواوي -مما يسمح للشركة بالوصول الى مجمل الشبكات التي قامت ببنائها- فضلا عن السجل الحافل للصين بشأن الهجمات السيبرانية، وكذلك الطريقة التي تتدخل بها الدولة مع الشركات الصينية[34]، وطبيعة العلاقات الاستخبارية بين الطرفين والتي تلتزم بها جميع شركات التكنولوجيا بموجب المادة (7) من قانون المخابرات الوطني الصيني.

وعليه يشير التقرير الذي أعدته وكالة بلومبرج في العام 2019، إنه وفقًا لوثائق الإحاطة الأمنية الخاصة بشركة فودافون في عامي 2009 و2011 والتي شاهدتها بلومبرج «إن شركة فودافون في إيطاليا عثرت على أبواب خلفية في معدات الاتصالات والإنترنت التابعة لشركة هواوي تعود لعام 2009. اذ تم العثور على تلك الأبواب الخلفية في برامج الشركة التي تعمل عليها أجهزة التوجيه المنزلية وغيرها من أجهزة الشبكات الخاصة بالاتصالات، بما في ذلك الكابل الضوئي الذي وضعته الشركة، وقد سمحت تلك الأبواب الخلفية المخفية في معدات هواوي إلى الوصول غير المصرح به للشركة الى شبكة الخطوط الثابتة لناقل الانترنت في إيطاليا، وهو النظام الذي يوفر خدمة الإنترنت لملايين المنازل والشركات»... ويشير التقرير: «الرغم من إن شركة فودافون قالت إن المشاكل قد تم حلها في العام 2011 من قبل شركة هواوي، إلا ان الثغرات بقيت موجود في أعمال فودافون في المملكة المتحدة وألمانيا وإسبانيا والبرتغال، وذلك لأن شركة فودافون ظلت عالقة مع هواوي بسبب خدماتها المقدمة بأسعار تنافسية»[35].

لذلك يقال: إن شركة هواوي يمكنها الوصول إلى الشبكات التي ساعدت في بنائها، والتي تستخدمها الهواتف المحمولة في جميع أنحاء العالم، وتشير بهذا الصدد صحيفة وول ستريت جورنال في التقرير الذي أعدته بالعام 2020، «إن شركات الاتصالات في معظم البلدان تملك طرقا لمنح مسؤولي انفاذ القانون إمكانية الوصول الى إجزاء من الشبكة، لكن شركة هواوي تحافظ على الوصول إلى تلك الأبواب الخلفية في الشبكة، ويمكنها الحصول على البيانات منها حتى من دون استحصال الأذن من شركات الاتصالات المحلية». وهو الأمر الذي كشفته الولايات المتحدة لبريطانيا وألمانيا في نهاية العام 2019، بعد أن لاحظت إن شركة هواوي استخدمت منذ العام 2009، أبوابا خلفية مخصصة لإنفاذ القانون عبد معدات وأجهزة الجيل الرابع (4G)[36].

وهو أمر دافع عنه وايده روبرت سي أوبراين (Robert C. OBrien)، مستشار الأمن القومي الأمريكي في عهد الرئيس دونالد ترامب، اذ قال في بداية العام 2020: «إن شركة هواوي لديها القدرة على استرداد المعلومات الحساسة سرا في شبكات الجيل الخامس اللاسلكية والأنظمة الأخرى التي تحتفظ بها في جميع أنحاء العالم، وإن الولايات المتحدة لديها دليل على ذلك»[37].

وبالرغم من إن مزاعم أوبراين كانت جزء من حملة ترامب الخارجية لإحباط صعود شركة هواوي، ولكن يبدو فيها شيء من الصحة. فعلى ما يبدو إن مجمع الاستخبارات الامريكية كان لديه أدلة حول استخدام شركة هواوي للأبواب الخلفية في معدتها وبرامجها التقنية مما يسمح لها بالحصول على البيانات التي تتدفق عبر الشبكات التي تقوم ببنائها وصيانتها. فقد ذكرت صحيفة نيويورك تايمز في العام 2014: «إن وكالة الأمن القومي الأمريكي

تسللت الى أنظمة وخوادم شركة هواوي منذ العام 2004، في عملية سرية أطلق عليها اسم (Shotgiant)، وكان الهدف من تلك العملية تحديد الصلات بين جيش التحرير الشعبي والمالك الحقيقي للشركة، ولكن تحولت العملية تدريجيا الى الدخول في تقنية أنظمة التحويل الخاصة بالشركة، بما في ذلك الأبواب الخلفية التي تحتفظ بها هواوي في معداتها وذلك للتأكد من معرفة وكالة الامن القومي بكيفية استغلال هواوي لهذا المعدات، فضلا عن كيفية اختراق أنظمتها، بحيث عندما يشتري الخصوم والحلفاء معدات هواوي، سيتم توصيل الولايات المتحدة بهذه الشبكات». وقد ظلت هذه العملية في إطارها السرى حتى تم الكشف عنها في العام 2014، كجزء من الوثائق المسربة من قبل إدوارد سنودن[(38)].

بالمجمل، تثار الكثير من الشبهات حول المعدات التقنية التابعة لشركة هواوي، بما في ذلك احتواءها على الثغرات التي تضعف الامن السيبراني للبنية التحتية الرقمية، ما يمكن الشركة بالتسلل والوصول إلى البيانات التي تحتاجها والتحكم بها ومعالجتها، وهذا ما وجدته مجموعات الأمن السيبراني في البرامج الضارة المثبتة مسبقا في هواتف هواوي وشاومي، والتي من خلالها تمكنت أطراف ثالثة من الاستماع إلى المكالمات وتتبع المستخدمين، وتنزيل قوائم جهات الاتصال وسجلات المكالمات، والاطلاع على الرسائل النصية للمستخدمين، وإجراء عمليات شراء عبر الإنترنت[(39)].

يقول في هذا الصدد مايكل هايدن (Michael Hayden)، الرئيس السابق لوكالة المخابرات المركزية ووكالة الأمن القومي في حديثة لمجلة المراجعة المالية الأسترالية المعنية بالشؤون التجارية والشركات: «إنني أدرك خطورة الثغرات والأبواب الخلفية في شبكات الاتصالات، ولكن اذا ذهبنا ابعد من ذلك يمكن القول: إن اكتساب شركة اجنبية المعرفة الوثيقة التي ستحصل عليها من خلال المساعدة في بناء شبكات اتصالات فهي مشكلة أمن قومي بحد ذاتها» وعندما سئل هايدن عما إذا كان يعتقد أنه من المعقول افتراض وجود أدلة دامغة تثبت أن شركة هواوي متورطة في التجسس نيابة عن الدولة الصينية، أجاب قائلا: «نعم هذا صحيح، فعلى الأقل أن هواوي ستشارك الدولة الصينية في المعرفة الوثيقة والشاملة بأنظمة الاتصالات الأجنبية التي تشارك فيها، وهذه حقيقية». وأضاف: «حتى عندما يشكك بعض المراقبين في مستوى القلق بشأن هواوي، فهناك اتفاق واسع داخل مجتمع الاستخبارات الدولي على أن الصين هي واحدة من الدول الراعية الرئيسة للهجمات السيبرانية والتجسس الإلكتروني لتحقيق مكاسب اقتصادية. ذلك بإن الروابط المتصورة بين شركة هواوي والحكومة الصينية مقلقة، بالنظر إلى نية الدولة وليس بالضرورة إلى نية الشركة»[(40)].

الخاتمة والتوصيات

تسعى الصين بشكل دؤوب على تعظيم حضورها الرقمي على المسرح العالمي، وإعادة تشكيل البيئة الرقمية التي تحكم العالم المعرفي والأقتصادي، بالشكل الذي يعزز أهدافها ومصالحها القومية الآخذة بالتنامي، وهو ما جعل الصين تعمد وربما أكثر من أية دولة أخرى إلى الاستعانة بعمالقة التكنولوجيا لتحقيق أهدافها السياسية والاقتصادية والعسكرية وحتى الصحية، لذلك أصبحت شركات التكنولوجيا الصينية تؤدي دورا أساسيا على المستوى الجيوسياسي في استراتيجية الصين في النظام الدولي، علاوة على دورها في مجال تمكين وصول الصين الى ناصية السبق المعلوماتي عبر المراقبة والتجسس. اذ تعد هذه السألة أحد أكثر الجوانب اثارة للإهتمام في اندفاع الصين المتطرف نحو عالم الذكاء الاصطناعي وغيره من التقنيات الرائدة. وهو ما يسلط الضوء على طبعية العلاقة بين الحزب الشيوعي الصيني وشركات التكنولوجيا

الصينية الضخمة في البلاد. إذ يقوم النموذج الصيني في بيئة عمل الشركات على فكرة سيادة الدولة، وتحقيق أهدافها القومية، وهو ما يتضح من التعاون الوثيق بين شركة هواوي ووزارة أمن الدولة (MMS) التي يؤطرها قانون المخابرات الوطني في مجال التعاون المعلوماتي بين الطرفين.

وإذا كانت شركات تكنولوجيا الاتصالات تمثل أحد أعظم وسائل الصين في التجسس الإلكتروني، فإن وسائل هذه الشركات في تعزيز القدرة الصينية على التجسس تتمثل في مشاريع الكابل الضوئي، والمعدات التكنولوجية والبرامج الضارة مسبقا. لذلك فإن الاعتماد على البنية التحتية الرقمية الصينية يمكن أن يكون له عواقب تجسسية وخيمة وذات دوافع سياسية على الأمن السيبراني.

ولكن الارتباط بالبنية الرقمية الصينية، لا يثير مخاوف المراقبة والتجسس فحسب، بل يشجع الأسس الاستبدادية الرقمية، مما يعمل على إنعاش دولة المراقبة والسيادة الالكترونية، المتمثلة بالأنموذج الصيني. والحالة هذه، كثيرا ما تؤدي الصين دورا كبيرا في تعزيز الاستبداد الرقمي من خلال تعزيز تقنيات المراقبة المدعومة بالذكاء الاصطناعي. وهو الامر الذي يتطلع إليه الكثير من دعاة إحكام القبضة الحكومية على الفضاء الالكتروني وتحديده والتحكم بها، بما ينتهك الحريات الشخصية، لذلك عادة ما تغري الصين دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بفكرة تمكين القدرات الذاتية في مجال المراقبة الرقمية. فقد استخدمت الصين طريق الحرير الرقمي لتمكين البلدان المتلقية للمشروع من تبني نموذجها للسلطوية القائمة على التكنولوجيا.

وعليه تبين كل تلك المؤشرات حجم المخاطر المؤثرة على الأمن القومي عند التفكير في تبني التكنولجيا الصينية او الانخراط مشاريع البنى التحتية الرقمية التي تقودها شركة هواوي عملاق التكنولجيا الصينية.

التوصيات:

إن مسائل التجسس والمراقبة التي تثيرها شركات التكنولوجيا الصينية، بالرغم من تكلفتها العالية على الأمن القومي، ولكنها تتطلب حصنا سيبرانيا عالٍ جدا للحماية من مخاطرها، وهو أمر غير قادر العراق على القيام به من دون الاستعانة بشركات الأمن السيبراني غير الصينية، وهذا من شأنه أن يزيد التكلفة المادية للانخراط الاقتصادي مع شركات التكنولوجيا الصينية، ناهيك عن عدم قدرة تلك الشركات عن توفير الضمان الأمني الكامل في المسائل السيبراني.

في ظل العالم الرقمي اضحت البيانات احد الموارد الاقتصادية لقوة الدولة، نظرا لأرتباطها بعمليات الذكاء الاصطناعي، واقتصاد المستقبل، وعليه فإن انخراط العراق في مشاريع البنى التحتية الرقمية الصينية، يؤدي الى رهن بيانات مستخدميه الرقميين بيد الشركات الصينية المملوكة للدولة، الأمر الذي يثير العديد من المخاطر الأمنية والاقتصادية. ولاسيما وأن الحكومة الصينية تولي أهمية قصوى لفرض سيطرتها على البيانات، وبموجبه تفرض قانونيا على جميع الشركات الصينية خزن كل ما لديها من بيانات في مراكز حكومية، مع احتفاظ الصين بحقها في نقل تلك البيانات الى كيانات تابعة للدولة.

إن عملية تنظيم البيانات وتخزينها داخل حدود الدولة، أضحت قضية سياسية مهمة في العالم الرقمي الذي نعيشه، في إطار ما يعرف بـ «سيادة البيانات». وعليه تبدر الحاجة الملحة إلى تشريع مجلس النواب لقانون عراقي يحمي نظام البيانات الرقمية للمواطنين العراقيين، وعملية جمعها، ومعالجتها والافصاح عنها، والاحتفاظ بها، من قبل جميع شركات التكنولوجيا، بما يحفظ حقوق أصحاب البيانات، ويحدد التزامات الشركات او الجهات المعنية عند معالجة تلك البيانات الرقمية

الشخصية، وبما يضمن حالة سيادة الدولة العراقية على البيانات، ولا ينتهك الخصوصية الفردية وحريتها.

قائمة المصادر

أولا: المصادر العربية والمترجمة

1. كرار أنور البديري، التفاوض الدبلوماسي بين الدول، ط1، (القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، 2020).
2. سن تزو، فن الحرب، ترجمة تشو يو تشو، سلسلة كنوز التراث الصيني، (بكين: دار النشر للعلوم العسكرية، 2008).
3. محمد سعد أبوعامود، حرب استخبارات أمريكية صينية، صحيفة الخليج، ملحق الاسبوع السياسي، 1 فبراير 2018.
4. راغب ملي، الاستبداد الرقمي: «الصين» صدارة وتصدير، صحيفة العربي الجديد، 24 أغسطس 2022.

ثانيا: المصادر الاجنبية

1. Analysis of Vulnerability to Espionage: Espionage Risks and National Safety and Security. General Intelligence and Security Service of the Netherlands (AIVD) and the Directorate General for Safety and Security (DGV) at the Ministry of BZK. Nov, 2011. At: https://irp.fas.org/world/netherlands/aivd-vuln.pdf
2. A Transactional Risk Profile of Huawei, RWR Advisory Group, February 13, 2018.
3. Aaron L. Friedberg, Competing with China, Survival Global Politics and Strategy, Vol. 60, No. 3, International Institute for Strategic Studies, June–July 2018.
4. Andy Keiser and Bryan Smith, Chinese Telecommunications Companies Huawei and ZTE: Countering a Hostile Foreign Threat, The National Security Institute, Policy Paper, January 24, 2019. At: https://nationalsecurity.gmu.edu/chinese-telecommunications/
5. Anna-Marie Brady, Magic Weapons: China's political influence activities under Xi Jinping, Kissinger Institute on China and the United States In Wilson Center, September 18, 2017.
6. Beyond South China Sea Tensions, Part Two; The CCP Vision and the Future of Chinese History," Defense One Radio, February 19, 2019.
7. Bill Gertz, Pentagon Links Chinese Cyber Security Firm to Beijing Spy Service. The Washington Free Beacon, November 26, 2016
8. Bojan Pancevski, U.S. Officials Say Huawei Can Covertly Access Telecom Networks, The Wall Street Journal, Feb, 12, 2020.
9. Bonnie Girard, The Real Danger of China's National Intelligence Law, The Diplomat, February 23, 2019. At: https://thediplomat.com/201902//the-real-danger-of-chinas-national-intelligence-law/
10. BOYUSEC HACKERS, FBI, September 13, 2017. At: https://www.fbi.gov/wanted/cyber/boyusec-hackers
11. Chuin-Wei Yap, State Support Helped Fuel Huawei's Global Rise, The Wall Street Journal, Dec. 25, 2019.

Relations, Dec 18, 2020. At: https://www.cfr.org/china-digital-silk-road/

21. Joshua Meservey, Government Buildings in Africa Are a Likely Vector for Chinese Spying, The Heritage Foundation, May 20, 2020
22. Joshua Meservey, How China Has Been Using Huawei-Made Cameras to Spy on the African Union Headquarters, The National Interest, Dec 22, 2020.
23. Julian E. Barnes, White House Official Says Huawei Has Secret Back Door to Extract Data, The New York Times, Feb. 11, 2020
24. Louise Lucas, The Chinese Communist party entangles big tech, The Financial Times, July 19, 2018.
25. Murray Scot Tanner, Beijing's New National Intelligence Law: From Defense to Offense, The Lawfare Institute, July 20, 2017
26. Nick Statt, China denies claims it built backdoors into African Union's headquarters for spying, The Verge, Jan 29, 2018. At: https://www.theverge.com/201816946802/29/1//china-african-union-spying-hq-cybersecurity-computers-backdoors-espionage
27. Raphael Satter, Exclusive-Suspected Chinese hackers stole camera footage from African Union – memo, Reuters, Dec 16, 2020. At: https://www.reuters.com/article/us-ethiopia-african-union-cyber-exclusiv/exclusive-suspected-chinese-hackers-stole-camera-footage-from-african-union-memo-idUSKBN28Q1DB
28. Stacia Lee, The Cybersecurity Implications of Chinese Undersea Cable Investment, East
12. Daniele Lepido, Vodafone Found Hidden Backdoors in Huawei Equipment, Bloombergm, April 30, 2019. At: https://www.bloomberg.com/news/articles/201930-04-/vodafone-found-hidden-backdoors-in-huawei-equipment
13. David E. Sanger and Nicole Perlroth, N.S.A. Breached Chinese Servers Seen as Security Threat, The New York Times, March 22, 2014.
14. Eva Dou, Documents link Huawei to China's surveillance programs, The Washington Post, Dec 14, 2021.
15. Evan S. Medeiros, Roger Cliff, Keith Crane and James C. Mulvenon, A New Direction for China's Defense Industry, RAND Project Air Force, RAND Corporation, 2005.
16. Henny Sender and Don Weinland, Anbang: the downfall of China's global dealmaker, The Financial Times, May 14, 2018.
17. Interview Regarding Edward Snowden, Cyber Security, And Transparency with Michael Hayden, Australian Financial Review, July 2013. At: https://genius.com/Michael-hayden-interview-regarding-edward-snowden-cyber-security-and-transparency-annotated
18. Jamie Smyth, Huawei's undersea cable project raises red flag in Australia, The Financial Times, DEC 28, 2017.
19. Joe Parkinson, Nicholas Bariyo and Josh Chin, Huawei Technicians Helped African Governments Spy on Political Opponents, The Wall Street Journal, Aug. 15, 2019.
20. Joshua Kurlantzick, Assessing China's Digital Silk Road Initiative, Council on Foreign

Asia Center, The University of Washington, FEB 6, 2017. At: https://jsis.washington.edu/eacenter/201706/02//cybersecurity-implications-chinese-undersea-cable-investment/

29. Tamara Kharroub, Mapping Digital Authoritarianism in the Arab World, Arab Center Washington DC, Feb 3, 2022. At: https://arabcenterdc.org/resource/mapping-digital-authoritarianism-in-the-arab-world/

30. Thomas Blaubach, Chinese Technology in the Middle East: A Threat to Sovereignty or an Economic Opportunity?, Report, The Middle East Institute, March, 2021.

الهوامش:

1- Thomas Blaubach, Chinese Technology in the Middle East: A Threat to Sovereignty or an Economic Opportunity?, Report, The Middle East Institute, March, 2021, p. 7.

2- Interview Regarding Edward Snowden, Cyber Security, And Transparency with Michael Hayden, Australian Financial Review, July 2013. At: https://genius.com/Michael-hayden-interview-regarding-edward-snowden-cyber-security-and-transparency-annotated

3 - هذا البحث هو بالأصل جزء من دراسة مطولة نشرت في كتاب مشترك بعنوان: الصين وشركات التكنولوجيا: أذرع التجسس ومصادر التفوق والهيمنة الرقمية، مراكز الرافدين للحوار، بيروت/النجف الاشرف، 2022

4 - كرار أنور البديري، التفاوض الدبلوماسي بين الدول، ط1، (القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، 2020)، ص 314.

5- ينظر: محمد سعد أبوعامود، حرب استخبارات أمريكية صينية، صحيفة الخليج، ملحق الاسبوع السياسي، 1 فبراير 2018

6- نقلا عن: كرار أنور البديري، المصدر السابق، ص 315.

7- الجواسيس المحليون: تعني استخدام سكان العدو. الجواسيس الداخليون: استخدام المسؤولين لدى العدو. الجواسيس المحولون: القبض على جواسيس العدو وتحويلهم للعمل لصالحنا. الجواسيس الهالكون: هم جواسيس العدو الذين يتم استخدامهم لتضليل العدو، ولحماية جواسيسنا من الموت اذا ما كُشفت الحقيقة. الجواسيس الأحياء: هم أولئك العائدون بمعلومات من معكسر العدو. للمزيد ينظر: سن تزو، فن الحرب، ترجمة تشو يو تشو، سلسلة كنوز التراث الصيني، (بكين: دار النشر للعلوم العسكرية، 2008) ص 167-171.

8- Aaron L. Friedberg, Competing with China, Survival Global Politics and Strategy, Vol. 60, No. 3 (International Institute for Strategic Studies, June–July 2018), p. 58.

9- Anna-Marie Brady, Magic Weapons: China's political influence activities under Xi Jinping, Kissinger Institute on China and the United States In Wilson Center, September 18, 2017. https://www.wilsoncenter.org/article/magic-weapons-chinas-political-influence-activities-under-xi-jinping

10- وزارة أمن الدولة الصينية، يرمز لها بـ MSS أي Chinese Ministry of State Security هي وكالة أمنية وجهاز مخابرات تابع لجمهورية الصين الشعبية، مسؤولة عن مكافحة التجسس والاستخبارات الخارجية والأمن السياسي.

11- Thomas Blaubach, Chinese Technology in the Middle East, op.cit, p. 6.

12- Louise Lucas, The Chinese Communist party entangles big tech, The Financial Times, July 19, 2018.

13- Chuin-Wei Yap, State Support Helped Fuel Huawei's Global Rise, The Wall Street Journal, Dec. 25, 2019.

14- Henny Sender and Don Weinland, Anbang: the downfall of China's global dealmaker, The Financial Times, May 14, 2018.

15- Thomas Blaubach, Chinese Technology in the Middle East, op. cit, p. 6.

16- Ibid, p. 18.

17- ()Bonnie Girard, The Real Danger of China's National Intelligence Law, The Diplomat, February 23, 2019. At: https://thediplomat.com/201902//the-real-danger-of-chinas-national-intelligence-law/

18- Murray Scot Tanner, Beijing's New National Intelligence Law: From Defense to Offense, The Lawfare Institute, July 20, 2017.

19- BOYUSEC HACKERS, FBI, September 13, 2017. At: https://www.fbi.gov/wanted/cyber/boyusec-hackers

20- A Transactional Risk Profile of Huawei, RWR Advisory Group, February 13, 2018. P. 15.

21- Bill Gertz, Pentagon Links Chinese Cyber Security Firm to Beijing Spy Service. The Washington Free Beacon, November 26, 2016.

22- Beyond South China Sea Tensions, Part Two; The CCP Vision and the Future of Chinese History," Defense One Radio, February 19, 2019. At: https://www.defenseone.com/ideas/201902//ep-38-beyond-south-china-sea-tensions-part-two-ccp-vision-and-future-chinesehistory/154946/

23- A Transactional Risk Profile of Huawei, op. cit. p 16.

24- Evan S. Medeiros, Roger Cliff, Keith Crane And James C. Mulvenon, A New Direction for China's Defense Industry, RAND Project Air Force, RAND Corporation, 2005.

25- Joshua Kurlantzick, Assessing China's Digital Silk Road Initiative, Council on Foreign Relations, Dec 18, 2020. At: https://www.cfr.org/china-digital-silk-road/

26- Thomas Blaubach, Chinese Technology in the Middle East, op. cit, p. 9.

27- Ibid, p. 10.

28- Jamie Smyth, Huawei's undersea cable project raises red flag in Australia, The Financial Times, DEC 28, 2017.

29- Ibid.

30- Thomas Blaubach, Chinese Technology in the Middle East, op. cit, p. 11.

31- Stacia Lee, The Cybersecurity Implications of Chinese Undersea Cable Investment, East Asia Center, The University of Washington, FEB 6, 2017. At: https://jsis.washington.edu/eacenter/201706/02//cybersecurity-implications-chinese-undersea-cable-investment/

32- A Transactional Risk Profile of Huawei, op. cit. p 18. And see more: Analysis of Vulnerability to Espionage: Espionage Risks and National Safety and Security. General Intelligence and Security Service of the Netherlands (AIVD) and the Directorate General for Safety and Security (DGV) at the Ministry of BZK. November 2011. At: https://irp.fas.org/world/netherlands/aivd-vuln.pdf

33- (*) وفقا لمفاهيم الامن السيبراني، بعد الباب الخلفي: طريقة لتجاوز ضوابط الأمان للوصول إلى نظام الكمبيوتر أو البيانات المشفرة. بينما يمكن أن تكون الأبواب الخلفية شائعة في بعض معدات وبرامج الشبكة لأن المطورين ينشئونها لإدارة المعدات، إلا أنه يمكن استغلالها من قبل المهاجمين.

34- A Transactional Risk Profile of Huawei, op. cit. p 18.

35- Bojan Pancevski, U.S. Officials Say Huawei Can Covertly Access Telecom Networks, The Wall Street Journal, Feb, 12, 2020.

36- Daniele Lepido, Vodafone Found Hidden Backdoors in Huawei Equipment, Bloombergm, April 30, 2019. At: https://www.bloomberg.com/news/articles/201930-04-/vodafone-found-hidden-backdoors-in-huawei-equipment

37- Julian E. Barnes, White House Official Says Huawei Has Secret Back Door to Extract Data, The New York Times, Feb. 11, 2020

38- David E. Sanger and Nicole Perlroth, N.S.A. Breached Chinese Servers Seen as Security Threat, The New York Times, March 22, 2014.

39- ()A Transactional Risk Profile of Huawei, op. cit. p 17.

40- Interview Regarding Edward Snowden, Cyber Security, And Transparency with Michael Hayden, op.cit.

حرب النوايا

السلطة الخفية لمراكز التفكير في صناعة القرار

عباس راضي العامري

Iraqi Institute For Dialogue
المعهد العراقي للحوار

hewariraq.iq
07905400123
المعهد العراقي للحوار

عباس راضي العامري
ABBAS R AL - AMERI
حرب النوايا
السلطة الخفية لمراكز التفكير في صناعة القرار
دار الحكمة لندن

بعد الحرب الروسية على أوكرانيا: ما هو النظام العالمي القائم الان؟

هناك تصور متنام بان النظام العالمي الليبرالي وصل الى نهايته. في الوقت الذي تم فيه اضعاف النظام الحالي المتعدد الأقطاب بفعل العودة الى سياسات القوة, ستحول الاعتمادية الاقتصادية المتبادلة والروابط العابرة للحدود دون الوقوع التام في حبال الفوضوية.

■ **ستيفان ليين**

زميل اقدم في وقفية كارنيغي ـ اوربا, يركز في بحوثه على تطوير سياسة خارجية اوربية موحدة وعلى العلاقات بين دول الاتحاد الأوربي.

الناشر/ كارنيغي ـ اوربا

تاريخ النشر: ٢٨ شباط ٢٠٢٣

■ **ترجمة: المعهد العراقي للحوار- فيصل عبد اللطيف**

ستكون للحرب الروسية على أوكرانيا ونمو التنافس الأمريكي الصيني تأثير عميق على مستقبل التنظيم السياسي الدولي. ان امل الغرب بنظام دولي قائم على الديمقراطية وحكم القانون والتعاون التعددي ـ وهو ما أصبح صعب التحقق في السنوات الأخيرة ـ يبدو اليوم غير واقعي تماما.

فالنزعات القائمة والوثائق الاستراتيجية المطروحة مؤخرا كلها تذهب باتجاه توسيع المنافسة الجيوسياسية, وزيادة الحمائية الاقتصادية والتشظي, وحلحلة اساسات النظام الدولي. ومهما يكن من الامر, ستبقى الاعتمادية الاقتصادية المتبادلة والروابط العبر قومية قوية بشكل يكفي للحيلولة دون وقوع فوضى شاملة ومنافسة من غير قيود. ومع ذلك, هنالك خطر كبير من تراجع القدرة على مواجهة التحديات العالمية مثل التغير المناخي والفقر العالمي والتهديدات للصحة العالمية.

نهاية عصر:

في خطاب له امام حشد من الطلبة في شهر تشرين الأول من العام ٢٠٢٢, شبه جوزيب بوريل, رئيس الشؤون الخارجية في الاتحاد الاوربي, اوربا بالبستان , واصفا المنطقة «كافضل مزيج من الحرية السياسية, والازدهار الاقتصادي, والتماسك الاجتماعي استطاعت الإنسانية بنائها على مر العصور». وقام بوضع اوربا على النقيض من بقية العالم, قائلا, «ان معظم العالم هو عبارة عن غابة, وبإمكان الغابة ان تحتل البستان.» هذه التعليقات اشعلت سلسلة من ردود الفعل الاحتجاجية من قبل مسؤولين ونقاد في عالم الجنوب والذين اتهموا بوريل بالعنصرية وبالنزعة الاستعمارية المحدثة. قام بوريل في وقت لاحق بالاعتذار وقال ان تعليقاته لا تحمل غايات ودلالات عرقية او ثقافية او جغرافية. وانه فقط سعى الى المقاربة بين نظام دولي قائم على مبادئ مقبولة من الجميع ونظام عالمي مبني على إرادة الأقوى, او «شريعة الغاب.»

وأشار بوريل كذلك الى ان مصطلح «غابة» تم استخدامه من قبل مؤلفين اخرين, من ضمنهم محافظون جدد من الولايات المتحدة. وهو على الاغلب يشير هنا الى كتاب روبرت كاغان الذي صدر في سنة ٢٠١٨ بعنوان, الغابة تنمو مجددا: الولايات المتحدة وعالمنا المهدد بالخطر. كتاب روبرت كاغان, والذي كتب خلال فترة إدارة دونالد ترامب, بمثابة تحذير صارخ من تبعات التراجع الأمريكي عن المسؤوليات الدولية. ويذكر كاغان بانه من دون قيادة أمريكية حاسمة, ستعود الدول الى الأنماط

التقليدية من السلوك وسيدخل العالم في حالة من الاضطراب والظلام والفوضى.

ويمثل خطاب بوريل وكتاب كاغان مثالا على شيوع التصور بان نهاية نظام ما بعد الحرب الباردة باتت قريبة وان المنجزات المتمثلة بالتمتع بفترة سلام ونظام أصبحت اليوم على المحك.

التحديات التي يواجهها النظام الليبرالي القائم على القواعد

حتى عام ٢٠٠٨, كان الشعار الذي يتردد في الخطاب الغربي حول السياسة الدولية يقول بان النظام الدولي الليبرالي القائم على القواعد متجذر في اقتصاديات السوق والديمقراطية والدبلوماسية متعددة الأطراف. ورأت الولايات المتحدة و أوربا نفسهما بانهما المبشر والحامي الرئيس لهذا النظام, والذي كانا يأملان ان يشتمل معظم دول العالم. منذ ذلك الحين, بدأت هذه الرؤية بالتلاشي والافول بشكل كبير.

فقد تراجعت الرغبة الامريكية للزعامة العالمية, ويعود هذا الامر في جزء منه الى أسباب سياسية داخلية, وفي جزء اخر منه الى ردة الفعل حيال الحروب القائمة في أفغانستان والعراق. في الوقت ذاته, واصلت الصين صعودها الاقتصادي والسياسي لتصبح قوة رائدة في مجال التجارة والتكنلوجيا. اما التوقعات بان الازدهار الصيني المتنامي سيفضي الى خلق حريات سياسية فقد اثبتت خطأها. على العكس من ذلك, أصبح القيادة الصينية أكثر شمولية وأكثر شدة حيال المعارضين وأكثر هوسا بالهيمنة المطلقة عن طريق الحزب الشيوعي الحاكم. اما اليوم, هنالك سياسية خارجية حازمة تغذيها بروباغاندا قومية وبناء عسكري مستمر, تظهر طموح الصين لان تصبح قوة اسيوية مهيمنة.

في ذات الوقت, تحولت روسيا الى قوة تصحيحية عدوانية. كما بدا واضحا من الحرب الروسية في جورجيا سنة ٢٠٠٨, وضم شبه جزيرة القرم والتدخل في إقليم الدونباس سنة ٢٠١٤, واحتلال اوكرانيا في سنة ٢٠٢٢, ان القيادة في موسكو عازمة على تعويض خسائر عقد التسعينات, وتوسيع المساحة الإقليمية لروسيا, وتأسيس مجالات صلبة للنفوذ.

ان انسحاب واشنطن من الانخراط في الشأن العالمي وسع من مساحة المناورة للدول القوية في عالم الجنوب ـ من بينها مصر, الهند, إيران,

باكستان, السعودية, وتركيا ـ والتي أصبحت فواعل أكثر ثقة في السياسة الدولية. فقد قامت هذه الدول بتأسيس تحالفات جديدة, وعززت من نفوذها السياسي والاقتصادي, وتعظيم قدراتها العسكرية. وتسبب هذا الامر في بعض الأحيان بحدوث صراعات إقليمية من اجل الهيمنة, بشكل يرغم الدول الأضعف الى القيام بما تحسن القيام به, الا وهو السعي الى تحقيق الامن اما عن طريق التحالف مع دول أكثر قوة او الموازنة بين هذه القوى.

ومهما يكن من الامر, النظام العالمي اليوم لا يواجه تحديات جيوبولتيكية فقط. حيث وثقت منظمات دولية غير حكومية بان الديمقراطية تعيش حالة من التراجع خلال السنوات الخمس عشر الأخيرة. وفقا لبيت الحرية, حوالي ٣٨ ٪ من سكان العالم يعيشون في بلاد غير حرة وعشرون بالمئة فقط من السكان يعيشون في بلدان حرة. العولمة هي الأخرى بدأت بفقدان زخمها, حيث أصبحت شعارات الحمائية اليوم في الكثير من دول العالم تدعو الى إعادة الصناعات الى اوطانها وفك الارتباط مع الاخرين. شبكة الانترنيت توسع بشكل هائل فرص نشر الدعاية والتسمم المعلوماتي والاخبار الكاذبة. وأصبحت المعلومة توظف في خدمة المصلحة الجيوسياسية, مقوضة العمليات الديمقراطية ومتلاعبة بالرأي العام. العواصف, والحرائق, والفيضانات, والجفاف, وغيرها من تجليات ازمة المناخ ـ والتي تزداد سوءا عاما بعد عام ـ تعكر حياة الملايين وتهدد الاستقرار في الكثير من المناطق.

في وجه هذه التهديدات, يتعرض النظام الدولي التعددي الى ضغط كبير مع وجود خطر فقدانها للشرعية والفاعلية في مواجهة التحديات العابرة للحدود. لقد لاحظ تقرير الأمم المتحدة التنموي الذي نشر مؤخرا بان الازمات المتلاحقة والمتداخلة والتنامي في انعدام المساواة يضعان اهداف التنمية المستدامة في خطر شديد.

ما الذي تقوله الوثائق الاستراتيجية

تمثل الوثائق الاستراتيجية والخطط الصادرة مؤخرا عودةً الى سياسات القوة وعاملا حاسما في افول النموذج الليبرالي للنظام الدولي القائم على القواعد.

البوصلة الاستراتيجية الاوربية للأمن والدفاع

رسمت البوصلة الاستراتيجية الاوربية التي وضعت لمساتها الأخيرة في شهر اذار ٢٠٢٢ والتي تزامنت مع الغزو الروسي لأوكرانيا, صورة قاتمة جدا: «نحن نعيش اليوم في عالم تشكله سياسات القوة الفجة, حيث كل شيء يتم استخدامه كسلاح وحيث نواجه معركة شرسة بين السرديات.» ثم تقوم الوثيقة بإحصاء العديد من مظاهر التفكك في النظام الدولي بما في ذلك «استغلال المهاجرين, وخصخصة الجيوش, تسييس السيطرة على التقنيات الحساسة. .. ونوازع فشل الدولة, والتراجع في الحريات الديمقراطية بالإضافة الى الهجمات على المجالات الدولية كالفضاءات الاليكترونية واعالي البحار والفضاء الخارجي.» وتلاحظ الوثيقة حدوث تدهور كبير في البيئة الأمنية, داعية الى تحقيق «طفرة كمية» في قدرات الاتحاد الأوربي كفاعل أمني. وبالمقارنة مع اول استراتيجية امنية اوربية والتي صدرت في عام ٢٠٠٣, فان هنالك فرق شاسع, حيث تبدأ الوثيقة بالشكل الاتي, «لم تكن اوربا يوما ما أكثر امنا وازدهار وحرية مما هي عليه الان. ان العنف الذي ساد في النصف الأول من القرن العشرين تلاشى امام فترة من السلم والاستقرار لا سابق لها في التاريخ الأوربي.»

استراتيجية الامن القومي الامريكية

في تقديم للاستراتيجية الامن القومي الأمريكي, والتي تم تبنيها في أكتوبر ٢٠٢٢, يتحدث الرئيس الأمريكي جو بايدن أيضا عن «نقطة تحول غير مسبوقة في تاريخ العالم,» لكن الوثيقة كانت اقل تشاؤما من نظيرتها الاوربية. فلم تسلط الوثيقة الضوء على مخاوف مشابهة حيال زيادة حدة التنافس الجيوبولتيكي فحسب, انما عبرت عن ثقتها بالقدرات الامريكية الراسخة كأقوى امة في العالم. وعلى الرغم من استراتيجية الامن القومي هذه تنتقد بحدة العدوان الروسي, الا انها تقوم وبشكل متوقع بالتركيز بشكل أكبر على الصين, واصفة إياها بانها البلد الوحيد «المنافس للولايات المتحدة والتي تمتلك كلا من النية والقدرة الاقتصادية والعسكرية والتكنلوجية المتنافية على إعادة تشكيل النظام الدولي.»

البيان الصيني – الروسي المشترك

في شهر شباط ٢٠٢٢, وقبل أيام من الاحتلال الروسي لأوكرانيا, تبنت الصين وروسيا خطابا مطولا كان بمثابة تقييم شامل للنهج الغربي السائد في النظام العالمي. ادان هذا البيان «بعض الفواعل التي لا تمتلك ثقلا كبيرا في الموازين الدولية» بسبب دعواتها الى تبني سلوكيات أحادية, ولجوؤها الى استخدام القوة, وتدخلها في الشؤون الداخلية للآخرين, وعرقلتها بشكل عام لتنمية وتطوير البشرية. وبإلزام أنفسهما بصداقة من غير حدود, قارنت روسيا والصين النوايا الحسنة التي يمتلكانها مع الممارسات المشينة لبعض الدول في مجالات مثل السياسة التجارية والفضاء الخارجي.

ولاحظت الوثيقة وجود تحولات جارية في النظام العالمي وسيادة النزوع نحو إعادة توزيع القوة. لكن, وبالرغم من انعدام ثقتهما وعدائهما للغرب, لا تشكك الصين وروسيا بشرعية النظام التعددي الذي نما في ظل رعاية أمريكية منذ الحرب العالمية الثانية. ولا تطرح الدولتان نفسهما كمؤسسين تصحيحيين لنظام دولي بديل انما هما أعضاء ملتزمين بالنظام القائم, والذي لا يزال يتأثر بشكل كبير بالقوى الخبيثة. هذا الإعلان المشترك حول مستقبل الحوكمة العالمية محافظ بشكل كبير. فهو يؤكد على مركزية الأمم المتحدة ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولي بشكل عام. وتتعهد فيه الصين وروسيا «بدعم الجهود الجماعية وتعزيز ديمقراطية النظام الدولي,» لكن إيجاد نظام دولي بديل عن النظام القائم لا يبدو جزءا من جدول اعمال هاتين الدولتين.

وبكل تأكيد, انخرطت الصين وروسيا في نوع من أنواع البناء المؤسسي على الصعيد الدولي. ويتضمن ذلك منظمة شانغهاي للتعاون, الاتحاد الاقتصادي الاوراسي, منظمة معاهدة الامن الجماعي, البنك الاستثماري الاسيوي للبنى التحتية, وبنك التنمية الجديد (المعروف سابقا ببنك تنمية منظمة بريكس). لكن هذه المبادرات محدودة المجال والطموح. من خلال هذه المؤسسات, تطمح روسيا بشكل رئيس الى تعزيز مجال نفوذها في جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق, بينما تهدف الصين الى استعراض قوتها الاقتصادية.

وبشكل عام, تشتمل أولويات بكين وموسكو على تقليل النفوذ الغربي وتعزيز قوتهما ضمن النظام التعددي القائم. وعلى أي حال, فان التزامهما المعلن بالنظام القائم يتقاطع مع سياسة القوة العدوانية التي يتبعانها. فالاحتلال الروسي لأوكرانيا والسلوك الصيني التهديدي تجاه تايوان في بحر الصين الجنوبي يتحدى المبادئ الأساسية لنفس هذا النظام.

نظام ام فوضى

على الرغم من ان النظام القائم مصاب بالوهن بشكل واضح, يبدو انه من غير المرجح ان تكون هناك عملية إعادة هيكلة جوهرية لصلب النظام

RUSSIA
yiv
NE
Donbas
region
LUHANSK
DONETSK

BELARUS
POLAND
SLOVAKIA
MOLDOVA

الدولي. وعلى الاغلب, سيتطلب الامر حدوث كارثة عالمية أخرى تمهد لانطلاقة جديدة مشابهة لعملية خلق الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية. في الوقت نفسه, من المستبعد جدا ان يحدث هناك انهيار تام وتحول الى عالم «هوبزي» من دون قيود تسوده المنافسة الانانية, فمقاربة بوريل التي تشبه العالم بالغابة تبدو مبالغة.

ان العقود الطويلة من التحديث وسيادة الاقتصاديات الليبرالية انتجت شبكة كثيفة من الروابط والاعتماديات المتبادلة بين الدول, روابط يمكن فقط التخلي عنها بعد دفع ثمن كبير (كما هو الامر مع كوريا الشمالية). ان اغلب الحكومات في العالم تفهم بان التعاون الدولي لا يزال حيويا واساسيا لازدهار بلدانها في المستقبل وان هذا التعاون يتطلب اطرا مؤسسية وقانونية.

لذلك, ان صيغة من صيغ النظام السياسي ستبقى على قيد الحياة. لقد قام الأمين العام للأمم المتحدة انتونيو غوتيريس مؤخرا بتسليم تقرير اممي بعنوان, اجندتنا المشتركة, والذي تضمن مقترحات «لنظام اقوى وأكثر تداخلا وشمولية, مرتبط بالأمم المتحدة.» كما سيستضيف الأمين العام للأمم المتحدة «القمة من اجل المستقبل» في شهر أيلول من العام ٢٠٢٤ والتي تهدف الى تشكيل اجماع دولي حول مستقبل النظام العالمي. ولسوء الحظ, وفي ظل التنافس الجيوسياسي الحالي, فان فرص الوصول الى اتفاق على ابتكار مؤسسات دولية جديدة محدودة جدا.

ان النظام التعددي المستقبلي سيبدو على الأرجح مشابها للنظام القائم, شكليا على اقل تقدير. لكنه على الاغلب سيتعرض للتقويض بسبب التأكيد المتزايد على السيادة الوطنية وسياسات الهوية في الكثير من ارجاء العالم وبسبب التشظي في الاقتصاد الدولي والصعود في موجة الحمائية.

ان النزعات الاقتصادية والسياسية القائمة تبدو انها متجهة نحو تشكيل نظام دولي اقل احكاما, فاسحة المجال امام سياسات القوة والترتيبات التفاعلية بين الدول التي تصر على الاحتفاظ بسيادتها القومية. وسواء كان مثل هكذا نظام قادر على التعامل بفاعلية من التحديات العابرة للحدود هو امر محل شك. تحديدا, ان الديناميات أعلاه ستجعل الامر أكثر صعوبة عند مواجهة ازمة المناخ, والتي تعد التحدي الاكثر الحاحا وفيه تبعات كبيرة في السنوات القادمة.

متعدد الأقطاب ام ثنائي القطبية

يمكن ان يكون للنظام الدولي القادم عدة مراكز للقوة. لكن هنالك انقسام وحيد من شأنه تشكيل السياسة العالمية لسنوات عديدة قادمة, الا وهو اتحاد القوى الغربية من ناحية, والشراكة المتعمقة بين الصين وروسيا من ناحية أخرى.

ترى كل من الصين وروسيا نفسيهما كطليعة الصراع بالضد من الهيمنة الغربية, ولديهما الرغبة لاستقطاب دول أخرى للمشاركة في هذا المسعى. ففي المؤتمر الأخير لدول مجموعة البريكس (البرازيل, روسيا, الهند, الصين, وجنوب افريقيا) في شهر حزيران سنة ٢٠٢٢, وقف كل من الرئيس الصيني شي جي بينغ والرئيس الروسي فلاديمير بوتن وراء توسيع عضوية منظمة البريكس. ويبدو ان بكين مهتمة بشكل كبير في تطوير هذا الملتقى لإنشاء ثقل موازن لمجموعة دول السبع. وقد قامت كل من الارجنتين وإيران والسعودية بتقديم طلبات عضوية الى مجموعة دول البريكس, وهنالك العديد من الدول الأخرى التي أبدت اهتمامها بالالتحاق أيضا. لكن, من الصعب الوصول الى اجماع بين دول هذه المنظمة حول توسيع عضويتها حتى اللحظة.

ان قصة توسيع منظمة البريكس تظهر كيف ان الدعوات الصينية والروسية الرامية الى التعددية القطبية هي في حقيقة الامر تسعى الى تشكيل قطبية ثنائية مؤلفة من مجموعة من القوى تقودها الصين وروسيا في حلف موسع لمواجهة

التفوق الغربي. وقد أعطت الحرب في أوكرانيا زخما الى هذا التوجه. فبعد تعرضها لعدة انتكاسات عسكرية ولعقوبات غربية, ستصبح روسيا على الأرجح أكثر اعتمادا على الصين والى درجة معينة ستجبرها على مسايرة المصالح الاستراتيجية لشريكتها الجديدة. وسيكون لدى الصين التي تواجه منافسة متصاعدة مع الولايات المتحدة أكثر من حافز لإبقاء روسيا الى جانبها, حتى لو تطلب الامر ذلك استعداء الغرب بشكل أكبر.

وكانت الحرب بالفعل عززت من الوحدة الغربية, واحيت منظمة حلف شمال الأطلسي, وحولت دول مجموعة السبع الى الية فعالة لتنسيق الرد الغربي على العدوان الروسي. وقد وصفت البوصلة الاستراتيجية الولايات المتحدة على انها امتن واهم شريك لاوربا, وإنها قوة عالمية تساهم في السلام والامن والاستقرار والديمقراطية في قارتنا.» كما ان لدور الولايات المتحدة في الازمة الحالية يمكن ان يساعد واشنطن على اقناع الدول الاوربية بدعم سياساتها حيال الصين.

ان الشراكة الوثيقة بين الصين وروسيا والتجمع الأوربي الأكثر فعالية يشكلان معضلة شاقة بالنسبة لدول عالم الجنوب. ويوضح التصويت في الجمعية العاملة للأمم المتحدة حول الغزو الروسي هذه المعضلة. فقد دعمت اغلبية الدول الأعضاء في الأمم المتحدة (١٤١) قرارا اوليا يدين الغزو. خمسة دول فقط صوتت بالضد من هذا القرار, في حين امتنعت ٣٥ دولة عن التصويت ولم تشارك ١٢ دولة فيه. في سنة ٢٠٢٣, وفي الذكرى السنوية للغزو, حصل قرار مماثل على نفس الأرقام في التصويت تقريبا. هذا الدعم الواسع لم يكن مفاجئا على الاطلاق بسبب انتهاك روسيا لمبدأين من المبادئ التي نص عليه ميثاق الأمم المتحدة: وهي عدم استخدام القوة والحفاظ على السلامة الإقليمية للدول. لكن المبادرة الى تجميد عضوية روسيا من مجلس الأمم المتحدة لحقوق الانسان تم تمريره بأغلبية ضئيلة في نيسان ٢٠٢٢, حيث لم تصوت الكثير من الدول النامية لصالح هذا القرار.

ان حقيقة قيام خمسين دولة فقط بتطبيق عقوبات بالضد من روسيا يظهر عدم رغبة عالم الجنوب على مواجهة روسيا. باستثناء البعض من الدول الصغيرة المتحالفة تقليديا مع الدول الغربية, فان اغلبية الدول النامية لا ترغب بمعاقبة روسيا. كما ان السردية الروسية القائلة بتحمل الولايات المتحدة وحلف الناتو المسؤولية الأكبر في الصراع تلقى اذانا صاغية كثيرة بين الدول النامية. اما المشاعر المعادية للغرب والتي تغذيها جزئيا الإرث الاستعماري والسخط تجاه ازدواجية المعايير الغربية, لعبت دورا كبيرا في هذا الامر. فللرغبة الكبيرة في البقاء خارج إطار الصراع بين القوى الكبرى هي عامل أساسي وراء موقف دول عالم الجنوب.

وعلى الأرجح ستستمر الكثير من الدول النامية بالكفاح للبقاء خارج دائرة الصراع الصيني الروسي مع الغرب. الهند, التي اخذت مكان الصين من ناحية عدد السكان, ستصبح ثالث اكبر اقتصاد في العالم مع نهاية هذا العقد, و ربما ستكون احد القوى المناصرة لأنشاء عالم متعدد الأقطاب.

وفي السياسات العملية, لا تختلف البنى السائدة في النظام المتعدد الأقطاب مع البنى السائدة في نظام القطب الثنائي. هنالك العديد من مستويات القطبية, والوضع يختلف من قطاع الى اخر. اليوم على سبيل المثال, يتمتع الغرب بموقع مهيمن في النظام الاقتصادي الدولي, حيث اخذ قطاع التكنلوجيا الحديثة النامية شكل القطبية الثنائية, تسارع فيه كل من الصين والولايات المتحدة الى تعزيز استقلاليتهما عن الاخر. اما بلغة الجيوسياسة, يبدو ان نظام القطبية الثنائية محتملا لكنه ليس السيناريو الوحيد الذي يمكن تصوره في السنوات القادمة. فالتصاعد في الحرب في أوكرانيا او حدوث هزيمة كارثية لروسيا قد يفضي الى حدوث

عزلة بين الصين وروسيا. ان اندماج الصين العميق بالاقتصاد العالمي يمكن ان يكون عاملا قويا وراء التخفيف من حدة التنافس مع الولايات المتحدة. وأخيرا, ان التطورات السياسية الداخلية في الولايات المتحدة, مثل الانتخابات الرئاسية في سنة ٢٠٢٤, من شأنها التشويش عل العلاقات ما بين دول الاطلنطي والتسبب باجتراح سياسة اوربية أكثر استقلالية.

نظام ليبرالي او نظام مبني على القواعد

ان الإشارات الى النظام الليبرالي الدولي في خطابات العلاقات الدولية والمقالات يتناقص تدريجيا, في الوقت الذي أصبحت فيه عبارة «النظام القائم على القواعد» أكثر شيوعا. مع انحسار الديمقراطية حول العالم, يبدو ان «مبني على القواعد» أكثر واقعية وشمولية.

وتقدم استراتيجية الامن القومي الأمريكي تراتبية ملفتة للدول التي تشارك الولايات المتحدة نفس رؤيتها, تتضمن هذه الهرمية «حلفاء الولايات المتحدة في اوربا ومنطقة المحيط الهندي والهادئ بالإضافة الى الشركاء الديمقراطيين الأساسيين حول العالم الذي يشاركوننا الكثير من رؤيتنا للنظام الإقليمي والدولي حتى وان لم يتفقوا معا حول جميع الأمور, والدول التي لا تتبنى المؤسسات الديمقراطية لكنها تعتمد على وتدعم النظام الدولي القائم على القواعد.» ان الالتزام بالنظام المبني على القواعد يتم طرحه كمعيار رئيس لسلوك الدول البناء, في الوقت الذي يمكن فيه غض النظر عن غياب الديمقراطية.

وبالرغم من التراجع الظاهري في التشديد على أهمية الديمقراطية, لا تزال إدارة بايدن تولي أهمية كبيرة على الترويج للديمقراطية وحقوق الانسان. في شهر ديسمبر ٢٠٢١, ايفاءا منه بوعد أطلقه خلال الحملة الانتخابية, عقد بايدن «قمة من اجل الديمقراطية». شاركت في هذه القمة أكثر من مئة دولة, وأطلقت فيها الكثير من التعهدات والمقترحات لتطوير الحوكمة الديمقراطية حول العالم. وفي القمة التي لحقتها والتي شاركت الولايات المتحدة باستضافتها الى جانب كوستاريكا, هولندا, كوريا الجنوبية, وزامبيا, من المقرر عقدها في اذار ٢٠٢٣.

لقد اعلت إدارة بايدن من شأن الديمقراطية ليس من ناحية كونها طموح مشترك لنظام دولي مستقبلي لكن بسبب وجود تنافس بين الديمقراطيات والأنظمة الشمولية. والسبب وراء هذه الصياغة أصبح واضحا عندما نصت استراتيجية الامن القومي بان أحد أكثر التحديات التي تواجهها الرؤية الامريكية هي «من قوى تجمع ما بين الحكم الشمولي والسياسة الخارجية التصحيحية.» وتمضي الاستراتيجية بالقول سلوكيات هذه الدول تهدد السلم الدولي, وتحديدا شن او الاستعداد للقيام بالعدوان, والتقويض العملي للعملية الديمقراطية في دول أخرى, وتوظيف التكنلوجيا وسلسلة الصادرات للإرغام والقمع, وتصدير نموذج غير ليبرالي للنظام الدولي. الكثير من البلدان غير الديمقراطية تلتحق بديمقراطيات العالم لرفض مثل هذه السلوكيات. لسوء الحظ, روسيا والصين لا يقومان بذلك.»

ومهما يكن من الامر, لقد وضعت الولايات المتحدة في موقف غريب عندما خلطت بين الترويج الى الحوكمة الديمقراطية مع التنافس الجيوسياسي مع روسيا والصين. فقائمة الدعوة الى القمة من اجل الديمقراطية تجاهلت كل من هنغاريا وتركيا, لكنها تضمنت الهند والفليبين وبولندا, اللواتي تمتلك سجلا ديمقراطيا اشكاليا, ولكنهم شركاء محتملين مهمين في مواجهة التحدي الصيني-روسي. ان جهود الولايات المتحدة لدعم الديمقراطية سيكون لها فرص أفضل للنجاح إذا ما تم ترك هذه الجهود بمنأى عن المنافسة الجيوسياسية.

وبالنظر الى الصورة الاوسع, فانه من الواضح ان أحد الافتراضات الأساسية التي تستند عليها رؤية النظام الدولي الليبرالي القائم على القواعد

اثبتت انتقائيتها. حيث تم تبني الافتراض القائل بان السياسات الاقتصادية الليبرالية سيعجل من التنمية الاقتصادية حول العالم وان الازدهار الاوسع سيخلق بدوره طلبا على الحرية السياسية بشكل يتعذر كبحه. في حقيقة الامر, رفعت العولمة الملايين من الناس خارج دائرة الفقر, لكنها أيضا شوهت الافاق الاقتصادية لمناطق أخرى كثيرة من العالم. وكما يظهر تاريخ الصين المعاصر, فان تنامي الازدهار يمكن ان يصاحبه زيادة في السيطرة المركزية.

ولسوء الحظ, ان الفرضية المعاكسة التي تقول بان الانتكاسات الاقتصادية يمكن ان تضعف الحكم الديمقراطي هي الأقرب للصواب. فالتراجع الديمقراطي في السنوات الأخيرة يمكن ان يعزى في جزء منه الى الاضطراب الاجتماعي الناجم عن أزمات متعددة, بما في ذلك التقلبات الاقتصادية, الحرب, الوباء والتغير المناخي. وفي هذه الحالة, فانه من الغير المرجح ان يتغير هذا الوضع قريبا.

على أي حال, يمكن ان يكون هناك جانب إيجابي لهذا الامر. فمن الأمور التي تدعو الى التفاؤل هو ان الموثوقية والالتزامات بميثاق الأمم المتحدة والاعلان العالمي لحقوق الانسان وغيرها من الكثير من المعاهدات الخاصة بخصوص الانسان المدمجة ضمن نظام الأمم المتحدة او على المستوى الإقليمي لا يتم تحديها من قبل أي حكومة. وان لم يقدم هذه الامر الكثير من الطمأنينة للافراد والجماعات التي تعاني من التمييز والقمع, لكنها تزود الدول وممثلي المجتمع المدني قواعد لتعزيز الديمقراطية وحقوق الانسان ووضع الحكومات موضع مسائلة في حال تم خرق هذه الالتزامات.

الاستنتاج

مع وصول مرحلة ما بعد الحرب الباردة الى النهاية, فان تحقيق نظام دولي ليبرالي قائم على القواعد أصبح أقرب الى الحلم منه الى الطموح الواقعي. ولكن, هناك الكثير من انعدام اليقين حول ما الذي سيحل محل النظام القائم. فالصين وروسيا, اقوى الدول التي تتحدى الوضع القائم, لم يقوما باقتراح نماذج بديلة, لكنهما يسعيان الى توسيع دائرة نفوذهما ضمن هذا النظام.

ومع الزيادة في التنافس الجيوسياسي تتضعضع هياكل النظام التعددي القائم. فالمنافسات الجيوسياسية, والتأكيد القوى على السيادة الوطنية والزيادة في الحمائية الاقتصادية كلها تقوض النظم التعاونية التي تم وضعها بعناء على مدى عقود طويلة. ان الآمال بانتشار الديمقراطية وحكم القانون عالميا تحطمت منذ زمن. لكن الانحدار الى فوضى عارمة يبقى امرا غير مرجحا. العولمة تباطأت لكنها لم تعكس مسارها تماما. الاعتمادية الاقتصادية المتبادلة والاتصال الدولي سيظلان بحاجة الى قدر كبير من التعاون المؤسسي. كما ان النظام التعددي القائم الذي ورثناه من مرحلة ما بعد الحرب يمكن ان ينجو. لكن الالتزام بقواعده سيستمر بالتراجع, وستسود سياسات القوة على الاغلب.

حتى وان بقيت النزعات التصحيحية محدودة, ستبقى تعيق بشكل كبير الجهود الرامية لمواجهة المشاكل العابرة للحدود مثل التغير المناخي وانحسار الأنواع الحياتية والفشل الحكومي والامن الغذائي والفقر وتهديدات الصحة العالمية. وإذا ما فشل العالم في التوحد من اجل التصدي لمثل هذه التهديدات, سيتبع هذا الامر المزيد من التشظي والاضطراب. وعليه هناك حاجة ملحة لعكس الديناميات التفكيكية ولبث الحياة وتعزيز الحوكمة العالمية. ولا يوجد هناك ما يكفي من الوقت لإضاعته.

كيف تغير العالم في سنة منذ الغزو الروسي لأوكرانيا

■ ياسمين سرحان

مجلة التايم
٢٢ شباط ٢٠٢٣

■ ترجمة: المعهد العراقي للحوار - فيصل عبد اللطيف

يقول الزعيم البلشفي الثوري فلاديمير لينين بان «هنالك عقود تمر من دون ان يحدث شيء, لكن هناك أسابيع تمر يحدث فيها ما يساوي عقودا بأكملها.» وعلى الرغم من ان صحة هذه المقولة هي محل شك, الا ان فرضيتها صائبة جدا قدر تعلق الامر بالاحتلال الروسي الشامل لأوكرانيا.

خلال العام الذي مر منذ اعلان الرئيس الروسي عما اسماه «العملية العسكرية الخاصة», تغير العالم بشكل كبير, ولربما في بعض الطرق تغييرا بالشكل الذي لا يمكن العودة منه. لقد اوقد احتلال الرابع والعشرون من فبراير ٢٢٠٢ إحساسا جديدا بالهدف بين الاوربيين والتحالف العسكري الغربي الاوسع الذي تقوده الولايات المتحدة. وقلبت الاقتصادي العالمي رأسا على عقب وفرضت واقعا جديدا للطاقة في اوربا. وتسببت بواحدة من أكبر وأسرع عمليات النزوح البشري منذ عقود. كما بدأت هذه الحرب أيضا بالتأثير في الفكر الجيوسياسي حول وقائع لم تحدث بعد.

بعد مرور عام واحد, سنسرد هنا اهم تداعيات الحرب حتى الان.

تنشيط منظمة حلف شمال الأطلسي (الناتو)

عندما بدأ بوتن بوضع الأسس لغزو أوكرانيا, أشار الى ما وصفه بالتهديد الوجودي الذي يمثله توسع حلف الناتو باتجاه المجال الحيوي للاتحاد السوفييتي السابق. ما كان فيما مضى مجرد تخوف أصبح نبوءة حققت ذاتها: كنتيجة للغزو, صار التحالف العسكري الغربي مستعدا للتوسع ابعد مما سبق مع ما يلوح في الأفق من انضمام لكل من فلندا والسويد (بالرغم من ان انضمام الأخيرة معلق بفعل الفيتو التركي). مثل هكذا توسع لم يكن متصورا قبل عام من الان. فالسويد وفنلندا, اللذان يعتبران ولفترة طويلة حاجزا بين الغرب وروسيا, كانتا دولتان محايدتان تتجنبان منذ زمن بعيد الدخول في احلاف عسكرية ـ وهو وضع يحظى بدعم من اغلبية شعبي هاتان الدولتان. لكن غزو موسكو لأوكرانيا كشف ضعفهما وعلى ما يبدو وبين ليلة وضحاها تغير الرأي العام باتجاه السعي قبول عضوية الناتو.

يذكر رئيس الوزراء الفنلندي السابق اليكسندر ستوب, بان «فنلندا لم تكن لتلتحق بالناتو بالشكل السريع الذي نراه لولا سياسة فلاديمير بوتن», وليس هذا الشيء الوحيد الذي حققه بوتن بشكل غير مقصود جراء غزوه لأوكرانيا. فلم يحفز غزو أوكرانيا التوسع في الحلف وحسب, انما قاد أيضا الى زيادة الاستثمارات بين الدول الأعضاء ـ والأكثر وضوحا في هذا الامر هما المانيا وبولندا, فكلاهما قاما بزيادة نفقاتهم الدفاعية بشكل كبير. وفي حقيقة الامر, فان كل الدول الأعضاء في الناتو في طريقهم الى تحقيق توجيهات الحلف في إنفاق ما لا يقل عن ٢٪ من الناتج القومي لبلادهم على الدفاع, وهناك حديث أيضا حول تجاوز هذه النسبة.

في الوقت الذي تم فيه رفض الالتماس الاوكراني للالتحاق بالحلف, استفادت كييف بكل الأحوال من القدرات العسكرية لأعضائه, حيث تعهد البعض منهم بتقديم المليارات من الدولارات على شكل مساعدات مالية وعسكرية.

وهنا تكمن المفارقة في حرب فلاديمير بوتن. قبل عام واحد, أراد بوتن تحجيم حلف الناتو, كما يقول اندريه فو راسموسن, الأمين العام السابق للحلف. اما الان, كنتيجة مباشرة لأفعال الرئيس الروسي, فان الناتو في حالة توسع.

اوربا أكثر قوة ووحدة

كما هو الامر مع حلف منظمة شمال الأطلسي, فقد اثار الاتحاد الأوربي اهتمام أعضاء جدد محتملين. وكانت أوكرانيا قدمت طلب عضويتها الى الاتحاد بعد أيام من الاحتلال الروسي, لتتبعها بذلك كل من جورجيا ومولدوفا. هذا التكتل بدوره تمتع بإحساس جديد بالوحدة والهدف, وحتى هذا التاريخ, أصدر الاتحاد تسعة حزم من العقوبات التي تستهدف المسؤولين والمصارف والصناعات الروسية وغيرها. وهناك حزمة عاشرة قيد الإنجاز.

يقر المسؤولون الاوربيون بان الإبقاء على أي اتفاقية بين الدول السبعة والعشرون الأعضاء ليس بالأمر السهل, تحديدا عندما يتعلق الامر بالحكومات القريبة من موسكو مثل هنغاريا. لكن بشكل عام, عززت الحرب في أوكرانيا الوحدة الاوربية وسمحت حتى لدولة مثل بولندا, وهي دولة كانت جزءا من الاتحاد السوفييتي, ولها خلافاتها مع بروكسل حول دورها في انتهاكات القوانين, بالظهور كحامل للواء االتضامن الأوربي بالضد من العدوان الروسي.

في الوقت الذي لا يزال فيه الدعم لعضوية أوكرانيا في الاتحاد الأوربي مرتفعا ـ بما في ذلك الدعم من الأطراف التي تبدو متحفظة مثل رئيس الوزراء البريطاني الأسبق والمسؤول عن خروج بريطانيا من الاتحاد الأوربي بوريس جونسون ـ الا ان انضمام كييف

لهذا التكتل لا يزال غير مرجح الحدوث على المدى القريب. ولكن, فالسبيل الذي يراه بعض المراقبين هو ان مسألة عضوية أوكرانيا للاتحاد الأوربي مجرد وقت ولم تعد ترجيحا. «في نهاية المطاف ستصبح أوكرانيا دولة عضوا في الاتحاد الأوربي,» يقول رئيس الوزراء الفنلندي الأسبق, وهو توقع يرى بانه سيمتد ليشمل كل من جورجيا ومولدوفا. «عندما يقوم أحدهم بالتصرف بشكل عدواني وغير قانوني كما قام بذلك فلاديمير بوتن, سيقوم البقية بالتآزر والتوحد.»

أكبر ازمة لاجئين منذ عقود

أحد أكثر افدح التبعات للغزو الروسي هي نزوح الملايين من الاوكرانيين, داخليا وخارجيا. حتى اللحظة, يوجد هناك أكثر من ٨ ملايين لاجئ اوكراني مسجلين في انحاء مختلفة من اوربا, وفقا لوكالة اللاجئين التابعة للأمم الامتحدة, واغلبية هؤلاء هم من النساء والأطفال (الرجال الاوكرانيون بين سن ١٨ و٦٠ لا يسمح لهم بمغادرة البلاد) هذا الرقم يشكل حوالي ٢٠٪ من الشعب الاوكراني, والاغلبية من هؤلاء النازحين متواجدين في دولة بولندا المجاورة لأوكرانيا وكذلك في المانيا وجمهورية التشيك.

«هذه أسرع موجة نزوح سكاني منذ الاربعينات», تقول بيتا جافورك, الخبيرة الاقتصادية في البنك الأوربي لاعادة الاعمار والتنمية, مشيرة الى ان الخسارة في رأس المال البشري سيكون له تأثير عميق على أوكرانيا وعلى قدرتها على إعادة البناء عند انتهاء الحرب. وبالمجمل, اللاجئون «غالبا هم من الشباب الأصغر سنا والأكثر تعلما ولهم قابليات على المبادرة في مجال الاعمال, تضيف جافورك. «هذا النوع من الناس هو ما تحتاجه في مجال أعادة الاعمار.»

التداخل بين المال والجيوسياسة

قبل الغزو الروسي, كان هناك فصل كبير ما بين الاعمال والتجارة من جهة والمصالح الجيوسياسية من جهة أخرى. كان هناك إحساس «بانك تستطيع ترك التجارة تأخذ مجراها وترك الناس يشيدون سلاسل الاستيراد والتصدير, والقيام باستثماراتهم, وجني الأموال من أي مكان, وتصنيع أي شيء يمكن صناعته, وترك الأمور الجيوسياسية تأخذ مجراها, يقول ديمتري غروزوبنسكي, المفاوض التجاري السابق في منظمة التجارة العالمية والمؤسس لموقع شرح التجارة الاليكتروني.

لكن خلال أيام غزو الكرملين لاوكرانيا, أعلنت اعداد كثيرة من المصالح التجارية حول العالم نيتها إيقاف عملياتها في داخل روسيا. «أكبر تحول حدث في عقول الناس بعد غزو اوكرانيا هو رؤية السرعة التي يعلو فيها ما هو جيوسياسي على أي اعتبارات اقتصادية, يضيف غروزوبنسكي. «هناك لوائح تطلب من الشركات تضمين العوامل الجيوسياسية ضمن تحليل المخاطر, لكن مجالس الإدارة تقوم بذلك الشيء في الوقت الحاضر,» وهو امر سيثبت انه ذو صلة في سياق العلاقات الصينية الامريكية.

مع ذلك, من بين أكثر من ١٥٠٠ شركة متعددة الجنسيات أعلنت خروجها الطوعي من السوق الروسية, حوالي ٥٠٠ منها قامت بذلك بشكل كلي, وفقا لقائمة أعدتها جامعة ييل.

تحليل اخر أصدره تحالف «كن من اجل أوكرانيا», وهو تحالف لمنظمات المجتمع المدني الدولية, وجد انه من بين ٣٠٠٠ شركة متعددة الجنسيات, أكثر من نصفها لا تزال تمارس اعمالها مع روسيا. كثير من هذه الشركات تقع مقراتها الرئيسة في مجموعة دول السبعة الصناعية, وفقا للتقرير الأخير الذي صدر عن هذا التحالف, هذه الحقيقة من شأنها انت تقوض من جهود هذه المجموعة للتقليل من عوائد الكرملين ولدعم استقلال أوكرانيا.»

اعتمادية اقل على الغاز والنفط الروسيين

بعد الاحتلال الروسي, فرضت اوربا حضرا على صادرا النفط الروسي وقللت من اعتمادها على الغاز الروسي من ٣٥.٧٪ في شهر فبراير ٢٠٢٢ الى ١٢.٩٪ في الوقت الحاضر ـ وهو تحول نتج عن إرادة اوربية أكثر من كونه امتناع من قبل موسكو. علاوة على مطالبة الكرملين بان يقوم المشترون الأجانب بالدفع بالروبل ثمنا للغاز الروسي, في محاولة واضحة لدعم عملة البلاد التي تعاني, قامت شركة غازبروم الروسي بقطع تدفقات الغاز الى غرب اوربا عن طريق خط انابيب نورد ستريم والى اجل غير مسمى.

وفي الوقت الذي اثار فيه الانخفاض في صادرات الطاقة الروسية مخاوف اشتعال ازمة طاقة خلال فصل الشتاء, وتأثير ذلك الذي تم الشعور به على امتداد القارة الاوربية, الا ان هذا الانخفاض تسبب أيضا بإعطاء زخم كبير الى عملية التحول نحو البديل المتمثل بمصادر الطاقة المتجددة.

«أعضاء الاتحاد الأوربي من دول اوربا الشرقية, والتي ترى التحول الى الطاقة النظيفة امرا كان يتم فرضه من قبل بروكسل, بدأوا في الحقيقة بتبني هذا التحول لأنه أصبح قضية تتعلق بأمن الطاقة في هذه البلدان,» يقول جافورك. «فجأة, هناك إدراك بان امن الطاقة لا يمكن تحقيقه عن طريق تنويع مصادر الطاقة, بل عن طريق تنويع أنواع هذه الطاقة.»

روسيا معزولة تماما

«ان الواقع الذي نواجهه اليوم في اوربا هو العزلة الدائمة لروسيا بشكل نهائي, وهو امر سيتسمر لأجيال عديدة», يقول ستوب, رئيس الوزراء الفنلندي السابق. حتى وان انتهت الحرب يوم غد, سيتطلب الامر عقودا طويلة على الأرجح, ان لم يكن اجيالا عديدة, لاستعادة الثقة بين روسيا والغرب. اما بالنسبة للأوكرانيين, فان هذا اليوم ربما لن يأتي ابدا.

«لن نكون قادرين على إعادة المياه الى مجاريها مرة أخرى,» يقول مالكوم تشالميرز, وكيل المدير العام في معهد رويال يونايتيد في لندن. «أي كان ما سينتج عن هذا سيكون مختلفا عما كان الامر عليه في سنة ٢٠٢١, لان انعدام الثقة بروسيا أصبح عميقا جدا.»

لكن التضامن مع أوكرانيا له حدوده أيضا. فكما أوضح تصويت الجمعية العامة للأمم المتحدة, ليست كل الدول مستعدة للانخراط في هذه الحرب أكثر مما تم فعله حتى الان. فالهند والصين مستمرتان بالحفاظ على الحياد الظاهري, كما هو الحال مع غيرهما من العشرات من الدول التي تمثل حوالي نصف سكان المعمورة.

«لقد أوضحت الازمة بان معظم الدول غير المنحازة حافظت على عدم انحيازها, وفي بعض الحالات, لا تزال تميل الى جانب روسيا,» يضيف تشالميرز. «لا يوجد اجماع دولي بالضد من روسيا: هناك اجماع غربي بالضد من روسيا.»

تركيز جديد على تايوان

حتى مع بقاء الأنظار الدولية مشدودة نحو أوكرانيا, فقد بدأ قادة العالم بالتركيز على الصين والدروس الممكن استخلاصها من موسكو.

«أي محاولة من الصين لتغيير الوضع القائم في تايوان باستخدام القوة العسكرية سيكون لها اثار كبيرة على منطقة شرق اسيا, « كما أخبر الأمين العام لحلف الناتو الجنرال جينس ستولتينبيرغ صحيفة نيكيا اسيا في مقابلة أجريت مؤخرا. «لكن سيكون لها اثار أيضا على حلفاء الناتو وعلى الامن الدولي.»

وبالتأكيد, هنالك فروقات جوهرية ما بين تايوان وأوكرانيا. ففي الوقت الذي تحظى فيه الأخيرة باعتراف دولي كدولة مستقلة, لا تتمتع الأولى

بنفس هذا الاعتراف. وبينما اثبتت العوائق التجارية بين روسيا والغرب تأثيراتها السلبية على الاقتصاد العالمي, فان أي صراع مشابه مع الصين التي تمتلك اقتصادا يمثل عشرة اضعاف الاقتصاد الروسي سيكون لها تبعات كارثية, يقول غروزوبينسكي.

وعلى الرغم من الاختلاف الكبير بين فلاديمير بوتين و شي جينبنغ (شي جينبنغ صبور وذكي,» يقول ستوب» بينما «بوتين متسرع ومتهور») , فان الأخطاء التي قد يرتكبها الأول تبين ما قد يحدث في حال اختياره لاتباع نفس المسار الذي اتبعه الأخير بقدر تعلق الامر بتايوان.

«لو دخل بوتين العاصمة كييف في ظرف ٤٨ ساعة, لربما كان شي جينبنغ بفعل نفس الشيء في تايوان,» يقول ستوب. «لكنه الان يتفهم نوعا ما بانه غير قادر على فعل ذلك.»

Irabi Institute For Dialogue

للحوار

hewariraq.iq 07905400123 المعهد العراقي للحوار

١
سلسلة الملف
أعادة بناء الدولة
صياغات الحل
٢
سلسلة الملف
أعادة بناء الدولة
صياغات الحل
٣
سلسلة الملف
الثقافة السياسية
منطلق المفهوم وأزمة التأسيس

سلسلة الملف

هل باتت هيمنة الدولار على المحك؟

■ بول كروغمان.

صحيفة نيويورك تايمز
شباط / فبراير 2023

■ ترجمة: المعهد العراقي للحوار- د. نصر محمد علي

هل يواجه الدولار الأمريكي خطر فقدان وضعه بوصفه العملة المهيمنة دولياً؟ ظللت أطالع بعض التكهنات التي تلهث وراء تبني هذا الرأي خلال الأسابيع القليلة الماضية. سأتحدث عن مصادر تلك التكهنات بعد قليل. لكن اسمحوا لي أن أذكّر بأن هذا السؤال ليس بجديد. إذ سبق لي في الواقع أن كتبت عنه بإسهاب قبل سنوات قليلة.

وأعني بعبارة سنوات قليلة أربعة عقود خلت. فقد قمت بنشر الورقة الموسومة «الدور العالمي للدولار: النظرية والتوقعات» في عام 1984 وخلصت فيها إلى أن نهاية هيمنة الدولار ممكنة لكنها ليست مرجحة وأنها حتى وان حدثت فلن تحدث فرقاً كبيراً.

من الواضح أن العالم تغير كثيرا منذ كتابة تلك الورقة. كما حدثت بعض التطورات المهمة في نظرية العملات الدولية. لكن المنطق القابع خلف «استمرار» هيمنة الدولار والأسباب عدم التهويل من تلك الهيمنة قد ظلت كما كان عليه الحال في السنوات الماضية.

إذن من أين تأتي جلبة احتضار الدولار على حين غرّة؟ تأتي بعضها من أنصار العملات الرقمية (المشفرة). صحيح أن العملات الرقمية كانت موجودة لسنوات عديدة ولم يتسن لها أن تؤدي أي دور مهم في الأعمال المشروعة- ناهيك عن الحجم المذهل للفضائح التي أُبتليت بها الصناعة- إلا أنها ماتزال رائجة. وقد تقدم تيد كروز الأسبوع الماضي بمشروع قرار يطلب قبول ماكينات البيع الآلي في مبنى الكونغرس السداد بالعملات الرقمية. ولا يزال أنصار العملات الرقمية يزعمون أن عملة «البتكوين» أو أي عملة أخرى من منافساتها ستحل محل الدولار في يوم ما.

قد يجسد الحديث عن نهاية هيمنة الدولار تصوّراً واسع الانتشار بأن الولايات المتحدة استعملت الدولار بوصفه «سلاحاً» لفرض عقوبات مالية على روسيا بعد غزو فلاديمير بوتين لأوكرانيا. ومن دون الخوض في التفاصيل أعتقد أن هذا التصور خاطئ بالأساس، ما حولناه إلى سلاح حقاً كان هيمنة نيويورك ولندن بوصفهما مركزين ماليين. وهي سيطرة تجنح صوب إخضاع كل الأعمال لإشرافهما ولوائحهما التنظيمية. لكن مع ذلك، يبدو أن الفكرة تكمن في أن بعض البلدان ستتخلى عن الدولار لحماية نفسها من العقوبات في حال قيامها بشيء لاتوافق عليه الولايات المتحدة الأمريكية.

لذلك لدينا تقارير تفيد بأن الصين تحاول تعزيز تجارة النفط بعملة اليوان فيما تفكر كل من روسيا وإيران في إنشاء عملة رقمية مدعومة بالذهب. ولسبب ما، تتحدث البرازيل والأرجنتين عن إيجاد عملة مشتركة على غرار اليورو وهي فكرة مروعة حقاً.

ومن أجل تقييم كل هذا نحن بحاجة إلى الحديث عما يعنيه القول إن عملة الدولار هي المهيمنة. يعني ذلك في الأساس، أن الدولار بالنسبة للعملات الوطنية الأخرى مثل النقود عموماً للأصول الأخرى.

ان النقود وسيلة للتبادل. إذا كنتَ نجاراً تريد مواد غذائية فأنت لا تحاول أن تجد مركزاً تجارياً يحتاج إلى إصلاح رفوف خشبية. بل تقوم ببيع خدماتك مقابل الدولارات ومن ثم تستعملها لشراء البيض. وبالمثل أيضاً، إذا كنت ترغب في تحويل الروبية الهندية إلى الريال البرازيلي فانت لاتحاول أن تجد شخصا لديه ريال برازيلي ويبحث عن روبية هندية. بل تقوم بتحويل الروبية إلى دولارات ومن ثم تستعملها لشراء الريال البرازيلي.

النقود هي وحدة للحساب. إذ يحدد الناس عادة الأسعار ويكتبون العقود التي تحدد المدفوعات بالدولار وليس بوحدات من أسهم شركة من الشركات كشركة «تيسلا» على سبيل المثال. وبالمثل أيضاً، تُحدد العديد من الأسعار والعقود الدولية (وإن لم تكن كلها بأي حال من الأحوال) بالدولار الأمريكي.

وأخيرا يجب أن تكون النقود مستودعاً مستقرا للقيمة على حد معقول. أي مكاناً يمكنك أن تحفظ فيه ثروتك لبعض الوقت دون أن تتعرض على حين غرة لخطر فقدانها معظم قوتها الشرائية.

ان ما يميز العملات الدولية إلى حد ما هي أنها تؤدي هذه الأدوار للحكومات- التي تتدخل في أسواق العملات وتقوم أحياناً بربط قيمة عملاتها بعملة أخرى والاحتفاظ بمخزون من العملات الأجنبية) كما تؤدي تلك الأدوار للقطاع الخاص أيضاً. لذا لوصف وضع الدولار تحتاج إلى الجدول الموضح في أدناه، أقتبس من ورقتي لعام 1984:

الجدول 8.1 دور العملة الدولية

وسيلة التبادل	الواسطة	الدخل
الوحدة الحسابية	الفاتورة	بالدولار
مستودع القيمة	مصرفية	مدخرات

What the dollar does: It's the money of moneys. Paul Krugman

وقد توطدت هيمنة الدولار لأن هذه الأدوار تعزز نفسها بنفسها. فمن الأسهل إجراء المعاملات

بالدولار مقارنة بالعملات أخرى لأن عددا كبيراً من الناس يستعملون الدولار. وسهولة المعاملات من بين الأسباب التي تجعل الناس يستعملون الدولار. وكما أشار تشارلز كيندلبيرجر، فإن دور الدولار بوصفه عملةً عالمية مثل دور اللغة الإنجليزية بوصفها لغةً عالميةً.

على نحو مشابه لذلك إلى حد ما، وعلى النحو الذي أورده بحث مشترك أجرته من جيتا جوبيناث(التي تشغل الآن منصب كبيرة الاقتصاديين بصندوق النقد الدولي) وجيرمي ستاين، فان الفواتير الواسعة النطاق بالدولار – تحديد الاسعار وتسوية المبيعات بالدولار- تعزز الطلب على الأصول بالدولار. وهذا الأمر يجعل من اقتراض الدولار أرخص ومن ثم يشجع على معادلة الفواتير بالدولار.

إذن هل هنالك أي شيء مما يحدث الآن في العالم من شأنه حقاً تنحية الدولار عن موقعه القيادي؟ ضع في الحسبان، في الوقت الذي كانت فيه هيمنة الدولار ناجمة، إلى حد ما عن التعزيز الذاتي، بيد أنها تعتمد أيضاً على بعض المقومات الأساسية: فالولايات المتحدة الأمريكية تمتلك اقتصاداً ضخماً يتمتع بسوق لرأس المال ضخم ومتطور، وهي سوق لاتمتلك في العادة ذلك النوع من ضوابط رأس المال التي من شأنها أن تترك الناس غير قادرين على الحصول على أموالهم حين يريدون ذلك.

وتستبعد هذه المبادئ الأساسية على الفور عملة اليوان الصينية بوصفها بديلاً عن الدولار لأن الصين لديها بالفعل ضوابط على رأس المال ويبدو من غير المرجح أن تتخلى عنها في أي وقت قريب. زد على ذلك، صحيح أن للمستبدين سبب ما للخوف من احتمال أن تقوم الولايات المتحدة باحتجاز أرصدتهم إذا ما أقدموا على غزو جيرانهم أو قرروا قتل جماعة من رعاياهم، إلا أن المستثمرين في القطاع الخاص سيكون لديهم سبب للخوف أقوى بكثير من التصرفات العشوائية لنظام سلطوي لا يؤمن بحكم القانون.

وقد بدا لوهلة كما لو أن اليورو قد يصبح منافساً جاداً للدولار: إذ يمكن مقارنة اقتصاد منطقة اليورو باقتصادنا من ناحية الحجم والتطور. لكن منذ عام 2010 كانت أسواق رأس المال الأوروبية مشتته نوعا ما، حيث يتم تداول السندات الإيطالية بسعر الخصم مقابل السندات الألمانية على سبيل المثال. لذلك أُجل تحدي اليورو للدولار ربما إلى أجل غير مسمى.

ما هو صحيح، كما أشار باري آيشنغرين وزملاؤه، أن البنوك المركزية كانت تنوع موجوداتها من العملات ليس بتلك المنافسة للدولار ولكن بالعملات الأصغر.

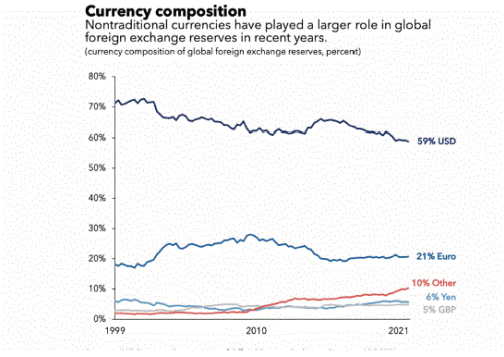

Spreading the wealth a bit, but no true dollar rival on the horizon. International Monetary Fund

هذا تطور مثير للاهتمام وسيكون من المفيد محاولة فهم سبب حدوثه، غير أنه من الصعب أن يكون حدثا مزلزلاً. تبدو هيمنة الدولار مهمة إذا لم تفكر بشأنها كثيراً. لكنها ستبدو أقل أهمية بكثير إذا فكرت بها ملياً. في الواقع، وبنحو عام كلما عرفت أكثر عن العملات الدولية، كلما بدت لك أقل أهمية.

فعلى سبيل المثال، لطالما أواجه تصريحات مؤداها بأن دور الدولار يمنح الولايات المتحدة الأمريكية قدرة فريدة على إدارة العجز التجاري المستمر. لكن قل هذا للأستراليين الذين يفعلون ذلك على نحو جيد.

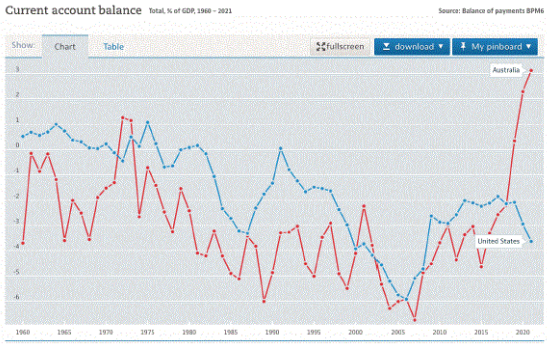

The trade deficits down under. O.E.C.D.

حسناً، وظللت أسمع بعض نظريات المؤامرة المذهلة مثل الزعم بأننا غزونا العراق لأن صدام حسين كان يخطط لوقف تسعير نفطه بالدولار. آسف، لم يكن الأمر كذلك. صحيح أن الدور الذي يؤديه الدولار ربما يتيح للولايات المتحدة الاقتراض بتكلفة أقل قليلاً مقارنة بالأمر لو كان على خلاف ذلك، كما نحن نحصل في الواقع على قروض بدون فائدة من الكمية الكبيرة من العملة الورقية الأمريكية - من فئة 100 دولار بنحو رئيس- الموجودة خارج البلاد والكثير منها لأغراض شنيعة، بيد أن هذه الميزات في نهاية المطاف تافهة بالنسبة لاقتصاد بقيمة 26 تريليون دولار. لذلك هيمنة الدولار ليست مهددة. وإن كانت كذلك فهي ليس بالأمر الجلل.

التغير المناخي في العراق

يمكن للحرب أن تضعف البيئة وتقلب حياة الناس رأسا على عقب بعد فترة طويلة من سكوت هدير الأسلحة

ايغور مالغراتي ، المستشار الدولي للجنة الدولية للمياه والسكن

■ **الباحث: مصطفى محمد راضي**

ملخص تنفيذي:

تتداخل المسائل المهمة وتترابط فيما بينها بشكل لابد منه كلما كانت اقرب لاحتياجات المجتمعات البشرية ومتطلبات بقاءها فكما تتداخل السياسة وتشتبك احيانا القضايا فيما بينها، ويكاد يكون مفتاح الحل هو نفسه، فالطبيعة والبيئة تتصدران من حيث تأثيرهما على جوانب الحياة في المستقبل القريب، وتتفاقم تدريجيا ما لم يتخذ البشر سلسلة تدابير تكمل بعضها الاخر، ليس لانهاء هذا الخطر القادم، بل للتحكم به وادارة الجوانب التي سوف يعصف بها بالقدر الممكن.

ركزت هذه الدراسة البحثية على المخاطر المرتبطة بالجفاف والتصحر القادم، واهمية الالتفات الى الجهود الرامية للحد من اعراض ومخاطر ما يحمله لنا المستقبل من قساوة وتطرف للمناخ، كانخفاض عدد الايام الممطرة، ووصول عدد الايام المحملة بالعواصف الرملية الى مستوى لم يكن متوقعا سابقا، وارتفاع درجات الحرارة، وتراجع معدل الاطلاقات المائية السطحية من دول الجوار.

تناولت الدراسة مفهوم تغير المناخ والاحتباس الحراري وتأثيرها على الجوانب المرتبطة بأهم أوجه حياة الانسان. ثم أشرنا الى اهم التنبيهات الدولية التي اصدرها العلماء والساسة من مخاطر هذه الظواهر، وما تحمله من ضغوط على حياة البشر، ثم بينا اهم ملامح التغيير البيئي القادم والمجالات التي ستكون اكثر تعرضا له، بعدها انتقلنا لشرح الوضع في العراق بشكل موجز، وقدمنا تصورا عن تأثر العراق باكبر معدلات الاتربة واكثرها تواترا وتأثير ذلك على مختلف القطاعات في العراق معززة بالارقام، و مقارنة مع دول اخرى من الشرق الأوسط. وصولا الى مقترحات الحلول التي ينبغي للجهات المختصة الأخذ بها لتفادي أزمات أكبر في المستقبل القريب.

أولا: تغير المناخ و الاحتباس الحراري:

التغير المناخي هو اضطراب في مناخ الأرض مع ارتفاع في درجة حرارة الكوكب، وتغير كبير في طبيعة الظواهر الطبيعية، مع نزعة إلى العنف، وتدهور مستمر للغطاء النباتي وللتنوع البيئي. تجد ظاهرة الاضطراب المناخي تفسيرها لدى عدد من العلماء في ارتفاع حرارة المحيطات والغلاف الجوي على المستوى العالمي وعلى مدى سنوات عديدة. وترجع أغلب الدراسات المنجزة في هذا المقام ظاهرة التغيرات المناخية إلى جملة من العوامل، أبرزها النشاط الصناعي وما يخلفه من غازات سامة تتكدس في الغلاف الجوي، مؤثرة بشكل حاد على انتظام حرارة الأرض وتعاقب وتوازن الظواهر البيئية.

الأسباب..

إن ارتفاع درجة حرارة الأرض وتبدل مناخها ظاهرة طبيعية في أصلها، قد عرفت الأمم عبر التاريخ أزمات مناخية مثل نوبات الجفاف الحادة والفيضانات العارمة والأمطار الطوفانية، إلا أن تفاقم تقلبات المناخ وفجائيتها في العقدين الأخيرين من القرن العشرين يعود في جوهره إلى النشاط الصناعي.

ويذهب أصحاب هذا الرأي إلى الاستدلال بمركزية دور الغازات الدفيئة في المس بانتظام الدورة الطبيعية لمناخ الأرض، مع ما يترتب على ذلك من اضطرابات مختلفة مثل اضطراب فترات تساقط الأمطار، وتفاوت معدلاتها بين شمال وجنوب الأرض بشكل حاد. وفي هذا الصدد تُشير دراسات إلى أن تركيز غاز ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي بلغ 350 جزيئا في اللتر بنهاية القرن العشرين، في حين ظلت خلال مائة ألف سنة من تاريخ الأرض تتراوح بين 200 و280 جزئيا في اللتر، كما أن تركيز غازات أخرى مثل الميثان تضاعف هو الآخر حين قياسه في الفترة نفسها.

ومع ذلك فلا بد من إبراز حقيقة أن الاحتباس الحراري ظاهرة طبيعية في أصلها وضرورية لحفظ توازن حرارة الأرض بما يُمكن من استمرار الحياة عليها، بيد أن النشاط الصناعي يحفز هذه الظاهرة بشكل زائد وبالتالي مدمر.

يتغير مناخ كوكبنا على مدار الزمن الجيولوجي مع حصول تقلبات ملحوظة في درجات الحرارة الوسطية، ورغم ذلك، ترتفع درجة الحرارة في هذه الفترة بسرعة أكبر من أي أوقات ماضية. وقد أصبح جليًّا أن البشرية هي المسؤولة عن معظم ارتفاع درجات الحرارة في القرن الماضي بتسببها في إطلاق غازاتٍ تحبسُ الحرارة - وهي التي يشار إليها في العادة بغازات الدفيئة أو الاحتباس الحراري- لإمداد حياتنا الحديثة بالطاقة. ونحن نقوم بذلك من خلال حرق الوقود الأحفوري، والزراعة، واستخدام الأراضي، وغير ذلك من النشاطات التي تدفع لحدوث التغير المناخي. إن الغازات الدفيئة في أعلى مستوياتها من أي وقت مضى على مدار الأعوام الأخيرة، ويعتبر الارتفاع السريع لدرجة الحرارة مشكلةً لأنه يغيّر مناخنا بمعدلٍ سريعٍ جدًّا تعجز الكائنات الحية

عـن التكيّـف معـه. إن التغيـر المناخـي لا يتعلـق فقـط بدرجـات الحـرارة المرتفعـة، بـل يشـمل أيضًـا أحـداث الطقـس الشـديدة، وارتفـاع مسـتويات البحـار، وتغيـر تعـداد كائنـات الحيـاة البريـة، ومواطـن الحيـوان والنبـات الطبيعيـة، وطيفًـا مـن التأثيـرات الأخـرى.

إن تغيـر المنـاخ هـو حالـة طـواريء عالميـة تتجـاوز الحـدود الوطنيـة، انهـا قضيـة تتطلـب حلـولا متسـقة علـى جميـع المسـتويات وتعاونـا دوليـا لمسـاعدة الـدول علـى التحـرك نحـو اقتصـاد منخفـض الكربـون.

إن هنـاك إجماعًـا علميًّـا طاغيًـا علـى أن ارتفـاع درجـة حـرارة الأرض هـو مـن صنـع الإنسـان في الغالـب: إذْ أن 97% مـن علمـاء المنـاخ توصلـوا إلـى هـذا الاسـتنتاج. إن أحـد أكبـر المسـبّبات إلـى حـد بعيـد هـو حـرق الوقـود الأحفـوري - أي الفحـم والغـاز والنفـط - وهـو مـا زاد تركيـز غـازات الدفيئـة - مثـل ثاني أوكسـيد الكربـون - في غـلاف أرضنـا الجـوي. وهـذا النشـاط، المقـرون بأنشـطة أخـرى مثـل تمهيـد الأراضي للزراعـة، يسـبّب ارتفـاع متوسـط درجـة حـرارة كوكبنـا.

أولا: أهـم المعاهـدات الدوليـة التـي تعنـى بالتغيـر المناخـي.. .

١- اتفاقيـة الأمـم المتحـدة الاطاريـة بشـأن تغيـر المنـاخ:

في عـام 1992، وقـع 165 بلـدًا في ريـو دي جانيـرو، معاهـدةً دوليـة، هـي "اتفاقيـة الأمـم المتحـدة الإطاريـة بشـأن تغيـر المنـاخ". وقـد عقـدت تلـك البلـدان اجتماعـاتٍ سـنويةً منـذ ذلـك الحيـن بإسـم "مؤتمـر الأطـراف"، بغيـة تطويـر أهـدافٍ وأسـاليبَ للحـد مـن التغيـر المناخـي، وكذلـك التكيّـف مـع آثـاره الماثلـة للعيـان فعـلاً. واليـوم، بـات هنـاك 197 بلـدًا ملتزمًـا بـ"اتفاقيـة الأمـم المتحـدة الإطاريـة بشـأن تغيـر المنـاخ".

وكان الهـدف الأسـاسي لقمـة الأرض هـو وضـع جـدول أعمـال واسـع ومخطـط جديـد للعمـل الدولـي بشـأن قضايـا البيئـة والتنميـة الـتي مـن شـأنها أن تسـاعد في توجيـه التعـاون الدولـي وسياسـة التنميـة في القـرن الحـادي والعشـرين. وحققـت «قمـة الأرض» العديـد مـن الإنجـازات العظيمـة: إعـلان ريـو ومبادئـه العالميـة السـابعة والعشـرون، واتفاقيـة الأمـم المتحدة الإطاريـة بشـأن تغيـر المنـاخ، واتفاقيـة التنـوع البيولوجـي؛ وإعـلان مبـادئ إدارة الغابـات. كمـا أدت «قمـة الأرض» إلـى إنشـاء لجنـة التنميـة المسـتدامة، وعقـد المؤتمـر العالمـي الأول للتنميـة المسـتدامة للـدول الجزريـة الصغيـرة الناميـة في عـام 1994.

بروتوكول كيوتو 1997

اعتُمـد بروتوكـول كيوتـو في 11 ديسـمبر 1997، إلا أنّـه دخـل حيّـز التنفيـذ في فبرايـر 2015، وحاليًّـا يوجـد فقـط 192 طرفـاً في هـذا البروتوكـول، ويعمـل علـى تفعيـل اتفاقيـة الأمـم المتحـدة الإطاريـة بشـأن تغير المنـاخ. والاتفاقيـة الإطاريـة الـتي يعمـل عليهـا بروتوكـول كيوتو، تُلـزم البلـدان الصناعيـة والاقتصـادات الـتي تمـر بمرحلة انتقاليـة بالحـد مـن انبعاثـات غازات الاحتبـاس الحراري وخفضهـا وفقًـا للأهـداف الفرديـة المتفـق عليهـا.

إلا أنَّ هـذا البروتوكـول عليـه أزمـة كبيـرة، لأنّـه يُلـزم البلـدان المتقدمـة فقـط، ويضـع عبئًـا ثقيـلًا عليهـا بموجـب مبـدأ «المسـؤولية المشـتركة المتباينـة والقـدرات الخاصـة»، لأنـه يعتـرف بأنهـا مسـؤولة إلـى حـد كبيـر عـن المسـتويات العاليـة الحاليـة لانبعاثـات غـازات الكربـون في الغـلاف الجـوي.

3 - اتفاقية باريس 2015

لقـد تبنـت هـذه الـدول اتفـاق باريـس وذلـك في مؤتمـر الاطـراف 21 في باريـس في 12 كانـون الاول 2015، والـذي يهـدف الـى الحـد بشـكل كبيـر مـن انبعاثـات غـازات الاحتبـاس الحـراري العالميـة، والحـد مـن زيـادة درجـة الحـرارة العالميـة في هـذه القـرن الـى

99
السنة الثامنة عشر
العدد 65
رمضان 1444
آذار 2023

التغير المناخي في العراق

درجتين مئويتين، مع السعي الى الحد من الزيادة الى درجة ونصف فقط.

الى جانب هذه المعاهدات، هناك اتفاقيات أخرى على صلة بموضوع الحفاظ على المناخ وحماية البيئة، ابرزها اتفاق جودة مياه البحيرات العظمى لعام 1978، واتفاقية جنيف لعام 1979 بشأن التلوث الجوي بعيد المدى عبر الحدود، واتفاقية هلسنكي لعام 1985 (والتي أدت لالتزام 21 دولة لخفض انبعاثات ثاني أكسيد الكبريت)، وبروتوكول مونتريال بشأن المواد المستنفدة لطبقة الأوزون لعام 1988، واتفاقية بازل لعام 1989 بشأن نقل النفايات الخطرة عبر الحدود.

ثانيا: المؤتمرات والقمم الدولية حول تغير المناخ..

بالتأكيد فان المؤتمرات ال25 التي عقدت على مدار الخمسين عاما الماضية، تمخض بعضها عن اتفاقات أو معاهدات دولية برعاية الأمم المتحدة لتراعي تغير المناخ وتدارك المخاطر المرتبطة.

في مؤتمر القمة الأخير، اجتمع 120 من قادة العالم برعاية الأمم المتحدة في غلاسكو، القمة التي يرمز لها بـ (COP26)وتعني «المؤتمر السادس والعشرين للأطراف في الاتفاقية الإطارية بشأن التغير المناخي"، وهذا المؤتمر هو السادس والعشرون منذ دخول المعاهدة حيز التنفيذ في 21 مارس/آذار 1994، عقدت لمدة أسبوعين. كان العالم منشغلًا بكل جوانب تغير المناخ مثل العلم، والحلول، والإرادة السياسية للعمل، والمؤشرات الواضحة للعمل المناخي..

ابرز انجازات المؤتمر:

1. إعادة النظر في بنود تقليل معدلات الانبعاثات العام المقبل، بحيث تتماشى مع إبقاء معدل زيادة درجة الحرارة أقل من 1.5 درجة مئوية.
2. لأول مرة يكون هناك إلزام للدول بتقليل استخدام الفحم كمصدر للطاقة.
3. دعم مالي ضخم للدول النامية.

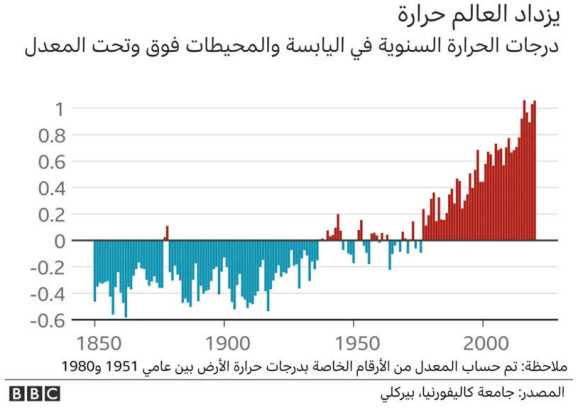

(يوضح الشكل ارتفاع معدلات درجات الحرارة في العالم)

ثالثا: الدول الأكثر تضررا، وملامح تغير المناخ:

بالرغم من أن الدول الغنية كان لها دورٌ بارز في حدوث التغيُّرات المناخية التي يشهدها العالم، إلا أن الدول الفقيرة هي التي تتحمل معظم آثاره وتداعياته، وفق ما توصلت إليه دراسة حديثة، أجراها فريق من الباحثين الدوليين في جامعات «إكستير» البريطانية و»فاجينينجين» الهولندية و»مونبلييه» الفرنسية، مشيرةً إلى أن «البلدان الاستوائية، التي تميل إلى أن تكون أكثر فقرًا وأقل إصدارًا لغازات الدفيئة، مقارنةً بدول نصف الكرة الأرضية الشمالي الأكثر ثراءً، ستعاني من تقلبات كبيرة في درجات الحرارة، ما يزيد من ظاهرة عدم المساواة المتصلة بالمناخ».

ان الدول الصناعية، مثل الولايات المتحدة و الصين و المانيا و كندا و أوروبا واليابان، رغم كونها تمثل السبب المباشر في انتاج مسببات التغير والاحتباس الحراري بسبب المعامل وانتاجها للغازات المسببة للاحتباس، وبالتالي تسببها في

ظروف توجب على جميع دول العالم التعامل معها كل من دوره وجانبه، ومدى تأثره، لكن هذه الدول لديها القدرات التقنية والتنظيمية للتأقلم مع التغير المناخي ومواصلة تنويع مصادر الطاقة والاعتماد التدريجي على الطاقة البديلة، بما في ذلك تطوير بطاريات كبيرة قادرة على تخزين الطاقة الشمسية لأكثر من أسبوع، وإنتاج المزيد من السيارات التي تعتمد على الطاقة الكهربائية والبطاريات المتطورة. ولكن إذا بقي العالم النامي بعيدا عن هذه التقنيات، وبقيت دول كبيرة مثل الهند وروسيا وباكستان وحتى الصين تساهم في تأزيم حدة الاحتباس الحراري، فان التغير المناخي، بفيضاناته وحرائقه وموجات الحر والهجرة البشرية التي سيواصل خلقها، والتي لا تحترم الحدود السياسية أو سيادة الدول، يعني بالفعل أنه الخطر الوجودي الأكبر والآني الذي يهدد الإنسانية بكاملها.

لعل أحدث التحذيرات العالمية من موضوع التغير في المناخ، تقرير مجموعة اجهزة الاستخبارات الامريكية، الذي رفعت السرية عنه وزارة الدفاع الأمريكية مؤخرا، تضمن معلومات خطيرة تخص التغير المناخي وعلاقته بالأمن القومي حتى عام 2040، مشيرا الى ان العراق و11 من الدول الاخرى هي (افغانستان-ميانمار-الهند-باكستان-كوريا الشمالية-غواتيمالا-هاييتي-هندوراس-نيكاراغوا وكولومبيا) ومنطقتين تشمل (وسط افريقيا ودول جزر المحيط الهادي الصغيرة) معرضة للخطر بشكل خاص في مجالات الطاقة والغذاء وامكانية الوصول الى المياه العذبة والرعاية الصحية. وبالتالي تنذر بتوترات قد تهدد الامن القومي، وقد جاء في التقرير ان تغير المناخ سيؤدي الى تفاقم التوترات الدولية التي ستشمل اثاره الامن القومي، ولاسيما في البلدان الفقيرة التي ستواجه العواقب السلبية الاكبر بسبب هذا التغير لأنها اقل استعدادا للتكيف، وعزا التقرير (تأثر هذه الدول والمناطق أكثر من غيرها، لكونها اكثر فقرا واقل قدرة على التكيف، مما يتركها فريسة لعدم الاستقرار والنزاع الداخلي، ومن شأن الموجات الحارة والجفاف ان تؤثران على توفير الخدمات).

أشار التقرير أيضا الى ان منطقة القطب الشمالي ستكون احدى المناطق المتضررة جراء التغيير المناخي، ذلك ان ذوبان الجليد سيجعل تلك المنطقة مطروقة أكثر من ذي قبل، وسيمهد ذلك بدوره الطريق أمام سفن الشحن الجديدة للدخول، واستكشاف الثروات السمكية. كما حذر التقرير ايضا من ان بعض الدول ومنها روسيا ودول الشرق الاوسط النفطية التي تعتمد في دخلها على صادرات الوقود الاحفوري، ستحاول حماية اقتصادها من خلال مقاومة التحول السريع الى عالم خال من الكربون، لأنهم يخشون الجوانب الاقتصادية والسياسية والجيوسياسية مرتبطة بانخفاض عائداتهم من الوقود الاحفوري.

حذر تقرير آخر أعده البنك الدولي من أن «التغيرات المناخية تهدد بغرق نحو 100 مليون شخص في الدول الفقيرة بحلول عام 2030»، مشددًا على ضرورة اتباع «سياسات صارمة لحماية أشد الفئات ضعفًا في العالم من فشل المحاصيل والكوارث الطبيعية والأمراض التي تنقلها المياه والآثار الأخرى المترتبة على تغيُّر المناخ». يوضح التقرير أن ارتفاع درجات الحرارة يمكن أن يؤدي إلى فشل 5٪ من إنتاجية المحاصيل بحلول عام 2030، وفي أفريقيا قد يصل هذا المستوى إلى 12%، ويشدد التقرير على أن «ارتفاع درجة الحرارة بين درجتين إلى 3 درجات مئوية فوق مستويات ما قبل الثورة الصناعية سيضع 150 مليون شخص آخرين في دائرة الإصابة بالملاريا وحدها في الهند، كما يمكن أن يؤدي إلى دخول 45 مليون شخص إلى دائرة الفقر بحلول عام 2030 من جَرّاء الصدمات الزراعية والأمراض الناجمة عن التغيرات المناخية»، مشيرًا

إلى أن «حوالي 702 مليون شخص -يمثلون نحو 9.6% من سكان العالم- يعيشون في فقر مدقع».

رابعا: العراق في مواجهة تغير المناخ:

من المرجح ان يكون العراق في دائرة الخطر وفي صدارة الدول التي تقع ضمن مناطق المناخ العالمي الأكثر قسوة، والتي تواجه مخاطر في التصحر بسبب ضعف الموارد المائية وقلة المساحات الخضراء، بالاضافة الى انبعاثات الغاز الكربوني بحدود غير مسيطر عليها، وماتزال غير خاضعة لضوابط الاتفاقية الاطارية بشان المناخ التي انضم اليها اواخر 2008 واتفاق باريس الملحق بها، بسبب الظروف الامنية التي واجهها العراق عقب اجتياح تنظيم داعش الارهابي، وما تطلبه ذلك من جهود وموارد لاتمام عملية تحرير الارض، وما رافقها من تخريب ودمار للممتلكات والبنى التحتية التي أثرت ومازالت سلبا في تشوه معالم البيئة والطبيعة في كثير من المناطق، بالاضافة لموجات الهجرة التي مازالت بدون حل نهائي، كلها عوامل ضعف وعدم استقرار للتخطيط البيئي.

1 - التغيرات المناخية في العراق:

العراق كمعظم الدول العربية والنامية، لايتحمل سوى جزء قليل من المسؤولية في انبعاثات الغازات الدفيئة، ذلك ان معظم تلك الدول ومنها العراق، لا تنتج سوى 5% من الغازات الدفيئة المسببة للاحتباس الحراري، وفقا لتقرير المنتدى العربي للبيئة والتنمية لعام 2011. ومع ذلك تشهد البلاد منذ عام 2008 موجات جفاف عنيفة، وبدت اثارها واضحة على الزراعة والاراضي ومصادر المياه والحياة العامة، فضلا عن ارتفاع غير مسبوق في درجات الحرارة. لقد بدت الملامح الاولى لهذه الخريطة في تقرير اصدره معهد مصادر العالم بتاريخ 25/ آب/2015 حيث احتل 14 بلدا في الشرق الاوسط صدارة لائحة 33 بلدا في العالم، تواجه شح مياه حقيقي في العقود المقبلة. ومن بين هذه البلدان السعودية و البحرين و الكويت و الامارات و لبنان و فلسطين و ايران و (اسرائيل) و العراق، وأشار التقرير الى ان الادارة السيئة والتبذير والازدياد السكاني هي عوامل اضافية لموجات الجفاف العنيفة التي تضرب مناطق في العالم بسبب التغير المناخي، وتعاني منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا أكثر من أي منطقة في العالم من حدة تأثير التغير المناخي ونقص المياه، وذلك بسبب طبيعتها القاحلة أو شبه القاحلة، فضلا على انها تضم 6% من اجمالي سكان العالم واقل من 2% من الموارد المائية المتجددة في العالم، ولا تتجاوز مساهمة هذه المنطقة في انبعاث الغازات الدفيئة 2.4% على مستوى العالم.

لقد صار ممكنا ملامسة الآثار الناتجة عن التغير المناخي في السنوات الأخيرة مثل موجات الحرّ المتطرفة والتصحر وشح المياه في جميع أنحاء البلاد، وباستثناء المناطق الجبلية في إقليم كُردستان، تتميز غالبية المناطق الأخرى في البلاد بطبيعة جافة أو شبة جافة لا تتجاوز فيها نسبة هطول الأمطار 150 ملم سنوياً. ولهذا السبب يعتمد العراق على سقوط الأمطار خارج حدوده الوطنية لتأمين أكثر من نصف احتياجاته المائية، الأمر الذي يجعله عرضة لتحديات جمة في ما يخص أمنه المائي والغذائي، وذلك بسبب تبعيته المناخية الطبيعية والجيوسياسية لدول الجوار: تركيا وإيران وسوريا، وخفضت مشاريع تخزين المياه في دول الجوار معدلات التدفق في نهري دجلة والفرات، وهما المصدران الرئيسيان لمياه العراق السطحية، إلى أقل من ثلث طاقتهما عام 2018 وقد تخفضها أكثر في السنوات المقبلة.

يعتمد العراق على مياه الانهار (مياه سطحية) للشرب والزراعه والخدمات الأخرى، فمعظم مصادره من المياه تأتي عبر نهري دجلة والفرات اللذان ينبعان من جنوب شرقي الأناضول. بالاضافة الى ان العراق جزء من منطقة الشرق الأوسط

103
السنة الثامنة عشر
العدد 65
رمضان 1444
آذار 2023

التغير المناخي في العراق

محطة بغداد معدلات الاتربة بوحدة (مايكروغرام/م٣)												
Year	.Jan	.Feb	.Mar	.Apr	May	.Jun	.Jul	.Aug	.Sep	.Oct	.Nov	.Dec
2020	19.0	22.5	44.4	47.9	33.8	14.1	19.6	6.5	18.3	10.5	25.7	7.7
2021	19.0	21.8	42.3	46.5	38.6	14.0	19.5	5.7	17.2	12.4	25.7	7.8
2022	19.0	21.8	42.3	46.5	54.4							

يوضح الجدول معدلات تراكيز الاتربة في الجو ببغداد للسنوات الثلاث الاخيرة

وشرق البحر المتوسط. وهي منطقة متأثرة بهشاشة المناخ وتذبذبه، الأمر الذي يفاقم من أسباب تناقص تدفق المياه في الأنهار. ولكونه دولة نفطية، هذا يعني وجود منشآت استخراج وتكرير متعددة كلها تؤثر على الطبيعة وبالتالي المناخ. فالمناخ الصحراوي الحار والجاف صيفا، يفرض ضغوطا متعددة على الخدمات وظروف معيشة قاسية، تزامنت مع تجريف البساتين وتجفيف الاهوار منذ زمن النظام البائد ولاسباب سياسية و استمر هذا التجاوز على النظام البيئي الذي كان متوازنا عندما اهملت البساتين وتحولت الى مبآن ومنشات سكنية ومشاريع أخرى في معظم محافظات ومناطق البلد.

ارتفع متوسط درجات الحرارة في العراق بنحو (0.7) درجة مئوية على الاقل خلال القرن الماضي، بينما اصبحت درجات الحرارة الشديدة اكثر تواترا، ويسير هطول الامطار في اتجاه نزولي طفيف في جنوب شرق البلد، ومن المتوقع ان ترتفع درجات الحرارة السنوية بمقدار درجتين مئويتين بحلول عام 2050. بينما من المتوقع ان ينخفض متوسط هطول الامطار السنوي بنسبة 9% (حسب مجموعة البنك الدولي). وايضا ازدادات العواصف الترابية او الرملية بشكل كبير، ويرجع ذلك الى عدة اسباب اهمها:

أ -شحة الامطار التي ادت الى الجفاف و التصحر.

ب- سجلت معدلات في فصل الصيف أعلى من معدلاتها العامة بعدة درجات لعدة مناطق في العراق.

ج- قلل الجفاف من المساحات الخضرية وزيادة في المساحلت الجرداء التي تدخل من العوامل المساعدة للغبار.

د- كثرة تكرار المنخفضات الجوية و الجبهوية في فصلي الصيف و الربيع.

هـ- -تعرض التربة في العراق خاصة القشرة السطحية او الخارجية منها الى عمليات تعرية و عملية طحن جراء حركة الناقلات و المركبات المتعددة.

و- قلة منسوب المياه في الانهار و المياه الجوفية مما يقلل من تردي زراعة الغابات والزراعة دائمة الخضرة.

يلاحظ من هذه الجداول ان القضية ليست فقط في زيادة معدلات درجات الحرارة او الاتربة، بل تنطوي ايضا على التطرف في المناخ، كحدوث عواصف ممطرة او متربة في اوقات نادرة الحدوث ايضا، وهذا له علاقة ايضا بالتغير المناخي وغالبا ما كان يناقشه المجتمعون في القمم التي عقدت بحضور زعماء العالم.

البلد	تراكيز جزيئات PM٢,٥ مايكروغرام/ملم٣	اعداد الوفيات	الخسائر بالدولار الامريكي	نسبة الخسائر من الناتج القومي الاجمالي
الجزائر	19,25	7,845	9,186	1,84%
البحرين	43,63	188	836	1,47%
مصر	36,41	39,118	33,912	3,85%
ايران	31,89	21,680	32,070	2,6%
العراق	32,57	10,372	14,793	2,89%
اسرائيل	25,78	2,201	7,639	3,03%
الاردن	25,64	1,055	1,083	1,047%
الكويت	49,13	547	3,820	1,44%
لبنان	23,56	1,8162	2,808	3,78%
المغرب	17,36	7,034	4,158	1,73%
عمان	30,35	655	2,725	1,8%
الباكستان	46,18	156,191	54,295	6,69%
قطر	38,36	110	1,222	0,44%
السعودية	٥٤,١٢	6,285	32,038	2,17%
تونس	16,35	٣,٧٩٢	٣,٥١٤	3,01%
الامارات العربية	40,95	900	5,761	1,02%
غزة والضفة الغربية	26,36	1,006	309	1,65%
اليمن	36,19	13,442	3,229	3,45%

أحد العوامل التي ترتبط مع التغير في المناخ هو التبخر، فتبخر المياه السطحية يرتبط بارتفاع درجة الحرارة وزيادة سرعة الرياح، والتي تحول المياه من حالتها السائلة الى حالة غازية او صلبة، وله علاقة ايضا بانخفاض معدلات الامطار، وبالتالي يكون احد العوامل المناخية التي تضغط وتؤثر على مناخ العراق وغيره من الدول.

2 - تأثير هذه التغيرات المناخية:

هناك جملة من المخاطر المرتبطة بالتغيرات المناخية، تكون هذه المخاطر متداخلة مع بعضها البعض و في احيان كثيرة لا يمكن الفصل بينها بسهولة، لكننا يمكن ان نوردها على النحو التالي:

أ- المخاطر الصحية: غالبا ما تؤثر العواصف الترابية على حياة الانسان وصحته، ليس فقط في الاراضي الصحراوية الجافة ولكن ايضا في مناطق اتجاه الريح، على سبيل المثال، يصل الغبار المنبعث من منطقة شمال افريقيا الى الشرق الاوسط واوربا ومنطقة البحر الكاريبي والامريكيتين، مما يؤثر على جودة الهواء في تلك المناطق ايضا.

تعتبر جودة الهواء في العراق رديئة جدا، حيث تؤثر جزيئات الغبار المحمولة جوا على صحة الانسان من خلال تأثيرها على خصائص الهواء المحلية والاقليمية. يحتوي الغبار على جزيئات دقيقة يصل قطرها الى 2.5 ميكرون (PM2.5) أو اقل وجزيئات اخرى خشنة يصل قطرها الى 10 ميكرون (PM10)وحسب منظمة الصحة العالمية فان المحدد العالمي لتراكيز جزيئات الغبار هو 15 ميكروغرام/م3 بالنسبة لجزيئات PM2.5 و50 ميكروغرام/م3 بالنسبة لجزيئات PM10. بينما قد تزداد معدلات هذه الملوثات في العراق من 65 ميكروغرام/م3 بالنسبة الى PM2.5 و 150 ميكروغرام/م3 بالنسبة لـ PM10، أما في ايام العواصف الغبارية الكثيفة فقد وصلت تراكيز PM2.5 الى 150 ميكروغرام/م3. اي ان الزيادة التي تحصل في ايام العواصف الغبارية تصل الى عشرة اضعاف نسبتها المحددة عالميا.

يمكن أن تؤثر تركيزات الغبار المتزايدة سلبا على الصحة وقد تؤدي الى الوفاة، اذ يعتبر التعرض الى الجسيمات الدقيقة المحيطة PM2,5 حاليا احد اخطر الملوثات البيئية على مستوى العالم، اذ تشير التقديرات الى ان التعرض ل PM2,5 ساهم في 4 ملايين حالة وفاة مبكرة في عام 2016، والوضع اسوأ في المناطق المعرضة لظواهر الغبار المتكررة (العراق مثلا)، اذ يعتبر العراق من الدول التي تعاني من اعلى متوسطات مستويات PM2,5 و PM10. فقد تسببت احد العواصف الترابية الاخيرة بدخول 5000 شخص الى المستشفى.

ب- المخاطر الاقتصادية والبيئية: يعتبر ترسب الغبار والعواصف المرتبط بتغير المناخ والتصحر سببا لتدهور الاراضي كما يتسبب الغبار بتفاقم الاحداث المناخية كالجفاف، بالتزامن مع اهمال جوانب اخرى تؤثر الى حد كبير، مثل تلوث مياه الانهار، وقلة منسوب البحيرات، وعبور اللسان الملحي الى مستويات غير مسبوقة في شط العرب، مما يؤثر على المياه الصالحة للشرب والزراعة، الى جانب تكاليف اقتصادية قصيرة وطويلة المدى ابرزها:

- تقليل غلة المحاصيل الزراعية
- خفض قيمة الممتلكات والنزوح السكاني
- غلق المعامل والمصانع
- تعطيل دوائر الدولة
- تعطيل الرحلات الجوية
- نفوق الماشية
- اضرار البنى التحتية والنقل(الحوادث المرورية)
- كلف التنظيف (هدر المياه)
- تراجع تجهيز الطاقة الكهربائية

من الصعب جدا قياس التكاليف الاقتصادية لتأثيرات التلوث لانها واسعة النطاق وطرق حسابها معقدة، الا ان تقرير البنك الدولي اشار الى ان خسائر منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا جراء التلوث بشكل عام ومنها العواصف الترابية بلغت عام 2019 مايعادل (150) مليار دولار سنويا واكثر من 2,5% من اجمالي الناتج المحلي لمعظم بلدان المنطقة، ويشير الجدول المرفق طيا الى حصة كل دولة من دول المنطقة من تراكيز الغبار واعداد الوفيات سنويا بسبب تلوث البيئة، والخسائر الاقتصادية بالاضافة الى نسبتها من الناتج القومي ومن بينها العراق وعلى النحو التالي:

يؤشر الجدول نسبة خسارة كل دولة من الشرق الاوسط بسبب التلوث، نلاحظ تفاوت الخسائر من دولة الى اخرى، وذلك بحسب عدد السكان، وتأثر القطاع المتضرر، وطبيعة نشاطه، ومستوى دعم الحكومة وقدرتها على مواجهة التحدي، وعدد العواصف وشدتها من دولة الى أخرى ومساحة الدولة. اذ نلاحظ ان اكبر الدول مساحة هي الاكثر تعرضا للخسائر المادية مثل مصر والباكستان وايران والسعودية، رغم انها تشهد تراكيز غبار اقل

نسبيا من دول اخرى تقع في قلب صحراء الشرق الأوسط مثل الكويت والبحرين والامارات.

خامسا: الحلول والتوصيات

مهما كانت نوعية الحلول فهي تحتاج الى اتخاذ الأجراءات السريعة والمتمثلة بالتعاون المشترك بين جميع القطاعات الحكومية والمؤسسات والأفراد، ومن هنا نحث وزارة البيئة على دراسة المقترحات التالية بالتعاون مع الخبراء والجهات الأكاديمية لغرض اعداد دراسة وفق منهجية علمية للحد أو تخفيف اثار العواصف الترابية على البلاد:

1. من الحلول المطروحة للحد من اثار العواصف الترابية هو تثبيت التربة برشها ببعض المصدات من المواد الصديقة للبيئة (البوليميرية أو البيولوجية) في مناطق بؤر تكون العواصف الغبارية، ينبغي تحديد بؤر تكون العواصف الترابية داخل وخارج الأراضي العراقية و يمكن ايضا زراعة بعض النباتات الطبيعية التي تتحمل الجفاف ولا تحتاج إلى مياه كثيرة، كما ينبغي تطبيق تقنيات السقي الرشيدة لاستثمار المياه الحالية.
2. تتطلب النقطة اعلاه تفعيل الأتفاقيات المبرمة مع دول الجوار حول مكافحة التصحر وتغير المناخ باعتبار هذه المشاكل ذات طبيعة مشتركة، فالعواصف الترابية عابرة للحدود. مع انشاء مركز بحوث مشترك ودراسة امكانية تطوير مواد بيولوجية أو نانوية تعمل على تثبيت التربة واجراء البحوث المطلوبة لمعرفة افضل المواد التي يمكن استخدامها واماكن نشرها.
3. يمكن الأستفادة من اليات التمويل الدولية وخاصة المتحصلة من المنظمات الدولية ذات البعد البيئي والصحي مثل صندوق المناخ الأخضر GCF ومنظمة اليونسيف UNICEF ومنظمة الصحة العالمية WHO وبرنامج الأمم المتحدة الأنمائي UNDP ومنظمة الأمم المتحدة للبيئة UNEP، والأستفادة من المنح الدولية في مشاريع مقاومة التغيرات المناخية، ونشير هنا ايضا الى ضرورة الأستفادة من تجارب الدول التي استطاعت استحصال مبالغ كبيرة من صناديق المناخ واستثمارها في كيفية الاستفادة من استراتيجية التكيف مع التغيرات المناخية والمخاطر الناجمة عنها. لاسيما ان العراق اعد مساهمته المحددة وطنيا بموجب التزامه باتفاق باريس 2015 وقرارات الاتفاقية الاطارية للمناخ، تلك المساهمة التي من شأنها توفير الرؤى والاموال والحوافز لبلورة اطار عمل واقعي لمواجهة تحديات التغير في المناخ بكافة ابعاده.

المصادر:

1. التغيير المناخي، تقرير لقناة الجزيرة الفضائية، كانون الاول 2015، https://www. aljazeera.net/encyclopedia/conceptsandte 84%%D8%A7%D9%/14/12/rminology/2015 8A%D8%B1-%D8%%D8%AA%D8%BA%D9 86%D8%A7%D%85%D9%84%D9%A7%D9 8A%8%AE%D9
2. تقرير بعنوان (التغيير المناخي)، لمنظمة العفو الدولية، https//:www. -climate/do-we-what/ar/org.amnesty _utm&google=source_utm?/change _EAIaIQobChMIl=gclid&cpc=medium W9wIVB57VCh0djAfcEAAYASAAEgJaC_fUjv BwE_fD
3. مصطفى سيف، اتفاقات المناخ، تاريخ من القمم لمواجهة التحديات، سكاي نيوز

عربيــة، تشــرين الاول / اكتوبــر 2021. https:// www.skynewsarabia.com/world/1475269-

4. موقــع الأمــم المتحــدة، التغييــر المناخــي، قمــة غلاســكو. https://www.un.org/ar/climatechange/cop26
5. بــول رينكــون، قمــة المنــاخ في كلاســكو،قادة العالــم يتوصلــون لاتفــاق معــدل، تقريــر لموقــع BBC، 2021/11/14، https://www.bbc.com/arabic/world-59278324
6. خالــد ســلبمان، لمــاذا العــراق اكثــر هشاشــه امــام التغيــر المناخــي؟، دراســة نشــرها موقــع daraj، تمــوز 2019.
7. بيانــات الجامعــة المســتنصرية، كليــة العلــوم، قســم علــوم الجــو، 2022.
8. كــورت ام كامبــل، كريســتين بارثيمــور، الامــن الوطــني وتصــور التحــدي المناخــي، دراســة بحثيــة نشــرها معهــد بروكينغــز، ترجمــة الباحــث مصطفــى محمــد راضي، يوليــو/ تمــوز 2016.
9. تغييــر المنــاخ والأمــن القومــي، تقريــر نشــرته الامانــة العامــة لمجلــس الــوزراء العــراقي يتضمــن رؤى لمراكــز الدراســات الامريكيــة حــول خطــر التصحــر والجفــاف القــادم، ويمثــل التقريــر وجهــة نظــر 25 مؤسســة أمنيــة وعســكرية واســتخباراتية رســمية تعمــل في الولايــات المتحــدة، 2021.
10. مــروة صــلاح، التغييــرات المناخيــة تهــدد الدول الأكثــر فقــرا، موقــع للعلــم الالكتــروني، تمــوز/ يوليــو 2018 https://www.scientificamerican.com/arabic/news/articles/climate-change-threaten-poorer-countries/
11. هشــام ملحــم، التغيــر المناخــي، وخطــره الوجــودي علــى البيئــة، الحــرة، 25 تشــين الاول اكتوبــر 2021 https://www.alhurra.com/different-
12. تقريــر لموقــع CGTN الاخبــاري، https://arabic.cgtn.com/n/BfJIA-BEA-CAA/HdfCIA/index.html
13. عاصفــة العــراق العاتيــة، أزمــة مناخيــة وبيئيــة وســط الآثــار الــتي خلفتهــا الحــرب، تقريــر اللجنــة الدوليــة للصليــب الاحمــر، تموز/يوليــو 2021.
14. Sand and dust storms in the middle east and north Africa (mena) rigon. sources, coasts and solutions, world bank group, 2019

الشرق الأوسط والتحدي المناخي: الاثار وسبل الاستجابة

فيصل عبد اللطيف ياسين

مقدمة:

لعقود طويلة من الزمن عانت منطقة الشرق الأوسط من الصراعات البينية والتدخلات العسكرية الخارجية والنزاعات الاهلية والتهديدات المنبثقة عن تنامي الحركات الإرهابية والجماعات المتطرفة والفواعل اللادولتية. وقد دفعت الازمات المزمنة دول المنطقة الى الانزواء والحذر من بعضها الاخر وتركيز الجهود على توفير متطلبات حماية امنها التقليدي بشكل منفرد. لكن السنوات الأخيرة القليلة الماضية جلبت معها تحديا عابرا للحدود مختلفا في طبيعته عن التحديات الأمنية التي الفتها دول المنطقة, الا وهو تحدي التغير المناخي. ان طبيعة وحدة اثار التغير المناخي المتمثلة بالجفاف وندرة مصادر المياه والارتفاع التدريجي في درجة حرارة الأرض والتصحر تجعل من الصعوبة بمكان مواجهتها بشكل فردي. الامر الذي يحتم على دول المنطقة العمل بشكل جماعي عن طريق صياغة استراتيجية إقليمية تهدف الى تنسيق جهود دول الإقليم للتصدي الى اثار التغيرات المناخية. تتناول هذه الورقة الواقع المناخي في منطقة الشرق الأوسط وجدية التحدي الذي يمثله التغير في المناخ واثاره على دول المنطقة بالإضافة الى سبل التصدي والتخفيف من هذه الاثار.

الواقع المناخي في منطقة الشرق الأوسط: مؤشرات الخطر

تعد منطقة الشرق الأوسط اليوم من أكثر المناطق الجغرافية في العالم تأثرا بحدة متغيرات الواقع المناخي. وتنعكس اثار التغيرات المناخية على المفاصل الأساسية التي تمس حياة شعوب المنطقة من زراعة ومياه وطاقة وتنمية, بالإضافة الى اثارها السلبية على السلم والاستقرار المجتمعي والتنمية والازدهار. فوفقا لدراسة اجراها صندوق النقد الدولي تم فيها تحليل البيانات المتعلقة بالواقع المناخي لمنطقة الشرق الأوسط ووسط اسيا خلال القرن الماضي تبين فيها انه ومنذ تسعينات القرن الماضي فقد ازدادت درجات الحرارة في هذه البقة الجغرافية بمقدار درجة ونصف سيليزية, أكبر مرتين من الزيادة العالمية البالغة ٠.٧ درجة.[1] ومن الممكن ان تزداد درجات الحرارة في بلدان مثل مصر والسعودية بحوالي خمسة درجات سيليزية بحلول نهاية القرن الحالي. [2] كما أوضحت دراسة صندوق الدولي المذكورة انفا ان تساقط الامطار الذي يعاني من شحته في الأساس اضحى أكثر ندرة في العقود الثلاثة الماضية. كما سجلت الدراسة زيادة في حدوث الكوارث المناخية مثل الجفاف والفيضانات أكثر من أي وقت مضى.[3] ان أحد الأسباب الكامنة وراء الارتفاع في درجات الحرارة في منطقة الشرق الأوسط هو زيادة نسبة انبعاثات الغازات الدفيئة. فقد تحولت منطقة الشرق الأوسط الى أكبر باعث للغازات الدفيئة في العالم, متجاوزة بذلك كل من الهند والاتحاد الأوربي وفقا لتقديرات بعض الخبراء.[4]

تشير التكهنات ان منطقة الشرق الأوسط هي اول مكان في العالم ستنفذ فيه مصادر المياه بشكل فعلي, حيث ان كميات المياه التي يتم استهلاكها بسرعة أكبر من قدرة مياه الامطار على تعويض الماء المفقود.[5] وليست هناك دولة من دول المنطقة بمنأى عن هذه التأثيرات سواء كانت الدول الأكثر ثراءً واستقرارا, او الدول التي تعاني أساسا من أنواع مختلفة من الاضطرابات والاعتلالات السياسية والأمنية والاقتصادية. فدول الخليج العربي الثرية نسبيا على سبيل المثال, مهددة بنفاذ مصادر المياه الصالحة للشرب خلال الخمسين سنة القادمة.[6] ومن جانب اخر, ان بلد يمزقه الصراع مثل العراق ترتفع فيه درجات الحرارة بمعدل أسرع من الارتفاع العالمي في درجات الحرارة بنسبة ٢ الى ٧ مرات. كما يتوقع انخفاض مستوى تساقط الامطار في العراق بنسبة 15 الى 20% في القرن الحالي, خافضةً نسبة المياه في نهري دجلة والفرات بحوالي 73%, وهو ما سيحمل اثارا سلبية كبيرة على مستويات المياه الجوفية في البلاد.[7] ان ازمة ندرة مصادر المياه هي الأبرز والأكثر تهديدا لدول المنطقة. فالشرق الأوسط اليوم هو أكثر منطقة في العالم تعاني من الضغط على مصادر المياه, حيث تقع اثني عشر دولة من بين أكثر سبع عشر دولة تعاني من شحة المياه على مستوى العالم في منطقة الشرق الأوسط وشمال افريقيا.[8] كما ان التصحر يعصف بمنطقة الشرق الأوسط اليوم في بلدان مثل العراق وسوريا والأردن وإيران.

الاثار الكارثية للتغير المناخي:

من الصعوبة بمكان تلمس وتتبع الاثار السلبية التي تخلفها التحولات المناخية في بلدان المنطقة. ويعود ذلك الى ان بعض هذه الاثار ذات طبيعة مجتمعية وإنسانية يصعب تكميمها وقياس حجمها بشكل دقيق على المدى البعيد. الجفاف والتصحر وزيادة العواصف الترابية والرملية وموت المحاصيل والمواشي والاحياء المائية الناجمة عن الاختلال في النظام البيئي هي من أبرز تجليات التغير المناخي والاحتباس الحراري في منطقة الشرق الأوسط. كما يتسبب التنافس على مصادر المياه بتغذية التوترات الإقليمية بين دول المنبع ودول المصب والتي تتقاسم انهارا دوليا مشتركة. و يحذر الخبراء من ان حوالي ١٢ مليون انسان في سوريا والعراق معرضون الى انعدام القدرة على الحصول على المياه والغذاء والكهرباء

بسبب الارتفاع في درجات الحرارة والانخفاض القياسي بمعدلات تساقط الامطار. تقدر ارقام البنك الدولي بان خسائر بلدان المنطقة الناجمة عن ندرة المياه بفعل التغيرات المناخية ستبلغ حوالي ٦٪ الى ١٤٪ من اجمالي الناتج القومي بحلول سنة ٢٠٥٠.[9] فكلف المياه ارتفعت الى معدلات عالية بلغت أكثر من ٣٠ ٪ في بلد مثل الأردن بسبب شحة المياه الجوفية. وليست الدول الغنية في المنطقة بمعزل عن التأثيرات الكارثية للتغيرات المناخية. فدولة الامارات على سبيل المثال, والتي تعد من أكثر بلدان العالم استهلاكا للمياه قياسا بعدد سكانها, يمكن ان تستنزف جميع مصادر المياه الصالحة للشرب التي بحوزتها خلال الخمسين سنة القادمة نتيجة للنمو السكاني والاستهلاك العالي للمياه داخليا.[10]

للعواصف الترابية والتي يرتبط حدوثها بمتغيرات التحولات المناخية والتي أضحت ظاهرة مألوفة ومتكررة في بلدان الشرق الأوسط كلف اقتصادية وصحية كبيرة. فقد اظهرت بعض الدراسات ان حوالي ١٠٪ من السعوديين يعانون من الربو, ويعود السبب وراء ذلك في جزء منه الى انتشار الغبار في الجو. ويقدر البنك الدولي بان تلوث الهواء يتسبب في حوالي ٣٠ ألف حالة وفاة مبكرة سنويا. في مقابل الاثار الصحية, هناك عبء اقتصادي باهظ ناجم عن اثار التغيرات المناخية والعواصف الترابية على وجه التحديد. فمع كل موجة غبار, تتعطل اعمال الناس وتتوقف المطارات, وتتعرض المحاصيل الزراعية الى الطمر. وتشير ارقام الأمم المتحدة ان الخسائر الاقتصادية المباشرة للعواصف الترابية في الشرق الأوسط تقدر بثلاثة عشر مليار دولار سنويا, اما الخسائر غير المباشرة فهي اعلى من هذا الرقم كثيرا.[11]

وللتغير المناخي اثار وكلف وانعكاسات اجتماعية وسياسية باهظة. فخسارة الأراضي الزراعية بسبب الجفاف والتصحر وقلة تساقط الامطار يعني خسارة الالاف لمصادر معيشتهم وبالتالي الاضطرار الى النزوح الى مراكز المدن المكتظة بالسكان أصلا والتي تشح فيها فرص ومجالات العمل والتي تعاني من تقادم وتهالك بناها التحتية, وبالتالي تدخل موجات النازحين في دوامة الفقر والعطالة. وغالبا ما تكون هذه الشريحة رصيدا بشريا تلجأ اليه الجماعات المتطرفة والتنظيمات الإرهابية والميليشيات بغرض التجنيد والحصول على الدعم. وكانت بعض الدراسات اشارت الى ان موجة الجفاف القاسية التي ضربت سوريا في الفترة من ٢٠٠٦ ولغاية ٢٠٠٩ ساهمت اشعال التمرد الذي انفجر في عام ٢٠١١. فالفشل في انتاج المحاصيل الزراعي لعدة سنوات قاد حوالي مليون ونص مزارع الى مغادرة المناطق الريفية والتوجه الى المراكز الحضرية, الامر الذي تسبب بتوترات اجتماعية وصلت ذروتها في حراك اذار ٢٠١١.[12]

أخيرا, ان التنافس على المياه يعد مصدرا للاضطرابات والصدامات الإقليمية. فقد تسبب بناء السدود من قبل إيران وتركيا على منابع نهري دجلة والفرات في ارتفاع نسبة التوترات بين هاتين الدولتين وبين سوريا والعراق من ناحية أخرى. حيث ينظر الى مثل هذه الأفعال على انها توظيف للمياه كسلاح للضغط وللحصول على مكاسب واداة لفرض الارادات من قبل دول المنبع على دول المصب. كما قد استخدمت داعش في مناسبات عديدة سلاح المياه لإخضاع السكان ولفرض الضرائب والاتاوات مقابل توفير حصص مائية للمزارعين الواقعين تحت مناطق نفوذ التنظيم في سوريا والعراق. وبشكل مشابه, تسبب بناء اثيوبيا لسد النهضة على منابع نهر النيل بارتفاع حدة التوتر مع دول مثل مصر والسودان اللتان اعتبرتا حرمانهما من حصصهما المائية في هذا النهر الدولي اعتداءً وتهديدا لأمنهما القومي, وسط دعوات مصرية لتدويل قضية ملئ السد من دون الالتزام بالحصص المائية للبلدان المعنية.[13]

اليات وسبل التصدي:

على الرغم من صعوبة التحديات التي يفرضها التغير المناخي, الا ان السبل والحلول للتكيف ولمواجهة والتخفيف

من وطأة هذه التحديات متنوعة وقابلة للتطبيق. فإدراك وتقييم مخاطر هذه التحديات هي الخطوة الأولى لمجابهة اثارها, ومن ثم ادراجها ضمن أولويات بلدان المنطقة في المجالات التنموية والاستراتيجية على المديين المتوسط والبعيد. ولا مناص من ضرورة التعاون الإقليمي المشترك ونقل التجارب الناجحة التي تطبيقها في بعض البلدان. يضاف الى ذلك رفع مستويات الانفاق الحكومي في مجالات البنى التحتية ذات الصلة وتشجيع القطاع الخاص للاستثمار في المجالات الصديقة للبيئة.

ان اللجوء الى الاتمتة واستخدام التقنيات الرقمية الحديثة والاعتماد على الوسائل الحديثة في الري ومصادر الطاقة البديلة هو السبيل الوحيد امام بلدان دول الشرق الأوسط للتخفيف وعكس اثار التغيرات المناخية الهدامة على المدى البعيد والمتوسط. ففي مجال حفظ وتوفير المياه, هناك العديد من التقنيات المتاحة والتي من الممكن لدول المنطقة توظيفها لمواجهة الضغط الحاصل على مصادر المياه الشحيحة. ان استخدام التكنلوجيا الحديثة في مجال الري والاستغناء عن الطرق البدائية السائدة القائمة على غمر الأراضي الزراعية سيكون من دوره توفير نسب عالية من المياه المهدورة. كما ان استغلال مياه الصرف من الممكن ان يكون أحد الحلول المتاحة لمواجهة ندرة المياه في منطقة الشرق الأوسط. حوالي ٨٢٪ من مياه الصرف في منطقة الشرق الأوسط لا يتم إعادة استخدامها. وتتصدر دول الخليج دول المنطقة في مجال جمع وإعادة استخدام مياه الصرف الصحي, وعلى رأسها دولة عمان التي تجمع ١٠٠٪ من مياه الصرف وتقوم بإعادة استخدام حوالي ٧٨٪ من هذه المياه.[14]

وقد بادرت بعض دول المنطقة بالفعل بأطلاق برامج وخطط تهدف الى تقليص استهلاك المياه من اجل توفير كميات أكبر من المياه على المدى البعيد. حيث أعلنت المملكة العربية السعودية على سبيل المثال عن مبادرة «قطرة» التي تأمل من خلالها تخفيض الاستهلاك المائي بنسبة ٤٣٪ بحلول نهاية العقد القادم.[15]

وفي مجال خفض نسبة الانبعاثات من الغازات الدفيئة, تعهدت بعض كبرى الدول المنتجة للنفط في المنطقة مثل السعودية والامارات بخفض نسبة الانبعاثات الى صفر, بحلول العام ٢٠٦٠ بالنسبة للسعودية, و٢٠٥٠ بالنسبة للأمارات العربية المتحدة.[16] وتتقدم المغرب دول المنطقة في مجال استخدام الطاقة المتجددة لإنتاج الطاقة الكهربائية, حيث وصلت معدلات استخدام الطاقة المتجددة الى ٣٧٪, وتهدف المغرب الى رفع هذا الرقم الى ٥٢ بحلول سنة ٢٠٣٠.[17]

اما في مجال مكافحة التصحر, أعلن ولي العهد مبادرة السعودية الخضراء ومبادرة الشرق الاوسط الاخضر في شهر اذار الماضي والتي تهدف الى زرع 50 مليار شجرة ضمن أكبر مشروع للتشجير على مستوى العالم. وفي الامارات العربية المتحدة, يجري الاستثمار في تكنلوجيا جديدة من شأنها ان تساعد البلاد لتحصن نفسها امام العواصف الرملية المحتملة بعد ان أعلن معهد مصدر للعلوم والتكنلوجيا إطلاق نظام التنبؤ بالعواصف الرملية في سنة 2016.[18]

الخاتمة:

يعتبر التغير المناخي أحد أخطر التحديات الوجودية التي تهدد دول الشرق الأوسط على المدى القريب والمتوسط. فمؤشرات الجفاف والتصحر والارتفاع في درجات الحرارة تنذر بحدوث كوارث إنسانية واسعة النطاق يصعب تطويقها والسيطرة على اثارها من دون وضع الأسس اللازمة للتكيف والاستعداد المبكر للتعامل مع انعكاساتها. موت المحاصيل والثروات الحيوانية يهدد بحدوث خرق للأمن الغذائي لدول المنطقة ويدفع باتجاه خلق موجات نزوح من الأرياف الى المراكز الحضرية المكتظة سكانيا, في ظل عجز مؤسسات الدولة على استيعاب هذه الكتل السكانية وتوفير احتياجاتها الاساسية. هذه العوامل وغيرها تغذي الاضطرابات الاجتماعية وتهدد بإشعال اعمال عنف على نطاقات واسعة. حجم التحدي الماثل امام دول المنطقة وشعوبها يحتم على حكوماتها بالعمل بشكل فردي وجماعي لمواجه اثاره عن طريق وضع وصياغة سياسيات واستراتيجيات طويلة الأمد تتعامل مع تحدي التغير المناخي كسائر التهديدات التي تواجها هذه البلدان لأمنها القومي.

الهوامش:

1- Christoph Duenwald,. et al. «Feeling the Heat: Adapting to Climate Change in the Middle East and Central Asia››, International Monetary Fund, 30 March 2022, p.4, <https://www.imf.org/en/Publications/Departmental-Papers-Policy-Papers/Issues/202225/03//Feeling-the-Heat-Adapting-to-Climate-Change-in-the-Middle-East-and-Central-Asia-464856>, retrieved December 9, 2022

2- Karina Tsui, ‹›The Middle East is warming up twice as fast as the rest of the world››, the Washington Post, 7 September 2022, < https://www.washingtonpost.com/world/202207/09//middle-east-mediterranean-climate-change/>, retrieved 9 December 2022.

3- Christoph Duenwald, ibid.

4- Karina Tsui, ibid.

5- Frederic Wehrey, and Ninar Fawal, ‹›Cascading Climate Effects in the Middle East and North Africa: Adapting Through Inclusive Governance››, Carnegie Endowment for International Peace, 24 February 2022, < https://carnegieendowment.org/202224/02//cascading-climate-effects-in-middle-east-and-north-africa-adapting-through-inclusive-governance-pub-86510>, retrieved 10 December 2022.

6- رانج علاء الدين, «التغير المناخي قد يدمر الشرق الأوسط: هكذا يتوجب على الحكومات التصدي له», مؤسسة بروكنغز, ١٤ اذار ٢٠٢٢, https://www.brookings.edu/blog/climate-change-may-devastate-/14/03/planetpolicy/2022/the-middle-east-heres-how-governments-should-tackle-it

7- سيمونا فولتن, « الارض الخضراء اضحت صحراءً قاحلة: شحة المياه تضرب الهلال الخصيب العراقي», صحيفة الغارديان, ٧ سبتمبر ٢٠٢٢, https://www.theguardian.com/global-development/2022/sep/07/water-scarcity-hits-iraq-fertile-crescent-drought-farming

8- روتجر ويليام واخرون, «١٧ عشر بلدا, وموطن أكثر من ربع سكان العالم, يواجهون الشحة الحادة في مصادر المياه», مؤسسة مصادر العالم, ٦ أغسطس ٢٠١٩, https://www.wri.org/insights/17-countries-home-one-quarter-worlds-population-face-extremely-high-water-stress

9- روتجر ويليام, مصدر سبق ذكره

10- رانج علاء الدين, مصدر سبق ذكره

11- "الغبار يهدد الأرواح بشكل متزايد في منطقة الشرق الأوسط», صحيفة الإيكونيميست, ١٨ أيار ٢٠٢٢, https://www.economist.com/middle-east-and-africa/2022/05/19/dust-is-a-growing-threat-to-lives-in-the-middle-east

12- Henry Fountain, ‹›Researchers Link Syrian Conflict to a Drought Made Worse by Climate Change», The New York Times March 2, 2015,< https://www.nytimes.com/201503/03//science/earth/study-links-syria-conflict-to-drought-caused-by-climate-change.html>, retrieved December 9, 2022.

13- John Mukum Mbaku, '' The controversy over the Grand Ethiopian Renaissance Dam", Brookings, Wednesday, August 5, 2020, <

https://www.brookings.edu/blog/africa-in-focus/202005/08//the-controversy-over-the-grand-ethiopian-renaissance-dam/>, retrieved December 9, 2022.

14- روتجر ويليام, مصدر سبق ذكره

15- "Saudi Arabia launches program for a drastic reduction in water use", Water World, 21 March 2019, https://www.waterworld.com/wastewater/article/16202937/saudi-arabia-launches-program-for-a-drastic-reduction-in-water-use>, retrieved 8 December 2022.

16- Frederic Wehrey, and Ninar Fawal, ‹›Cascading Climate Effects in the Middle East and North Africa: Adapting Through Inclusive Governance››

17- Aida Alami, ‹›How Morocco went big on solar energy››, BBC 18 November 2021, < https://www.bbc.com/future/article/20211115-how-morocco-led-the-world-on-clean-solar-energy>, retrieved 10 December 2022.

18- إسماعيل ناصر, « لماذا اصبحت العواصف الرملية أكثر شيوعا في الشرق الأوسط», ذي ناشونال, ١٨ أيار ٢٠٢٢,

https//:www.thenationalnews.com/mena/18/05/2022/why-are-sandstorms-and-extreme-weather-changes-more-common-in-the-middle-east/

المعهـد العراقي للحـوار

بغـداد / الجادرية / شارع الوزراء
07905400123
Head@hewariraq.com

شـروط النشـر

• تقبل البحوث ذات الصلة بالدراسات الاستراتيجية , السياسية, الامنية, العسكرية, الاقتصادية .. والتي تتصف بالبعد التحليلي والستراتيجي وباللغتين العربية والانجليزية.
• يشترط ألا يكون البحث قد سبق نشره, أو قدم للنشر لجهات أخرى.
•يراعى في البحث اعتماد الأصول العلمية والمنهجية المتعارف عليها في كتابة البحوث الأكاديمية.
• ان لا يزيد البحث عن ٣٠ صفحة مطبوعة (A٤), بما في ذلك الهوامش, والمراجع , والملاحق.
• يقدم البحث بنسخة الكترونية مصححة طباعياً.
• يرسل الباحث موجزاً بسيرته العلمية , ورقم الهاتف والبريد الالكتروني.
• تكتب الهوامش بأرقام متسلسلة , وتوضع في نهاية البحث مع قائمة المراجع.
• تطبع الجداول والرسوم البيانية على صفحات مستقلة , مع تحديد مصادرها وبشار إلى مواقعها في متن البحث.
• تقوم هيئة التحرير بالمراجعة اللغوية , وتعديل المصطلحات بالشكل الذي لا يخل بمحتوى البحث أو مضمونه.

إجراءات النشر:

• يتم الاعلان عن ملف العدد والموضوعات الاخرى عبر موقع المعهد وصفحته على الفيس بوك ويعمم كتاب على الوزارات والجامعات والكليات ذات العلاقة وينشر في مواقع التواصل الاجتماعي .
• تعنون المراسلات والبحوث والدراسات باسم رئيس تحرير .
• يتم إخطار الباحث بتسلم بحثه.
• يقوم المحرر المختص براجعة وتحرير البحث بعد إجازته من هيئة التحرير.
• يخبر الباحث بصلاحية البحث للنشر من عدمه.
• يتم النقاش مع الباحثفيما اذا وجدت ملاحظات على البحث.
• تصبح البحوث والدراسات المنشورة ملكاً للمعهد العراقي للحـــــوار ومجلة حوار الفكر ولا يحق للباحث إعادة نشرها في مكان اخر دون الحصول على موافقة تحريرية من المعهد.

المعهد العراقي للحوار

- مركز تفكير وابحاث مستقل ، مشروعه بناء الدولة على أسس صحيحة
- يتيح مساحة حرية واسعة للباحثين والمفكرين دون قيود
- ليس له اتجاه سياسي محدد ولا يؤمن باحادية المسار للبناء
- غير حكومي يسعى لوضع تصورات صحيحة لصانع القرار

غير ربحي وعتمد على الشراكة مع المؤسسات والشركات لتنفيذ برامجه